العلـم عند العـرب

وأثره على الحضارة الأوروبية

دكتور رمضان الصباغ

الناشـــر
دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع
ت : ٥٣٥٤٤٣٨ ـ الإسكندرية

العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية

د. رمضان الصباغ

العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية

الطبعة الأولى ــ أغسطس ١٩٩٨

الناشر : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع

الاسكندرية : تليفاكس ٥٣٥٤٤٣٨ ص.ب ٢١٥٧١

رقم الإيـــداع : ١٩٩٨/١٠٢٣٨

الترقيم الدولى : 2 - 07 - 5954 - 977

مقدمة

فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا لا تزال فى مهدها، كـــانت حضارة الشرق خاصة فى مصر القديمة، وعامة فى فارس وبـــابل والصين تقدم للبشرية الأسس التى يقوم عليها التفكير الإنسانى بشكل عام والعلم بشكل خاص.

كان فراعنة مصر يبنون الأهــــرام وفـــق أســـس هندســـية وميكانيكية دقيقة، وكان الطب المصرى قد وصل إلى أسرار الكثير من الأمراض، وكانت الكيمياء والصيدلة والفيزياء وعلم الحساب قد وصلت إلى درجة كبيرة من التقدم والرقى، كذلك كان العلم فى بابل وفارس والصين قد خطا خطوات كبيرة وقدم العديد من الإنجازات.

وإذا كان طاليس وأفلاطون وديمقريطس، وغيرهم قد جاءوا إلى مصر لتلقى العلم والمعرفة، فإن هذا العلم قد انتقل بكامله إلـــى اليونان بجميع فروعه النظرية والعملية، واســـتفاد اليونـــانيون مـــن الحساب والهندسة والطب، ومن الآراء المصرية والصينية فى الفـــن والموسيقى، والكيمياء، وغيرها.

وقد كان هذا الانتقال دليلاً على تقـــدم الحضـــارة الشرقيـــة، ورغبة الحضارة اليونانية ــ الممثلة لأوروبا فى ذلك الوقت ــ الفتية فى التقدم والازدهار، والبحث عن ذلك بشتى الوسائل.

وفى الوقت الذى بدأت فيه أوروبا تغط فى ظـــلام وغيبوبـــة عصورها الوسطى، كان العرب قد كونوا امبراطورية قوية مســـلحة بالسيف، والدين الجديد، وقد واجهتهم فى البـــلاد المفتوحـــة بعـــض

التساؤلات واتسع مجال الجدل، فكان الانفتاح على الفكر اليونـــانى، الذى بدأ بالكيمياء وتواتر حتى بلغ جميع العلوم الطبيعية والفلســفية. فنهل العرب من اليونان وغيرها من البلاد، عبر الاسكندرية، وجنــد يسابور، وانطاكية ومدرسة الحكمة، وغيرها. نهلوا العلوم، فترجموا ونقلوا، ثم درسوا وأضافوا إليها، وابتكروا فيها، وقدموا العديد مـــن الاكتشافات فى الطب والهندسة والحساب والجبر والفلك والكيميـــاء، وغيرها.

وعندما أفاقت أوروبا من سباتها وغيبوبتـــها تطلعــت نحــو الشرق وبدأت فى الترجمة والنقل، وكانت هناك مسالك متعددة سلكها العلم ليصل إلى أوروبا. فقد مر عبد الأندلس أو صقليـــة وجنــوب ايطاليا، أو الحروب الصليبية حتى اكتشف الأوروبيون قوة العـــرب ومالهم من حضارة، وما وصلوا إليه من تقدم. فنهلت أوروبا مـــن العلــوم والفلسفة والفكر وعرفت ابتكـــارات واضافـــات وكشــوف العرب العلميـــة، ثم بدأت بعد ذلك فى السير قدماً حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من تقدم علمي وتكنولوجي، وازدهار فى مناحى الفكر المختلفة.

وهكذا كانت الحضارات، تتمازج وتتلاحم فترقى وتزدهر، أو تنعزل، وتتقوقع، فيصيبها التكلس والاضمحلال. ولم يكن الأوربيون دائماً هم المتقدمون المانحون، بل كانوا طرفاً مـــن معادلـــة يتبـــادل طرفاها الأخذ والعطاء. وإذا كان لهم فضل فى تقدمهم الآن، فـــإن فضل مصر القديمة عليهم، وفضـــل العــرب عامـــة لا ينكــره إلا

متعصب يرفض فهم ما حدث بين الحضارات منذ فجر الحضـــارة، وبدء وعى الإنسان.

إننا نرفض دعوى الانغلاق، بنفس الدرجة التى نرفـــض أن نعامل فيها كعرب وكمصريين مستهلكين للحضارة. إننـــا نرفـض هذين الوجهتين لتلك النظرة المريضة سواء كان تبريرهـــا أننـــا — ندعى أننا — أفضل من الآخرين، أو أننا أدنى منهم. اننا يجـــب أن نفيق من سباتنا لنلحق بركب التقدم والحضارة، ونسهم فيه، دون عقد نفسية، أو تبريرات سلفية لأن هذا هو الدور المنوط بنـــا الآن، وأى تخلف عنه لن تكون عواقبه فى نهاية المطاف إلا وخيمة ومزرية.

ونحن فى هذا الكتاب، وبعيداً عن الأسلوب الســجالى، نقــدم دليلاً على تمازج الحضارات، وتلاقحها، ونبرهن — دون خطابيـــة، وبشكل غير مباشر — على وحدة الإنسان، بعيــداً عــن العنصريـــة والتعصب، ونريد أن نشير إلى أنه رغم كـــل الخلافـــات السياســية والحروب، فقد كان العلم إنسانياً، والفلسفة والفكـــر عـــالميين رغـــم خصوصية الطرح فى كل عصر، وفى كل مكان.

رمضان الصباغ

الفصل الأول

العلم فى
العصـــور القـــديمة

مقدمة

لقد بدأ العلم مع تجمع الإنسان فى مجموعات حيـــث طـــرح لأول مرة استخدام الأدوات إرضاء لحاجات الإنسان اليومية، ولتوفير الجهد الذى كان يبذل قبل اكتشاف هذه الأدوات التى بدأت بســيطة، وبدائية، ثم ما لبثت أن ارتقت وتقدمت مع تقـــدم العقــل البشـــرى والمعرفة الإنسانية.

ولقد بدأ العلم عملياً، ثم ترقى وتقدم حتى وصلنا فى العصور الحديثة إلى العلوم النظرية المعقدة. ولقد كان الطريق غير يســير، وغير ممهد، وبذل الإنسان الجهد المضنى ـــ قبل اكتشاف الأدوات، وفى الفترة الأولى لاكتشافها ـــ من أجل تلبية أبسط الحاجات وأقلـــها شأناً ـــ من وجهة نظر الإنسان المعاصر الآن.

لقد كان التطبيق والممارسة واستعمال الأدوات، هو البدايـــة، وذلك قبل أن يعرف الإنسان الأساس النظـــرى الـــذى تقـــوم عليـــه العمليات التطبيقية. فقد عرف الإنسان تذويب النحاس قبل أن يعرف الأكسدة، والكربونات، والكبريتات.

ان تاريخ العلم تاريخ حافل بالتضحيات التى قدمـــها الجنـــس البشرى لقهر الطبيعة والسيطرة عليها، وتسخيرها لأهدافه وغاياته.

وقد دفعت الإنسان إلى العلم ضـــرورات، فكـــانت الأوبئـــة والفياضانات والجفاف، والحرارة والبرودة، والحاجة إلـــى الطعـــام انتاجه، وتخزينه وطهوه، ثم وجود فراغ ــ بعد ذلك ــ دفعـــه إلـــى تأمل الكون المحيط به ــ فى البدء كان ينصب تفكيره على ما يشكل حـــاجة ملحة، ثم ارتقى تفكيره إلى ما هو أبعد مـــن ذلـــك. فكـــان الطب وعلم الأدوية، والرياضيات، والكيمياء، والموسيقى، والفيزياء. وغيرها من العلوم.

وعلى هذا فإن العلوم العملية مثل الطب، وغيره من العلـــوم كانت ذات شأن عظيم لدى القدماء خاصة لدى المصريين. ولسوف نبدأ به (أى بالطب) ثم نتبع بعد ذلك بالعلوم الأخرى.

١ـ الطب

فى عصور ما قبل التاريخ، لا توجد بينات واضحة على مـا وصل إليه الطب، ولكن فحص عظام الأناس المتحجرين أدى إلـى اكتشاف وجود بعض الأمراض. كما وجدت جماجم مجبرة وملتئمـة الجـروح ، مما يدل على أن العملية كانت تجرى علـى الإنسـان الحـي . ومثل هذه الجماجم تعود إلـى العصـر الجديـد ، وهـى محفوظة فى متحف الإنسان فى باريس (١).

وقد رجح الكثير من الباحثين فى العلـوم ، وعلـى رأسـهم "جورج سارتون" أن النساء كن أول من عمـل بصناعـة الطـب والعلاج، وكنّ يتقنّ مهنة التوليـد ، أقـدم المـهن الطبيـة علـى الإطلاق(٢).

ومن الجدير بالذكر أن الطب فى عصور ما قبـل التـاريخ كانت تختلط به الخرافات والتمائم ، وان كانت أمـور كثـيرة مثـل علاج الكسور، والجراحات قد تمت فعلا بنجاح .

ومع تقدم الإنسان ، واستقراره ونشـأة الحضـارات ازدادت الحاجة آلي الطب فاهتم به ، وأصبح من فروع الطب الرئيسية .

• الطب فى مصر

بلغ الطب فى مصر منذ عام ٤٠٠٠ ق . م منزلة رفيعـــة ، ووضعت فيه الكتب الشاملة القائمة على البحث المنظم فى تشخيص الأمراض ووصف العلاج . ومنذ عام ٣٠٠٠ ق . م كان فى مصر أطباء مختصون فى أمراض الأسنان والعيون والمعدة وفى أمراض النساء والأطفال ، كما كان فيها أطباء بيطريون (٣) . وقد أكد هــذا الأمر (أى التخصص) هيرودوت (٤) .

ويعود تاريخ الموميات المحنطة إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وقد عرف العلماء عند فحصها أن المصريين كانوا يصابون ببعض أمــراض المناطق الحارة المعروفة اليوم كالسلّ وتصلب الشرايين . وقد عثر العلماء سنة ١٨٦٢ م على كتاب الطب المصـــري القديـم وهو عبــارة عن لفافة من ورق البردي يربو طولها علـــى خمســة أمتار ويعود عهدها إلى ١٥٠٠ قبل الميلاد ، وهى تحتـــوى علـــى أوصاف لأعراض أمراض مختلفة مـــع ذكـــر الأدويـــة المناسـبة لمعالجتها . كما اكتشف فى عـــام ١٨٧٥ مجموعـــة مـــن الكتـب مخطوطة على أوراق الـبردي تحتـوى علـى عـرض للحـالات التشريحية بأسلوب علمي دقيق ، وعلى وصــف لمجموعــات مــن الأمراض مع وصف العلاج الخاص بكل منها ، كما يوجد بها كتاب عن القلب مقرون بمعجم يفسرّ بعض التعبيرات التقنية والتى تستخدم لتفسير النص (٥)

ويعد " امحوتب " وزير الملك زوسر بــــاني هــرم ســقارة (المدرج)؛ وقد كان امحوتب فيلسوفا وفلكيـــا ومهندســـا معماريـــا ،

بالإضـــافة إلى كـــونه طبيبا عالج بنجاح شتّى الأمراض الطفيليـــة التى كـــانت معروفة فى زمانه ، واشتهر باستزراع النباتات الطبية ، وحفر الأسنان ، وتتويجها بالذهب ، ومعالجة الجـــروح والقـــروح وتجبير الكسور ، كما عـــالج أيضا لدغ الثعابين بمراهم مســـتخلصة من الزيت . وقد بلغ من تـــقدير المصريين له أنهم رفعوه إلى مرتبة الألوهية فى العصور التالية(٦).

هذا ، وأول جامعة فى العالم كانت مصرية ، والدليل علـــى ذلك جامعتي هليوبوليس ، وممفيس اللتين تمثلان أقدم آثار مراكـــز العلم المكتشفة فى العالم وقد قال الشاعر اليوناني القديم هوميروس : " ان مصـــر هى الأرض الزاخرة بالعقاقير ، وان كل انسان فيـــها طبيب تفوق براعته الناس جميعا " . وقد جاء فى البرديات التى تعود الى القرن السادس عشر والسابع عشر قبل الميلاد ، توصيف دقيـــق للتشخيص السريرى ، ووصف الأمراض ، ومراقبة يومية مستمرة ، ومـــلاحظات عن تقدم المريض ، وعلاج قائم علـــى أســـاس هـــذه الأوضاع جميعا ، وهو ما ذكره فيما بعد " أبقراط " بعد انتقال العلم من مصر الى الإغريق(٧).

وقد اهتم المصريون بالنبض والصلة بينه وبين القلب ، كمـــا اهتموا بتشريح الجهاز الهضمى ، وبالأمراض التى تصيبه ، فـــهناك وصف للامساك ومعالجته مثل الخروع والعسل والزيت والبـــيرة . فقد جاء فى بردية ايبرس : " وهذا دواء لاراحة المعدة وازالة الوجع فيـــها: حبوب الخروع ، تمضغ وتبلع مع البيرة الى أن يخرج كل ما فى المعدة " كما توجد فى هذه البردية فقرات تعالج دودة التينيا Tinia

ودودة الخرطون (اللومبريك Lombiric) وغيرها مـــن الأمـــراض وعلاجها(٨).

كما اهتموا بالرأس والجمجمة ، وعرفوا المـــخ ، والنخـــاع الشوكى ، ووصفوا علاجا للصداع ، والشقيقة (الألم فى جهة مـــن الـــرأس) . كما اهتموا بأمراض الجلد ، كما ذكروا أدويـــة لعـــلاج الصلـــع (وهو مرض كان منتشراً فى مصر القديمة) ، وعـــالجوا كسور الأنف وتشوهاتها ، ورمد العيون ، وبياض العين وأمـــراض الجفن والهدب ، وصنعوا المراهم والقطرات السائلة . ووصلوا الى معرفة الحمـــل عن طريق فحص البول . وقد أخذ هذه الأمور كلها أبقراط عن البرديات المصرية القديمة(٩).

كما أطلعت التجربة المصرية على فوائد النباتات ، فعرفـــوا الخصائص الطبيعية للنباتات الطبية ، وكذلك لبعض المواد الحيوانية . ودماء بعض الحيوانات ، ودهونها ووصلوا الى تركيـــب بعـــض الأدوية .

وقد برع المصريون فى التحنيط ، وعلم التشريـــح المقـــارن لأنهم كانوا يحنطون جثث الانسان والحيوان . وقد وصل الينا كتاب فى الجراحة ، من نحو عام ٢٠٠٠ ق . م فيه ذكـــر للدمـــاغ وأنـــه يسيطر على أطراف البدن ، فاذا أصيب بأذى (فى عصب متصل) بأحد هذه الأطراف لحق به ضرر(١٠).

وقد أنشأوا المدارس لتلقى علوم الطب ، وكانت تقـــوم هـــذه المدارس فى المعابد . كما اكتشفت عدة برديات ، ســـميت بأســـماء

مكتشفيها ، وقد تضمنت هذه البرديات الكثير من المعلومات الطبيـــة منها:

١.بردية (أدون سميث)وفيها دراسة دقيقه للجسم البشـــرى،وتصـــف أعراض كثير من الأمراض وتشرح طرق معالجتها ،وهى نسخة نقلها كاتب فى القرن السابع عشر قبل الميلاد عن نسخة أقدم منها وفيها دراسة عن الجراحة وأعصاب المخ).

٢.بردية كاهون للطب البيطرى ،وطب النساء ،وفيها ما يبهر مـــن حيث القدرة على التكهنّ بنوع الجنين وتشخيـص القـدرة علـــى الإنجاب

٣.بردية (ايبرس) وقد تضمنت ٨١١ وصفة طبية لمعالجة الأمراض التى قد تلم بكل عضو من أعضاء الجسم .(١١)

- **فى بلاد ما بين النهرين**

فى بلاد ما بين النهرين يعد الطب مجهولا منـــذ العصـــور القديمة حتى أيامنا هذه .وإن كان "هيرودوت " Herodote قـد رأى أن البابليين لم يكن عندهم أطباء،فان الكثير من المعاصرين يميلون من جهتهم إلى التقلـيل من أهمية المعارف الطبية لدى البـــابليين.إذ كانوا يربطون الطب بالسحر بصورة كاملة(١٢).

وقد أوضحت الشذرات القليلة التـــى وصلتنـا عـــن الطـــب السومّرى أنه طب ثيوقراطى يجمع بين الأدويـــة والتمـــائم،ويقـــول بالرقى والتعـــاونة.فالآلهة هى مصدر الخير والشر،والأمراض إنما هى دلالات على سخطها ومقتها..ومع أن الآلهة هي التـــى تســـبب المرض إلا أنه من الممكن أن يصدر المرض عن الشياطين أيضا أو

بسبب العيون الشريرة. ومع ذلك فإن هذا لم يمنع من وجود اتجاهات طبية معقولة،ووجود وصفات تمتاز بطابعها العلمي.غير أن الأطباء كانوا حتى فى هذه الحالات لا يستغنون عن استعمال الوسائل السحرية،إما على سبيل الاعتناء بها أوإحتراما للتقاليد وإرضاءً للمريض،فضلا عن أن هذه الوسائل لا تؤذى — من وجهة نظرهم — بل قد تعزز مفعول الدواء.وقد كان السومريون يرون أن القلب هو مستقر الفهم والادراك لا (الدماغ).وكانوا يعتقدون بنوعين من الدم دم الليل ودم النهار ،وكانوا ينظرون إلى الكبد على أنها معمل ومستودع الدم (١٣).

ورغم ذلك فهناك بعض الاكتشافات التى تؤكد أنه يوجد ما هو عكس ما تركه المعزمين الرقاة. إذ وجد كتاب "الوصفات الطبية" وفيه ذكر للنباتات العطرية وفوائدها، وطريقة إعداد الدواء، واستعمالها. كما توجد مجموعة من النصوص تصف وظائف الأعضاء، وهى تدرس موضعيا ودون البحث فى أسبابها المرضية، كما هناك ذكر للحصوات وعلاجها وقد كانت العلاجات يدخل فيها الصمغ والمّر والصبر ونترات الصوديوم والشبّة وقشرة البيض والزيت وغيرها(١٤).

ومن الجدير بالذكر أن شريعة حمورابى (نحو ١٩٥٠ ق.م) قد نظمت صناعة الطب، فحددت أجور الأطباء، وجعلتهم مسئولين عن الأخطاء التى يرتكبونها، ثم فرضت عقوبة على المراضع اللواتى يقصرن فى العناية بالرضع الذين يعهد اليهن بهم. وقد

عرف البـــابليون أنواعــا مــن التشويــه تطــرأ علــى الانســان والحيوان(١٥).

وقد كان البابليون معروفين بعلمهم بالأعشاب، سواء كان ذلك فى مجال الصيدلة أو مجال العطور(١٦).

• **الطب الهندى القديم**

فى العصور القديمة ظهر الطب وفيه تلميحات كثـــيرة مــن النصوص الدينية، وكان علما سحريا، وان كان يقترن أحيانا بمعارف علمية دقيقة نوعاً ما. وبعض النصوص الدينية تتكلم عن الأطبـــاء بلهجة الذم مما يدل على أن هذه النصوص لم تنبثق عــن الأوســاط الطبية، وان أخذت عنها بعض المعلومات. (١٧)

وتشكّل الكتب الطبية التى بقيت، وذاعت شهرتها فى القرون الأولى من العصر المسيحى المصادر المسماة "أيور فيدا" أو المعرفة بكيفية إطالة العمر. وهذه الكتب احتفظت بسلطتها حتى أيامنا مـــع استكمالها عبر العصور بمؤلفات أخرى. وتحتوى الكتب المختلفـــة حول (أيور فيدا) نظريـــة عقلانيـــة لتفســـير الوظـــائف العضويـــة واختلالها. والمواد الخمسة التى تشكل الكون ويتكون أيضـــا منـــها الجسم البشرى وهذه المواد هى : التراب والمـــاء والنـــار والـــهواء والفضاء، والتى تتوافق تباعاً مع الأنسجة الجامدة ومع الرطوبـــات والصفراء والنفس والتجاويف العضوية : والعنصـــران الطرفـــان الأرض والفضـــاء جامدان. والعناصر الباقية نشيطـــة. والنَفَـــس (برانا Prana) ليس فقط تنفسيا. لأن "البرانا" هى التنفـــس الفمـــى، وهناك نفس أخر هو (الأودانا Udana) أو عامل الكلام. أما السامانا

Samana فهو الذى يهضم الطعام. وهناك الأبانا Apana التى تطـــرد الفضلات الى أسفل، والفيانا Vyana التى تسرى فـــى الجســم وفـــى الأطراف وتؤمن وظائف الحركة. (١٨)

ويذهب الطب الهندى الى أن المرض يكون بسبب اضطراب فى العناصر الأربعة (الماء والنار والهواء والتراب)، ويكون الشفاء بالعلاج بالأعشاب والتمائم السحرية لإزالة هذا الاضطراب. ويعـــدّ الماء خير علاج لجميع الأمراض .

وقد وقع أطباء الهند فى نفس الخطأ الذى وقع فيه البابليون، وأرسطو فيما بعد، فى الاعتقاد بأن القلب مركز الشعـــور وأداتـــه، وكانوا يظنون أن الأعصاب تصعد من القلب وتهبط اليه. غير أنهم فهموا عمليات الهضم فهما يثير الإعجاب، وكانوا يمنعون المصـــاب بسوء الهضم من الزواج، وكذلك المريـــض بالســـل أو الـــبرص أو البواسير أو الصرع أيضا. (١٩)

وقد اهتموا اهتماما بالغا بالطب الروحـــانى، اذ اعتقـــدوا أن (اليوجا) تساعد على صحة البدن كما تعمل علـــى تـــهذيب النفـــس. (٢٠)

الطب الصينى :

كان الطب فى الصين يختلط فيه الدين بالحكمـــة التجريبيـــة. ولقد نبغ فيه أطباء عظماء قبل أبقراط، واخترع الصينيون نوعا من النبيذ يخـــدر المريض تخديرا تاما وقد ضاعت أوصاف هذا المخدر فيما بعد، فلم يعرف عنه شىء.

وهناك ثلاثة أطباء مشهورين فى الصين هـم: (شويـن يـو Chouen-yui) كان مراقبا للأغلال، شانج كونج الذى اتهم بالممارسة غير الشرعية للطب، ولكنه ترك تراثا طبيا استخدم فيه فى معالجته للأمراض مواد صيدلانية خالصة مثل الملينات، ومبيدات الديـدان، ومحفّزات الإدرار. والطبيب(تشانج شونج كنج) تـرك كتابـاً فـى الحميات. ونصح عند الإصابة بالتسمم بغسل المعدة. وترك كتابـا باسم (مختصر الغرفة الذهبية) حول الأمراض المختلفة. (٢١)

والتشخيص كانت له وسائل أربعة هى: الملاحظة، والفحص السريرى، والاستجواب، والنبض.

وقد أدى نمو الكونفوشية Confucianism الى سيادة الموجـب الأخلاقى القاضى ببقاء الجسد كاملا غير منقوص كما وصـل مـن الأهل، ممـا أدى الى تراجع علم الجراحة. وفى القرن الثالث مـن عصرنا كتب (هوانج فومى) كتابه (كياب كنج) وعالج فيه اسـتعمال الابر، والكى بالنار. وهى المعالجـات التـى تمـيز بـها الطـب الصينى.(٢٢)

وقد ميز الصينيون من النبـض أربعـا وعشريـن حالـة، واستخدموا اللقاح فى معالجة الجدرى، وان كـانوا لـم يسـتخدموا التطعيم للوقاية منه.(٢٣)

الطب اليونانى

لقد رأينا الطب القديم وقد بلغ درجة عالية من التقدم على يد المصريين، وذاع صيته فى العالم القديم كلّه ووصلت شهرتـه الـى اليونان، كما تشهد بذلك أشعار هومـيروس، وتـاريخ "هـيرودت"

والمجموعة الأبقراطية. ذلك بأن فرصا كثيرة قد هيأت للمعـــارف الطبية المصرية أن تنتقل الى الشعـــوب الإيجيـــة وحلفائـــها مـــن الاغريق. وازدادت الصلات بين مصر وبلاد اليونان ازديادا كبـــيرا فى زمن الأسرة العشرين (٦٣٣-٥٢٥ ق.م) . (٢٤)

فى الإلياذة نجد المحاربين يشكـــون بصـــورة خاصـــة مـــن الجروح ذات الأسباب الظاهرة. (٢٥) أما الأوديسة التى تضعنا أمام عالـــم أكثر تعقيداً فهى تترك قسما ما للطب الخفى وطب الســـحر. من ذلك فى الكتاب الرابع (حوالى ٢١٩-٢٣٢) ألقت هيلانة Helene لكى تشيع روح المرح فى وليمة، نوعا من الدواء السحرى ينسى كل الهموم فى الوعاء الكبير للخمر، ثم قالت أنها أخذت هذا الدواء مـــن امرأة فى مصر، البلد الذى اشتهر أطباؤه أكثر من أى بلد آخر.(٢٦)

وقد انتشرت فى اليونان عادة مصرية قديمـــة هـــى التجـــاء المرضى الى المعابد طلبا للشفاء والإنجاب. وبهذا لعبت المعابد فـــى اليونان دورا خاصا فى نشأة الطب. وقد بدأت فى معبد تريكا Tricca وقد لعبت الديانة الأورفية Orphism، (وهى ديانة شهوانيـــة خمريـــة نسبة الى ديونيس أو باخوس إله الخمر). وقد ساعدت عـــلى نمـــو عقلية مؤمنة بالخوارق والمعجـــزات ومســـتعدة للإيمـــان بإمكانيـــة الخوارق المعتبرة فى الجسم البشرى. (٢٧)

وقد عزى الى أمبيدوقليـــس Empedocles عـــدد مـــن الآراء والنظريات التشريحية والفسيولوجية. فهو يذهب الى أن التنفـــس لا يكون بالرئتين والقلب فحسب بل بالجلد كلـــه. والـــدم هـــو حـــامل الحرارة الغريزية (البنوما Pneuma) مـــن الأوعيـــة الدمويـــة الـــى

جميع أنحاء البدن، ثم ينصب فيه مرة ثانية. وليس معنى هذا أنه يقول بالدورة الدموية. وكل ما فى الأمر أن "أمبيدوقليس" كان يقول بالنظرية التموّجية التى بسطها "جالينوس" من بعده والتى ظلت شائعة مع شيء من التعديل طوال العصور الوسطى، حتى صححها الطبيب العربى ابن النفيس وأعاد بناءها من جديد. (٢٨)

أما أبقراط (٤٦٠-٣٦٥ ق.م) فقد أخذ بنظرية الطبائع الأربع وهى (البرودة، والحرارة، واليبوسة، والرطوبة) تمثلها الأخلاط الأربعة (البلغم والدم والسوداء والصفراء). وقد كان أبقراط من أتباع مذهب التشخيص الحدسى ويعتقد أن الطبيب يجب أن يكون فيلسوفا وملما بعلوم كثيرة كالفلك والموسيقى والطبيعة وعلم تركيب أجسام الانسان والحيوان. (٢٩) هذا وقد اشتهر أبقراط باليمين أو القسم الطبى (٣٠)

وقد ترك أبقراط وصفا سريريا لداء السل والتشنج المخاضى والصرع أو ما يسميه بالمرض المقدس، كما سجل الملامح المألوفة التى تعلو وجه المحتضر أو الميت. ووجه من أعياه الجوع أو الإسهال أو طول المرض. وهو ما يعرف لدى الأطباء بالوجوه الأبقراطية. وهناك أيضا ما يعرف بالأصابع الابقراطية، وهى أعراض خاصة ببعض أمراض القلب المزمنة اذ تتضخم مفاصل الأطراف، وذلك لعدم استكمال احتراق الأوكسجين .

وبنظرية أبقراط فى الأخلاط الأربعة، يكون قد فتح المجال لبعض النظريات الميتافيزيقية، والحدس والتخمين. (٣١)

• ـــ الطب فى الإسكندرية(مدرسة الإسكندرية):

جاء إلى الإسكندرية إثنان من أكـــبر الأطبـــاء فـــى القديـــم هى."هيروفيليوس الخالكيديسى"،"أرازيستواثوس البيوليسى".أو قامـــا فيها مدرستين متنافستين،ولكنهما موجهتان بنفس المبـــادئ ،ونفـــس الأساليب المتمشية مع مبادىء العلم السكندرى.

• هيروفيليوس الخالكيديسى (٣٢)

ولد فى الثلث الأخير من القرن الرابع فى مدنية خلقدونيـــة وهى مدينة تقع فى بيثينا على مدخل الفسفور وهى وهى مســـتعمرة يونانية(ميجارية) قديمة أسست سنة ٦٨٥ق.م وتعرف حديثـــا باســـم (كاديكوى).وكان "هـــيروفيليوس" أحـــد العلمـــاء الذيـــن اجتذبـــهم (بطلـــيموس سوتر)إلى الإسكندرية فى أوائل القـــرن الثـــالث قبـــل الميـــلاد.وهو أحد مؤسسى النهضة المصرية اليونانية.وهو مؤســـس علـــم التشريح النظامى، وكشوفه تبلغ من كبر العدد وسعة المـــدى حداً لا يستطيع المرء معه إلا أن يحكم بأنه قـــام بفحـــص تفصيلـــى لتركيب الجسم البشرى كله.

ومن أمثلة اكتشافاته وصف مفصل للدماغ، والتمييز بين المخ والمخيخ، والسحايا، قلم الكتابة (منطقة معينة فى الدمـــاغ، وملتقـــى السيالات)، والتمييز بين أوتار العضلات وبين الأعصاب، ووصـــف أعصاب الإبصار، ووصف العين بما فى ذلك (الرتينـــة). ووصـــف الإثنا عشر، والكبد والغدد اللعابية والبنكرياس، والبروستاتا، وأعضاء التناسل، وفرق بوضوح بين الشرايين والأوردة.

وسمى الوريد الرئوى (الشريان الوريدى)، والشريان الرئوى (الوريد الشريانى)، وهى أسماء ظل استعمالها سائداً حتـــى القــرن السابع عشر.

ورأى أن ما يسيطر على الكائن الحى أربعة دوافع : الطعام والحرارة والإدراك والتفكير، وهى مســتقرة فــى الكبــد والقلــب والأعصاب والدماغ على التوالى.

واعتبر "هيروفيليوس" "الدماغ" مركــز الجــهاز العصبــى. وأعطاه كل مكانته كمقر للحياة الفكرية، وهو مقام اعترف لـــه بـــه الكمون Alcmeon وهيبوقراط، إلا أن أرسطو حولـــه إلــى القلــب، واعترف بأهمية البطين الرابع حيث نقطة الروح برأيه(٣٣).

والشرايين فى نظر "هيروفيليوس" أسمك ست مـــرات مــن الأوردة وتحتوى أيضاً على الدم، وليس على الهواء الحيوى، ولكنها بعد الموت تفرغ. وقد أعطى لعلم التوليد وعلم الأجنة دفعـــة قويـــة كعلم نظرى وعملى. وقد أكد هيروفيليوس" بأن الشرايين تتلقى الدم كما تتلقى حركتها من القلب، ودرس بدقة وتيرة النبض واضطراباته بعد أن راقبه بواسطة ساعة مائية. ونظريته حول النبــض ترتبــط بشكل ضيق بنظريته حول التنفــس. وفــرز لأول مــرة القنــوات الكيلوسية عن الأوعية الدموية. ولكن عملها لم يكتشف إلا فى القرن السابع عشر من قبل أسيلى Aselli(٣٤).

- **ارازيستواتوس اليوليسى :**

"ولد فى ايوليس Iulis فى جزيرة كيوس Ceos حوالــــى ٢٠٤ ق.م. ودرس العلوم الطبية فى أثينا حيث تتلمذ على "مـــترودورس"،

وهو الزوج الثالث لإحدى بنات أرسطو وحيث برع فى الأساليب المشائية ثم درس فى (كنيد) حيث تأثر بتعاليم خريسيبوس Chrysip الساب، ومن خلاله تأثر بعقيدة الذريين"(٣٥).

ولقد واصل ارازيستواتوس بحوث هيروفيليوس، وإن كان أكثر انشغالاً منه بالفسيولوجيا، وتطبيق الأفكار الفيزيائية (مثل نظرية الذرة) فى سبيل فهم الحياة (٣٦).

ولقد حقق تقدماً فى مجال فسيولوجيا التنفس، واكتشف دور اللهاة فى عملية التنفس ومنع نزول الطعام السائل أو الصلب إلى القصبة الهوائية. ووصف بدقة بنية ووظيفة الألياف العضلية المعدية. وقد عارض نظرية أرسطو الذى يشبه الهضم بنوع من الطبخ(٣٧).

وتتعلق الكشوف التشريحية له بالدماغ والقلب والجهازين العصبى والوعائى. ولقد شاهد وجود الأوعية الليمفاوية فى المساريقا. واهتدى إلى أن كل عضو يتصل بسائر أعضاء الكائن بواسطة جهاز ثلاثى من الأوعية (شريان ووريد وعصب). ولقد أصاب فى وصف وظيفة الصمامين الأذنيين البطينين (ولقد سمى الأيمن منها ذا ثلاث شرفات) وعرف الأعصاب الحسية والحركية، وشاهد لفائف المخ، ولاحظ أنها أكثر تعقيداً لدى الإنسان منها لدى الحيوان. وقام بتجارب على الأحياء للتحقق من الوظائف الخاصة للسحايا ولاجزاء الدماغ المختلفة، ودرس علاقة العضلات بالحركة.(٣٨)

كان عدواً لدوداً لنظرية الرطوبات التى تســـرف المدرســـة الدماغية فى الاستناد إليها. وهو قلما استعمل فساد العصارة الغذائية إلا ليفسر الشلل والريقان والسكتة الدماغية أو النقطـــة. وبـــرأه أن غالبية الأمراض تتأتى من التجلط، أى من تراكم المـــواد الغذائيـــة السيئة الهضم فى هذا الجزء من الجسم أو ذاك. وهذا التجلط يبرز بشكل التهاب أو شكل حمى، وذلك بسبب مـــرور قســـم مـــن الـــدم الموجود فى الأوردة إلى الشرايين، بفضل زيادة فى الضغط وبـــذات الوقت ينقطع دوران النسمة الحياتية فى جزء من الجسم"(٣٩).

وقد نبغ فى مدرسة الاسكندرية "يوديموس الســـكندرى"، ثـــم كان فى القرن الثالث "سيرابيون السكندرى"، وجوكيـــاس التـــارنتى (القرن الأول ق.م) وأبولونيوس اللكيتونى الذى تفوق فى الجراحـــة. وغيرهم. ويجدر بنا هنا أن نشير إلى جالينوس هذا الطبيب الأهـــر خاصة لدى العرب.

- **جالينوس**

يعد "جالينوس" بضخامة عمله ونوعيته، وكذلك بتأثيره فـــى تاريخ الطب حتى القرن السابع عشر، هو و "هيبوقراط" أكبر أطباء العصور القديمة(٤٠).

وهو ــ أى جالينوس ــ ابن لمهندس معمارى "اسمه الأصلى "أقلوديوس"، ولكن أباه أطلق عليه لقب جالينوس Galenus فيما بعـــد، ومعناه اللطيف الوديع، لأنه كان يريده ألا يتخلق بأخلاق أمّه. درس الطب والفلسفة، وأقام فى مدينة الأسكندرية عدة أعـــوام. ومـــارس

ـ صناعة الطب فى برغاموم مدينته الأصلية بأسيا الصغرى، ثم ذهب إلى روما ليصبح طبيب البلاط".(٤١)

كان "جالينوس" طموحاً، وممتلئاً بالإعجاب بنفسه، وكان نشيطاً متحدياً وماهراً فى إظهار فضله. وقد أظهر طيلة حياته حيوية وخصباً وقوة وانفتاحاً ذهنياً بشكل فريد. وإلى جانب المؤلفات الطبية التى تشكل أكثر من ٥٠٠ عنوان، فقد وضع عدة كتب فى البيان وفقه اللغة والفلسفة كما وضع مطولاً فى المنطق عنوانه : "التبيين العملى" ولا نمتلك منه مع الأسف إلا أجزاء. كما وضع مطولاً فى أهواء النفس وأخطائها.(٤٢)

وكان جالينوس عالماً وخطيباً ــ على حد قول ابن جلجل الأندلسى ــ وله كتاب عنوانه : (فى أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً). ولقد شيد جالينوس صرح الطب باستدلال فلسفى رائع وطرق هندسية دقيقة، صبّ فيها جميع معارف عصره والعصور السابقة. وذلك يصهر كل ما وصل "إلى يديه من معارف وعلوم فى بوتقة واحدة شاملة، مستعملاً فى هذا السبيل الأساليب الجدلية البحتة.(٤٣)

ويمكن تصنيف كتبه الطبية الخالصة تحت العناوين الخمسة الآتية (٤٤)

١.مدخل إلى علم الطب : فنذكر بصورة خاصة المطولات : حول المذاهب والفرق، حول العقيدة الأفضل، حول الطب العملى، وهذه الكتب تمثل بشكل حى تماماً أهم المدارس فى العصور القديمة مع مميزاتها.

٢. العديد من الشروحات حول هيبوقراط
٣. كتب التشريح والفسيولوجيا وتحتوى على القسم الأعمق من نظريته.
٤. رسائل حول أسباب الأمراض والتشخيص.
٥. العديد من الكتب الصحية وخاصة الكتب الستة بعنوان "صحة" ثم علم الأطعمة وعلم الصيدلة، وبشكل خاص الاستطباب، والكتب الأربعة عشر حول المنهج الطبى أو (الميغاتكنى) أو الفنون السامية، وكل هذه الكتب استعملت كإنجيل الفن الطبى طيلة عدة قرون.

وقد أخذ "جالينوس" بنظرية هيبوقراط فى الأخلاط الأربعة، وبذل جهداً كبيراً لرد جميع الأمراض إلى اختلال فى تلك الأخلاط. وكان تأثيره قوياً فى تاريخ الطب مما جعل أخطاءه ذائعة قروناً طويلة.

وقد كان كثير الاعتماد على التغذية والعقاقير والرياضة والتدليك، وكان يسخر من السحر والرّقىَ، والتعاويذ،ولكنه كان يقبل التنبؤ بالغيب بواسطة الأحلام وتعبير الرؤيا. وكان يظن لأهلّة (وجه القمر) تأثيراً فى أحوال المرض.(٤٥)

ومن الجدير بالذكر أن اقتران التشدد فى الدقة العلمية لدى "جالينوس" بالاعتقاد الميتافيزيقى، أدى إلى تحوير وتحريف أفكار كثيرة وتحليلات كانت من الدقة بمكان. وإذا كان "جالينوس" فيلسوفاً إلى جانب كونه طبيباً، إلا أن أفكار المسبقة واعتقاداته أعاقت أبحاثه وشوهت استنتاجاته. "والبديهية الأساسية فى نظامه منقولة عن المبدأ

الثيولوجى الأرسطى : الذى يرى أن كل أقسام الجسم، وكذلك كل ما يتركب منه العالم، خلقت من قبل الكائن الأسمى وفقاً لنظام مسبق.

وكل أعضائنا كيفت من قبل العناية الإلهية لتقـوم بوظائفـها الخاصة"(٤٦). وقد انصب غضبه على الميكـانيكيين والتطوريين والملحدين وكل الذين ينكرون العناية الإلهية. أو الذيـن ينكـرون تدخلها فى تفسير الطبيعة.

وقد كان تأثير الفكر الأرسطى، وتحليله التجريـدى، كبـيراً عليه، مما أوقعه "فى أغلاط رئيسية فى البيولوجيا، وخاصة بنظرية الأمـزجة"(٤٧). وهذا يفسر كيف أن هذا العالم العبقرى بدأ أحياناً أوفى من الأطباء فى عصر تراجان Trajan فـى مجـالى التشريـح والفسيولوجيا.

- **الطب عند العرب قبل الاسلام**

كان العرب على صلة وثيقة فى مصر والفرس والروم، وقد استفادوا من التطورات العسكرية والعلمية والسياسية عندهم، وكذلك استفادوا من الطب خاصة من المصريين والبـابليين. وإن كـانوا يمزجون العلاج الطبى بالكهانة والعرافة، واستخدموا العسل كدواء، كما عالجوا الجسم بالبتر والكىّ والحجامة.

وقد كانت الصلة الوثيقة بين الطب والسحر عائقاً، فقد كـان الطبيب يعد ساحراً أيضاً، يداوى المرضى ويشفى المريض بسحره، كذلك كان الكهان يداوون المرضى، وبالرغم من ذلك كانت للطبيبـة مكانة كبيرة (٤٩).

"لقد كان الساحر هو الجد الأعلى للطبيب، ومن هنا فإن كلمة (طبيب) العربية تعود بنا إلى ذلك الأصل البعيد للطب. فمن معانى الطب فى اللغة (السحر)، والمطبوب هو المسحور، والطابّ هو الساحر يستخدم طبه فى البرء والشفاء.(٥٠)

لقد كان الطب فى الجاهلية طباً بدائياً يقوم على الكهانة والتمائم والتعويذ أكثر منه على الاستقصاء ومعرفة أسباب الداء قبل وصف الدواء. لكن هذا لا يمنع أنه وجد إلى جانب العرافين والكهالن جماعة من الأطباء الطبيعين قدموا لمرضاهم بعض النصائح السليمة، ووضعوا لعلاجهم طائفة من الأعشاب والنباتات ذات الأهمية المعروفة فى العلاج(٥١).

وقد اشتهر من الأطباء العرب قبل الاسلام "الحارث بن كلدة الثقفى" (٥٢)من الطائف، وقد تنقل وذهب إلى بلاد فارس، حيث تعلم الطب هناك فى مدرسة جند يسابور، وقد عاصر صدر الاسلام حتى خلافة معاوية بن أبى سفيان. ومن أقواله الشهيرة :"من سره البقاء، ولابقاء، فليباكر الغذاء، وليعجل العشاء، وليخفف الرداء، ويقل الجماع". "دافع بالدواء ولا تشربه إلا من ضرورة فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد شيئاً مثله"(٥٣).

وقد اشتهر أيضا النضر بن الحارث بن كلدة، وزهير بن جناب، وابن جذيم، ولقمان الحكيم. ومن النساء (زينب) طبيبة بنى أوده.

وقد عرف العرب الكسور والقروح، وحمى الملاريا، ومرض الكبد، ومرض القلب، وذكروا بعض أجزاء الجسم.

ولم يختلف الطب فى صدر الاسلام عما كـــان عليــه فـــى الجاهلية، ولكنه (٥٤). منذ مطلع العصر الأموى بـــدأ يتخـــذ خطـــاً جديداً، وذلك بفعل التأثيرات اليونانية.

وهكذا نجد أن الطب قد مر بمرحل، وتطور خلال حضارات مختلفة، وإن كان قد بلغ أوجه فى الحضارة المصرية القديمة، ثم فى اليـــونان التى انتقلت إليها جميع المعارف المصرية، والتى لم ينتقل منها إلا اليسير إلى أسيا، ثم مدرسة الســـكندرية بعـــد أن أصبحـــت مركزاً للإشعاع فى نهاية العصر اليونانى وبداية العصر الرومانى.

ومن الجدير بالذكر أن هذا العلم، الذى يمثل العصر القديـــم إحتاج إلى وقت غير قصير لكى تعود إليه الحياة مرة أخـــرى بعـــد عصر الترجمة على أيدى العلماء والأطباء فى البلاد التـــى فتحـــها الإسلام. وهذا هو ما سوف نناقشه فيما بعد.

الرياضيات وعلم الفلك

لقد احتاج العلم الرياضى إلى وقت طويل كى يبلـــغ نضجـــة ونجده على الصورة الحديثة التى بلغت مستوى من التعقيد والتركيب يطرد باستمرار مع تطور المعارف وتزاحم المعلومات. فهو يتطلب نوعاً من النظـــر العقلى والتجريد يصعب الوصـــول إليـــه إلا بعـــد إعمال الفكر، وهـــو أمر ليس بوسع الكثيرين، بل هو قمين ببعـــض الأفراد الذين امتـــلكوا قدرة على التجريد، والوصول إلى التصورات والمبادئ العامة فى علوم الرياضيات.

ومن التصورات الرئيسية فى الرياضيات فكرة العدد، ولقـــد احتاج إليها الإنسان فى وقت مبكر جداً من التاريخ، عدد الطرائد أو الأدوات الحجرية.وقد عثر على عظم ســـاق ذئـــب بـــه ٥٥ جـــزءًا مصفوفة ضمن مجموعات من خمسة، وذلك الاكتشاف كـــان ١٩٣٧ فى (فيستونيس Vestonice). كما عثر على رسوم هندسية متعـــددة : نقط، خطوط، دوائر، ودوائر حلزونية، ومربعات ومثلثات. ولم يكن القصد هندسة خالصة بل تزيينـــات علـــى أثـــاث أو علـــى وجـــوه الصخور(٥٥).

ومن الجدير بالذكر أن الرحالة الذين جابوا القارة الأفريقيــــة ذكروا "أنه لا يوجد فى مفردات كثير من القبائل هناك أسماء للأعداد التى تزيد عن ثلاثة. ولو سألنا أحد أفراد تلك القبائل كـــم لـــه مـــن الأولاد؟ أو كم عدوا قتل؟ وكان العدد يزيد على الثلاثة، لكان جوابه (كثيرون)... بل ان بعض القبائل ليس لديه كلمات للعددين(٣)، (٤) وانما يطلقون على العدد (٣) كلمة اثنين ــ واحد، وعلى العـــدد (٤) كلمة اثنين ــ اثنين(٥٦).

ان هذا يوضح ما قطعه الإنسان لكى يرتقـــى ويتقـدم فـــى الرياضيات بدءاً من العد البســـيط ــ انتـــهاءً بالمعـــادلات المعقـدة والتصورات شديدة التجريد.

ومن ضرورات العد ظهرت فكرة الهندسة، فـــى الهندســـة "الأعداد بينها نوع من الانسجام والتناسب ولكل مـــن هذيـــن معنـــاه الجمالى أو الفنى. وأشد ما يظهر ذلك فن الزخرفـــة. فالتركيبـــات المنتظمة المتكررة التى هى قوام الزخرفـــة ميـــدان فســـيح للعمـــل الهندسى والخلق الفنى"(٥٧).

ولقد بدأ الانسان منذ القدم مراقبا للكواكب والنجوم ويرصـــد حركاتها ويدرس ظواهرها فى الليل والنهار متسائلا عـــن طبيعتـــها وعن أحوالها . وتشير دراسة علم النجوم فى العالم القديم الى أنـــه كانت هنــــاك عبـــادات شمســـية وقمريـــة "فشعـــوب الميجـــاليتيك Megalithique حفر منجموها الأوائل فى الصخـــــر رســـوم بعـــض المجرات التى تسهل معرفتها مثل الدب الأكـــبر والـــدب الأصغـــر

والثريات. وكانت كل نجمة تمثل بجورة صغـــيرة محفـــورة فـــى الصخر" (٥٨).

وقد سبق علم التنجيم Astrologie علم الهيئة أو علـــم الفلـــك Astronomie وظل وجوده قائما على الرغم من وجود علـــم الهيئـــة (الفلك). وقد نشأت الخرافات والأساطير عن تأثير النجوم فى حياة الانسان وأحواله فى الصحة والمرض، والسعادة والشقـــاء ... الـــخ (٥٩).

وهكذا كانت بدايات علم الرياضيات وعلم الفلك بداية سحرية، ثم تقدمت بخطوات متئدة حتى دخل الانسان التاريخ وبدأت المعارف والمعلومات تتجمع لديه، وتحسنت أدواته، فانزاح جزء غير يســـير من الخرافة، وبدأت أنوار العقل تظهر رويدا رويدا ..

مصر القديمة

من الثابت اليوم أن أقدم الآثار الرياضية قد أتت من مصـــر وبابل، وكان الاتصال بين مصر والإغريق وثيقا، وهناك نظريـــات كثيرة تعزى الى اليونان بينما هى من صنع علماء مصريين. ولقـــد نسب "هيرودوت Herodote" الى المصريين اختراع الهندســـة التـــى نقلها الاغريق الى بلادهم. كما استطاع ايمحوتب Imhotep المهندس المعمـــارى أن يرفع هرما بأربعة زوايا ثـــم بســـت زوايـــا فـــوق مصطبة. ولقد انحنى أرسطو، وديمقريطس أمام العلـــم المصـــرى. اننا أمام التحكم الذى أبداه المهندسون المصريون فى معالجة مشاكل

البناء نضطر – على حد تعبير رنيه تاتون – إلى الاعتراف لهم بالتمتع بمعارف مفقودة اليوم (٦٠).

وقد حظيت العلوم فى مصر بالاهتمام بالتجربة والمشاهدة، والمتابعة الدقيقة، مما كان له أثره فى النتائج العلمية . ولقد كان للنيل أكبر الأثر فى نشأة الهندسة فى مصر، ثم اتقان عمليات البناء. فقد عنوا بتسجيل ارتفاع وانخفاض النيل وحسابهما حسابا دقيقيا. فكان المساحون والكتبة لا يتوقفون عن قياس الأراضى التى محا الفضيان معالم حدودها. وهناك شبه اجماع على أن علم الهندسة من وضع المصريين، كما أن الوثائق الرياضية يمتد تاريخها من ٣٥٠٠ ق.م الى ١٠٠٠ بعد الميلاد، وهى مكتوبة باللغة المصرية والقبطية واليونانية وتحتوى على العديد من المسائل الحسابية. ففيها عمليات الطرح والجمع والضرب والقسمة. ولكنهم كانوا يجرون عمليات الضرب على أساس الجمع، والقسمة على أساس الطرح، كما عرفوا كثيرا من خواص الأعداد والكسور ومساحة الدائرة (٦١).

ومنذ بدايات التارخ المصرى نجد نظام عدد عشرى، "واذا كان هذا النظام يتضمن اشارة خاصة للمليون،فإنه بالمقابل لم يعرف الصفر، رغم أن بعض الكتاب فى بعض الأحيان كانوا يشعرون بوجوده فيتركون فراغاً حيث نكتب نحن رقم الصفر، كما تتضمن الكتابات المصرية إشارات خاصة للآحاد والعشرات والمئات والألوف وعشرات الألوف ومئات الألوف والملايين" (٦٢).

وقد جعل المصريون الواحد خطأ قائما، والاثنين خطين .. وجعلوا للعشرة علامة ∩، وجعلوا Ω علامة للعشرة ملايين، وكان

عنـــدهم ترقيم للكسر الاعتيادى ($\frac{١}{٤}$، $\frac{١}{٦}$، $\frac{١}{١٢}$ ، $\frac{٢}{٩٨}$ ...) وقد جعلوا علامة بيضاوية فوق العدد للدلالة على الكسر مثل :

$\overset{\circ}{III}$ أى ثلث، كما كتبوا $\frac{١}{٨}$ هكذا: ≗ فى أيام أحمسو (الكـــاتب الفرعونى القديم)، وكذلك $\frac{١}{٢}$ هكذا $\frac{\cdot}{٨}$ وكانوا يجعلون الكســـر ذا الصـــورة الكبيرة كسورا ذات صور مفــــردة مثــل $\frac{٣}{٨}$ فانـــهم يكتبونها فى صورة (أى كما يكتبون) $\frac{١}{٤}$ $\frac{١}{٨}$(٦٣).

وعرف المصريون أيضا عميات الضرب والقسمة للأعـــداد الصحيحة والكسور .

ويتيح لنا المثال الآتى فهم عمليات الضرب. فنفترض أنـــه يجب ضرب ٧x١٣ . نجد الكاتب يتصرف بالشكل الآتى :-

	٧	-١
	١٤	٢
	٢٨	-٤
المجموع	٥٦	-٨
	٩١	

فهو يكتب فى العمود الأيمن العدد المضـــروب بـــه وفـــى الأيسر - ١- ثم يضيف أعداد العمودين الى أن يحصل بالجمع على العدد حاصل عملية الضرب النهائى.

وفى المثال الذى اخترناه حصلنا على ضرب ٧x١٣ بحاصل جمع ما يقابل ١+٤+٨ فكانت النتيجة ٧+٢٨+٥٦ وبجمعها تكـــون النتيجة ٩١ كما قدموا عمليات ضرب فيها العلامات العشرية. وكذلك قدموا عمليات القسمة باسلوب معاكس للضرب .

مثال: تقسيم ١٦٨ على ٨

٨	١-
١٦	٢
٣٢	٤-
٦٤	٨
١٢٨	١٦-
المجموع	٢١

وبعد هذا يفتش فى العمود الأيمن (وليس فى العمود الأيسر) عن الأعداد التى اذا جمعت تعطية ١٦٨ فـــهى فـــى هــذا المثـــال ١٦،٣٢،٨. فاذا جمعت أعطت النتجة المطلوبة (٦٤).

كما أجروا عمليات الضرب والقسمة على الكسور ووصلـــوا إلى عمليات معقدة،وإلى نتائج صحيحة .كما أجروا عمليات حســـابية تشمل رفع العدد إلى مربعه ،أو استخراج الجذر الـــتربيعى.وكـــانوا يسمون الجذر التربيعى (زاوية أو كوان coin)وهذه الكلمة مشتقة من صورة مربع مقسوم بخط مائل.ويدل كم كان المصريون ملـــتزمين بالواقعية فى مجالات لجأت فيها بقية الشعوب إلـــى التجريـــد.وفـــى البرديات(فى بردية برلين) نجد الكاتب استخرج الجـــذر الـــتربيعى للأعـــداد $\frac{١}{٤}$ ٦ و $\frac{١}{٢}$ ١ + $\frac{١}{١٦}$ (٦٥).

ولقد عمل الكاتب المصرى مثل عالم الجبر المعاصر .ولكن أخذ كأساس العدد(واحد) بدلا من(X)و(س)واســـتنادا إلـــى هـــذه الملاحظة لم يتردد بعض الأخصاصيين الذين لا يظـــن بـــهم أنـــهم يبالغون فى تقدير الفكر العلمى المصرى من أمثـــال((و.نوجيبـــور

Neugebauer)) فى أن يروا فى هذا الحل الدليل على أن المصرين قد إستعملوا المعادلات من الدرجة الثانية.(٦٦)

وكان عند المصرين علامة على الجذر التربيعى ⎾ .وكانوا يسمون العدد المجهول "كومة" كما عرفوا المعادلة: س٢ + ص٢ =١٠٢

(أى معادلة الدرجة الثانية)وهى الأساس نظرية فيثاغوررس الشهيرة أ٢ = ب٢+جـ٢. كما عرف المصريون المتوالية الحسابية، والمتوالية الهندسية، خاصة ما جاء فى بردية منسوبة إلى الكاتب المصرى (أحمسو)(٦٧).

بالإضافة إلى الحساب والجبر، نجد أن مصر القديمة كانت متقدمة جداً فى الهندسة، ويشهد على ذلك الأهرام.

ففى نحو ٢٩٥٠ ق.م بنى المهندس أمحوتب هرم سقارة المدرج وجعل ارتفاعه مائتى قدم. وبعد نحو قرن (٢٨٨٥ ق.م) كان بناء هرم الجيزة الأكبر. ولهذا الهرم قاعدة مساحتها ٥٣,٠٠٠ متر مربع وضلعه عند القاعدة ٢٣٠ متراً، وارتفاعه ١٥٠ متراً. ولقد دخل فى بناء هذا الهرم ٢,٣٠٠,٠٠٠ حجر زنة كل منها طنان ونصف طن. غير أن براعة المهندسين المصريين لم تكن فى ضخامة هذا الهرم وحدها، بل فى دقة مقاييسه أيضاً. إن الاختلاف فى أضلع المثلثات عند القاعدة يبلغ واحداً من أربعة آلاف. وهناك أيضاً اختلافات فى انحدار السطوح وفى خطوط التقائها لم تكتشفها لضآلتها سوى الآلات البصرية الحديثة. وزوايا الهرم الأكبر تتجه إلى الجهات الأربع اتجاهاً صحيحاً(٦٨).

وقد جاء فى بردية (بابيروس Papyrus) رقم حساب لمساحة المثلث وذلك بضرب الارتفاع × نصف القاعدة(٦٩).

وحسب (أحمسو) فإن محيط الدائرة (ط) منسوباً إلى القطر = $\left(\frac{١٦}{٩}\right)^{٢}$ = ٣,١٦٠٤وعرفوا أن المثلث الذى تكون نسبة بعض أضلاعه إلى بعضها الآخر : ٣،٤،٥ هو مثلث قائم الزاوية. أما قياس زيادة النيل وضبط الفيضان، وتوزيع مياه الرى، فبلغ المصريون فيه الغاية. ولما خطر ببال ابن الهيثم (ت٤٣٠ هـ / ١٠٣٩م) أن يصنع تدبيراً يضبط به فيضان النيل، ثم درس ما صنعه قدماء المصريين، أدرك أنهم قد وضعوا نظاماً للرى لا سبيل إلى تحسينه، فى ما كان هو يدرى(٧٠).

وقد توصل المصريون إلى قياس الأحجام، وكان تركيزهم على الأحجام ذات النفع لهم، مثل الهرم، جذع الهرم، الأسطوانة، فكانوا قبل إنشاء الهرم يحسبون حجمه، وحجم الآجر (الأحجار) المطلوبة، ووسائل النقل، وزاوية الانحدار والارتفاع، وعدد الأحجار المطلوبة، ومقاساتها.

حجم جزع الهرم : إذا فرض أن ع الارتفاع،أ ضلع القاعدة السفلى، ب ضلع القاعدة العليا فإن النتيجة التى توصل إليها المصريون بعد عمليات حساب متعدد وهى كالآتى الحجم = $\frac{ع}{٣}$(أ^{٢} +أب +ب^{٢})(٧١).

وفى الفلك اهتم المصريون بمعرفة الزمن لمعرفة الفيضان. وكانوا يحسبون بالقمر، ولكن وجدوا أن الفيضان مرتبط بالفصول، أى بالشمس، فانتقلوا إلى الحساب بالشمس، وعرفوا (الساعة

الشمسية) فى نحو ١٥٠٠ ق.م، واستطاعوا بواسطتها حساب الزمن بدقة(٧٢).

وقد قسم المصريون السنة إلى اثنى عشر شهراً، وكل شهر ثلاثين يوماً، ووزعت الأيام ٣٦٠ إلى ثلاثة فصول متساوية، خمسة أيام زيادة على السنة، عرفت بالأيام الزائدة. والشهور موزعة على ثلاثة فصول، كل واحد منها أربعة أشهر هى (١) الفيضان (٢) الشتاء (بيرت) أى خروج الأراضى من الماء (٣) الصيف : شيحو (نقصان الماء). وكان يحدد العصر ببداية حكم الملك. مثل : السنة ٣، الشهر الثالث من الفيضان، اليوم الأول، فى ظل جلالة ملك مصر العليا والسفلى، نعمت رع (أمنحات الثالث). كما عرفوا تقويماً يرتكز على ملاحظات فلكية تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد(٧٣). وقسموا اليوم إلى اثنتى عشرة ساعة نهارية ومثلها ليلية. واستخدموا الساعة الشمسية والمائية. وقد شهد أرسطو (٣٨٤ ــ ٣٢٢) ق.م بما قدموه فى مجال الرياضيات، وتتلمذ على أيديهم اليونان وفلاسفتهم : طاليس (٢٤ ــ ٤٦) ق.م ، فيثاغورس (٥٧٢ - ٤٩٧) ق.م وأفلاطون (٤٢٧ ــ ٣٤٧) ق.م وغيرهم(٧٤).

• بلاد ما بين النهرين :

إذا تركنا الرياضيات المصرية وانتقلنا إلى الرياضيات عند السومريين وأعقابهم البابليين والكلدانيين، أو قل رياضيات ما بين النهرين، وجدنا أن الباحث فى هذه الرياضيات أقل توفيقاً من زميله الباحث فى الرياضيات المصرية. ذلك بأن لفائف البردى التى

خلفها المصريون تتسع للنصوص المطولة على حين أن ألواح الطين التى جـاءتنا من بلاد ما بين النهرين لا تتسع إلا لنصوص مقتضبة وقصيرة جداً، فضلاً عن أنها معرضة للكسر والضيـاع، فيصعـب حينئذ تتبع نصوصها المبعثرة فى ألواح متفرقة هنا وهناك. يضاف إلى ذلك أن هـذه الألواح غير مؤرخة، اللهم إلا إذا كـان موضـع العثور عليها معـرفة شبه دقيقة، كأن يعثر عليها المنقبون فى طبقة أثرية معينة(٧٥).

وقد اتضح من التراث الذى وصلنا أنهم وصلوا إلى حلـول المسائل ولكن دون الانتهاء منها إلى قانون. وقد عرفـوا المثلـث والمربع والدائرة والهرم، كما عرفوا الحصول على مساحة المثلـث القائم الزاوية، ومساحة المستطيل وحجم الهرم(٧٦).

كان الترقيم فى النصوص الرياضية مواقعى وأصله سـتينى، وهو أساس غير معروف فى النظام العادى. وبصورة أوضح يترك هذا الترقيم القيمة الذاتية لوحدات الصف الأول، ويضـرب بسـتين (٦٠) وحدات الصف الثانى، ويضرب بـ (٦٠) وحـدات الصـف الثالث، وهكذا دواليك.

إن العدد الذى يكتبـه البـابليون 3.2.7 يعنـى : 7+ (2x60) $(3x60)^2$.

ولم يعرف السومريون والأكاديون النقود. ولكنهم اسـتعملوا كأساس تبادل الشعير ثم أضافوا إليه النحـاس والفضـة والسـبيكة وأحياناً الرصاص. واستعملوا الذهب أيضاً ولكن بشكل نـادر فـى زمن السرجـونيين. وفى سنة ٤٩٣ ق.م صدر أمر من "داريـوس

الأول" فقضى بفرض العملة المسكوكة من الفضة للاستعمال في الامبراطورية الفارسية ومنها بابل (٧٧).

ونجد في بعض المستندات جداول بمربعات، وبالجذور التربيعية وبالمكعبات والجذور التكعيبية. وفي هذه الجداول تتناول الجذور دائماً المربعات أو المكعبات الكاملة. وكان البابليون يكتبون تقريبات ممتازة للجذر التربيعي(٢) .وعرفوا معادلات من الدرجة الأولى، والدرجة الثانية مثل قولهم (ما طول كل ضلع من أضلاع مستطيل إذا كان مجموع مساحته والفرق بين ضلعيه يساوى ، ١٨٣ والفرق بين ضلعيه ٢٧، وتكتب المعادلة هكذا :

(س×ص)+ (س ــ ص) = ١٨٣ س = الطول

س+ص = ٢٧ ص = العرض

كما عرفوا نسبة محيط الدائرة إلى قطرها وكانت = ٣ بينما هي كما عرفت لدى المصريين القدماء، وفي العصر الحديث = $\frac{٢٢}{٧}$ = ٣,١٤

وعرف السومريون المعادلة : $(أ+ب)^{٢} = أ^{٢}+٢أب+ب^{٢}$(٧٨)

وربط البابليون معرفتهم الفلكية بنظامهم السداسي في الحساب. ولما كانت الدائرة عندهم مقسومة ٣٦٠° جعلوا محيط الأرض ومحيط الفلك مثل ذلك ثم جعلوا اليوم الطبيعي، الليل والنهار ٢٤ ساعة (٦×٤). والساعة ستين دقيقة، والدقيقة ستين ثانية. وربما كان للقمر أثر في تنبههم النظام السداسي لأن القمر يولد في ثلاثين يوماً (٥×٦) تقريباً، كما أن السنة القمرية اثنا عشر شهراً (١٢ =

٢×٦). وعظم البابليون الرقم ٧ فأولوا الأيام ٧، ١٤، ٢١، ٢٨ من كل شهر اهتماماً خاصاً. وجعلوا الأسبوع سبعة أيام. وجعلوا كل شهر يبدأ باليوم الأول من الأسبوع(٧٩).

أما الكلدانيون فقد ربطوا أيام الأسبوع بالكواكب الخمسة (عطارد، والزهرة، والمريخ، والمشترى، وزحل) وبالشمس والقمر... وفى عام ٣٧٩ ق.م استطاع "كيدنو" أن يصنع جداول لأرصاد جمعت فى ثلاثمائة سنة(٨٠).

كما عرف البابليون أدوات الرصد مثل المزولة الشمسية، وعرفوا أيضاً الساعة المائية. وكان البابليون يقسمون اليوم إلى ١٢ قسماً متساوياً هو البيرو Berou ويعادل كل قسم ساعة مزدوجة، وطبقاً للنظام المتبع لديهم كانت الساعة المزدوجة تقسم إلى ٦٠ دقيقة مزدوجة، والدقيقة المزدوجة إلى ٦٠ ثانية مزدوجة.

• **الهند والصين**

جعل الهنود للترقيم علامات مستقلة وأوجدوا الصفر ولكنهم فعلوا ذلك فى وقت متأخر. ثم أنهم لم يستفيدوا من الأرقام التى وضعوها ولا من الصفر الذى أوجدوه. ومن أشهر رياضييهم : "آريه بهاتا" فى القرن الخامس الميلادى، و"براهما غبتا" فى القرن السادس الميلادى.

وما تركه هذان العالمان، يدل على ما لليونان من أثر فى حضارة الهند. كما عرفو الهنود المتواليات الحسابية والهندسية، ولكن فى وقت متأخر نسبياً، وقالوا بالكميات السالبة وفرقوا بينها وبين الكميات الموجبة وحلوا معادلات الدرجة الثانية. وعرفوا القيمة

التقريبية لـ (π) نسبة محيط الدائرة إلى القطر فى الدائرة وقــد حددها أريه بـ ٣,١٤١٦ أو $\frac{٣٩٢٧}{١٢٥٠}$ ولكنه كان يستعمل لها $\sqrt{١٠}$ = ٣,١٦٢٢٧٧٧(٨١)

وقد عبر عن هذه النسبة π بـ ٦٢٨٣٢ وهى تقريبا محيط الدائرة الذى قطره (٢٠ ألف) أى أن π = ٦٢٨٣٢ ÷ ٢٠٠٠٠ = ٣,١٤١٦. فهو يعطى أحيانا مثلا يمكن أن نستخلص منه قاعدة عامة دون أن يعطى قاعدة عامة بالذات. وفى بعض الأحيــان الأخــرى يعطى القاعدة العامة(٨٢).

وقد عرف الصينيون العمليات الحســابية الأربــع (الجمــع، والطرح، والضرب والقسمة). واستخرجوا الجذر التربيعى، واتخذوا الأحرف رموزا للأعداد. وحددوا فــى الهندســة الخــط المســتقيم والنقطة، وعرفوا المثلث القائم الزاوية والنسبة بين أضلاعه إذا كانت ٣،٤،٥ فاقتربوا بذلك من نظرية فيثاغورس(٨٣).

ونجد فى القرن الثالث من العصر المسيحى عالما رياضيا هو اليو هوى Lieou Jouei حسب قيمة π ونشر كتابا ســنة ٢٩٣ اســمه (مصنف حساب الجزر البحرية) وفيه يعالج قياس المسائل الرياضية التى لا تدرك عن طريق المثلث القائم الزاوية.

وقد درست المسائل الرياضية التى طرحتها الموسيقى منــذ العصور القديمة فى كتاب اسمه (الربيع والخريف عند المعلــم ليــو Liu) عثر على قاعدة صنع القصبات الاثنى عشرة التى تعطى الأثنى عشر نغما ثابتا فى السلم (٨٤).

وقد كانت نشأة الفلك عند الهنود والصينيين متأخرة في الزمن. وقد عرف الصينيون خسوف القمر، وكسوف الشمس، ووضعوا التقاويم، ورصدوا الكواكب السيارة، وقد اخترع أحد العلماء ١٣٢م آلة لتسجيل الزلازل وعرفوا أن السنة $\frac{1}{4}$ ٣٥٦ يوماً. كما علل الهنود الكسوف والخسوف أيضاً، وقالوا بكروية الأرض ودورانها حول محورها (٨٥).

وفى الهند نجد الأسبوع الذى يتألف من سبعة أيام تسمى بأسماء الكواكب، وبنفس الترتيب كما فى النظام اليونانى. وكان الاقتباس عن النظام اليونانى واضح بهذا الشأن وقد جعلوا السنة ستة فصول (بدلاً من الفصول الفيدية الثلاثة) وكل فصل منها شهران وهى كالآتى :

فيزنتا (الربيع)
غريشما (الفصل الحار)
فارشا (الأمطار)
شاردا (الخريف)
همنتا (الشتاء)
سيسيرا (المعتدل)(٨٦)

• **الأغريق**

لايرتكز تاريخ الرياضيات اليونانية ــ على حد قول تانون ــ قبل اقليدس Eaclide إلا على القليل من المستندات الصحيحة. كما أن الشهود الأكثر ثقة ومن بينهم أفلاطون وأرسطو. لم يكونوا على حد

قوله. من ذوى الكفاءة الممتازة، ولذا فشهادتهم ليست بمعزل عن كل انتقاد.

وإذاً و بشكل خاص، فالمقارنة بالرياضيات المصرية والبابلية من جهة، وبالهلنسية (مدرسة الاسكندرية) من جهة أخرى. تمكننا من إعادة تكوين تاريخ الرياضيات، إنما بشكل افتراضى أيضاً(٨٧).

ولقد اهتم اليونانيون بعلم الحساب منذ أيام فيثاغورس (ت ٥٠٣ ق.م) ولكن اهتمامهم كان منصباً على الجانب النظرى منه (خواص الأعداد) : النسب العددية، وجداول الأعداد، وقد كانت الرياضيات محكومة برؤية فلسفية : هى فكرة أن كل شئ عدد. وأن الأعداد هى نماذج للأشياء. ومن هنا كانت خرافة التحسيب Arithmos التى من مظاهرها اعطاء بعض الأعداد، وخاصة العشرة الأول، قدرات سرية(٨٨).

والعدد الفيثاغورى مقدار وشكل، ولا يرمز إليه برقم، وإنما يأخذ شكلاً هندسيّاً، ولا يصلح فى الحيز العلمى. فالواحد : نقطة (.) والاثنان : خط ـــــ والثلاثة : مثلث △، والأربعة مربع □، وهكذا.

والعدد نوعان : الفردى والزوجى. الفردى : ويسمى بالمحدود لأنه لا ينقسم إلى قسمين متساويين إلا بكسر الوحدة : ٣، ٥، ٩، ١١،......الخ.

والزوجى : اللاّمحدود لأنه ينقسم إلى قسمين متساويين دون كسر الوحدة : ٢،٤،٦،٨، ١٠، ١٢....الخ (٨٩).

ولقد عرف اليونانيون المتوالية الحسابية والهندسية.

وقد تردد على مصر عدد من العلماء والفلاسفة اليونـــانيين طلباً للعلم ــ وللهندسة بصفة خاصة ــ منهم طاليس، وفيثــاغورس، وأفــلاطون، وديمقريطس. فقد تعلم طاليس كيف يقيس ارتفاع مبنى وهو بعيد عنه، أو يستخرج بعد سفينة فى عــرض البحــر وهــــو موجود على الشاطئ. وتنسب إليه نظريات هندسية منها : الدائــــرة ينصفها قطرها ــ الزاويتان عند قاعدة المثلث المتســـاوى الســـاقين مـــتساويتان ــ وإذا تقاطع خطان مستقيمان فالزاويتـــان المتقابلتـــان بالرأس والناشئتان عن تقاطعـــهما متســـاويتان. وأيضـــاً الزاويـــة المحيطية ــ أى التى تقع رأسها على محيط الدائرة ويمر ضلعاها فى نهايتى ـ القطر ـ تكون زاوية قائمة. وكذلك تكلم عـــن تطـــابق المثلثين بتساوى ضلع وزاويتان مجاورتان فى أحدهما نظائرهما فى الآخر(٩٠).

ومن الجدير بالذكر أن الرياضيات اليونانية ــ رغم ذلـــك ــ كان يغلب عليها الجانب النظرى علـــى العكـــس مـــن الرياضيـــات المصرية التى كانت تميل إلى الجانب العلمي.

وقد كان نظام العدّ عند اليونان خليطاً مشوشاً من العشـــــرى المصرى والبابلى الخالى من الصفر، والنظام الأثنى عشر والستينى السومرى. كما عرف اليونانيون الكسور، وكانوا يقسمون الكسر إلى عدة كسور مثل :

$$\frac{٢٣}{٣٣} = \frac{١}{٢} + \frac{١}{٨} + \frac{١}{٦٦} + \frac{٢٢}{٧}$$ (٩١).

ولاتوجد معلومات مدونة موثوق فيها عن الجبر لدى اليونانيين قبل القرن الثالث قبل الميلاد. فالجبر تراث مصرى بابلى أكثر منه اغريقياً.

وقد اهتم (أبولونيوس) بنظرية القطوع المخروطية، وحاول أن يفهم أشكالها، ومواضعها، فضلاً عن ادراك ما بينها من علاقات من الممكن أن تفرق بين كل نوع منها. كما اهتم أرشميدس بعمليات التربيع(٩٢).

وقد بلغ هيبوقراط أشده عام ٣٤٠ ق.م واستطاع أن يقع فى أثناء محاولته لتربيع دائرة — على حالة خاصة واحدة يمكن فيها تربيع الهلال.

أما أويدوكسوس (ت ٣٥٥ ق.م) فقد قيل أن الباب الخامس من كتاب الأول لإقليدس هو من وضعه. كما أضاف (أويدوكسوس) الكثير إلى الهندسة الزراعية. كما برهن على أن الهرم يعادل ثلث المنشور فى الحجم. وأن المخروط يساوى ثلث الاسطوانة فى الحجم، إذا كانت قاعدة كل زوجين وارتفاعهما متساويين.كما رأى أن نسبة دائرة إلى أخرى فى المساحة كنسبة مربعة نصف قطرها أحدهما إلى مربع نصف قطر الدائرة الأخرى(٩٣).

- **مدرسة الاسكندرية**

يعتبر اقليدس (النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد) من أقدم رجال العلم وأعظمهم الذين ارتبطوا بالعاصمة الجديدة (الاسكندرية). ومن أهم ما نسب إليه كتاب (الأصول) : وهو أقدم

وأوسع كتاب توصلنا إليه فى الهندسة، وسرعان ما تحققت أهميته. وهو ينقسم إلى ثلاثة عشر كتاباً(٩٤).

وعلى كل حال فإنه من دراسة أعمال اقليدس، يبدأ فحص الرياضيات" الاسكندرية".الهندسة المستوية.ولقد تضمن هذا المجمل العظيم الأثر فى المقام الأول كتاب العناصر وهو مؤلف ضخم من ثلاثة عشر كتابا ساد،حتى القرن الأخير،فى الرياضيات الأولية(٩٥).

لقد توصّل إقليدس إلى العديد من المسلمات المقرونة باسمه ومن هذه المسلمات،تلك المسلمة التى كان لها الفضل أكثر من شيء أخر فى تخليد اسم (إقليدس) ومنطوقها:

"إذا قطع مستقيم مستقمين، وكان مجموع الزاويتين الداخليتن فى نفس الجانب أقل من قائمتين،فان المستقميين إذا مدّا بدون حد يتلاقيان على نفس الجانب الذى تكون فيه الزاويتان اقل من قائمتين."(٩٦)

ويمكن أن نطلق على المجلد الثّانى من كتاب"الأصول": (كتابا فى الجبر الهندسى)،فقد ذكرت مسائل الجبر فى قالب هندسى، وحلّت بالطريقة الهندسية.ونضرب مثلا لذلك بأنه حاصل ضرب أ،ب قد مثلث بمستطيل طول ضلعيه أ،ب، كما أنّ استخراج المربع قد اختزل الى إيجاد مربع يساوى مستطيلا معينا،وهكذا. وقد برهن قانون التوزيع والتبادل فى الجبر هندسياً. كما انه إستطاع انه يقدم لنا كثيرا من المتطابقات.حتى ما كان منها كثير التعقيد، فى صورة هندسية بحتة.

ونضرب مثلا لذلك ٢(أ^{٢} +ب^{٢})(أ+ب)^{٢}+(أ-ب)^{٢}.(٩٧).

اما "ارشميدس" السـيراكوزى الـذى اشتـهر باختراعاتـه المكانيكلية ودفاعه الحكيم عن وطنه،فقد اشتهر بكتاباتـه الرياضيـة أيضا.وقد وصلتنا مجموعة من اعماله مرتبـة،مـا أمكـن يجـب تواريخها، وهى:

١ـ الكتاب الأول: فى توازن السطوح

٢ـ مذكرة حول تربيع القطع المكافئ parable

٣ـ الكتاب الثانى فى"توازن السطوح"

٤ـ الكتابان حول الفكرة والاسطوانة

٥ـ كتاب اللوالب الحلزونية

٦ـ كتاب اشباه المخروطات وشبه الكرة

٧ـالكتابان حول الأجسام القائمة

٨ـ قياس الدائرة

٩ـ كتاب الى ارانوستينEratosthene حول المنهج وهو نوع من الوصية حيث يكشف جزئيا عن سر اكتشافاته(٩٨)

وان هذا التعدد لأعمال أرشميـدس لكـاف لإظـهار عمـق أرشميدس الذى لايمكن تصديقه بسهوله فى التفكير الهندسى .فهو لم يكتف بأن يسال أسئله ذات أصالة وأن يحصل على نتائج لـم يفكـر فيـها أحد فى عصره،وانما استخدم طرقاً حاسمة وفريدة،فقد استطاع ايجاد مساحة اشكال الأشكال المحدودة بمنحنيات،وايجـاد مسـاحة السطوح المنحنية واحجامها. اما فى الحساب،فقد تأثر أرشميدس بـا لضعف المتأصل فى النظام العددى اليونانى، سواء عبّر عنـه بـا لحروف او الرموز.وهذا الضعف هو أحـد متناقصـات الحضـارة

اليؤنانية، حيث قنع قادة الرياضيات القدامى بأسوأنظام عددى يختفى أساسه خلف رموز غير ملائمة(٩٩).

أما أبولوينوس Apollonius، فقد عاش فى أوخـــر القــرن الثالث وبداية القرن الثانى قبـــل الميـــلاد فـــى الاســكندرية وفـــى افيز Ephesel وفى برجامPergame.وكـــان مؤلفـــه الرئيســـى (حـــول المخروطات) يتضمن ثمانية كتب. السبعة الأولـــى منـــها مـــاتزال موجودة حتى الآن، أربعة باليونانية والثلاثة الباقية بالعربية(١٠٠).

ويمكن تلخيص محتوى" القطوع المخروطية" فيمايلى:

١ــ توليد القطوع المخروطية الثلاثية

٢ــ الخطوط التقريبية، المحاور،الأقطار

٣ــ تساوى الأشكال أو تناسبها،الأوتار،الخطـــوط التقريبيـــة، المماسات،بؤرتا القطع الناقص والقطع الزائد

٤ــ القسمة التوافقية للخطوط المستقيمة، المواضع النســـبية لقطعين مخروطيين، تقاطعها،لايمكن أن يقطع أحدها الأخر فى أكثر من أربع نقط.

وكما ذكر أبولونيوس فى مقدمة كتابه الأول، فإن الكتب من الأول إلى الرابع ما هى إلا مقدمة مبدئية، بينما ما تليها تحتوى على نظريات أخرى لطلاب البحث المتقدمين

٥ــ النهايات الصغرى والعظمى (يعتبر هـــذا أحســن مـــا أنتج)،كيف نجد أقصر وأطول الخطوط التى يمكن أن ترسم من نقطة ما إلى قطع مخروطى،المنشآت،مراكز اللثام.

٦ـ تشابه القطوع

٧ـ الأقطار المترافقة(١٠١).

ومن أشهر العلماء فى هذه الحقبة وأشدهم تأثيرا فى الشرق والغرب، بعد أرسطو، بطليموس القلوذى(ت نحو ١٧٠م) ولــد فــى صعيد مصر،ونشأ فى الاســـكندرية. وكــان عالمــا فــى الفلــك والرياضيات والجغرافيا والعلوم الطبيعية،وقد اقترن اسمه بكتاب لــه إسمه (المجسطى)،واسم هذا الكتاب فى اليونانيــة هــو:"التصينيــف العظيم فى الحساب" ولعل العرب نحتوا إسم هذا الكتاب من نقطيــن فى عنوانه. وهو دائرة معارف فى علوم الفلك والمثلثات. والأرض عند بطليموس شبيهة بالكرة، وليست كرة تامة، وهى ثابته فى مركز العالم. وقد قدم الكثير فى علم الفلك والرياضيات(١٠٢).

وهكذا نجد أن الرياضيات والفلــك قــد عــبرت العصــور، وانتقلت الأفكار والنظريات والتطبيقات من حضارة إلــى حضــارة حتى وصلت إلى نهاية المطاف فى العصر القديم، وقد سادها التطور ذلك فى انتظار الحضارة الفتية الجديدة التى سوف تتلقفها بنهم شديد فتهضمها وتضيف إليها،وتحفظــها..الأ وهــى الحضــارة العربيــة الإسلامية.

الفيزياء والميكانيكا

فى نحو عام ٥٠٠٠ق.م عرف المصريون معـــدن النحـــاس واستخدموه فى أشياء كثيرة، ثم اكتشفوا عددا من المعادن، وتعلمـــوا مزاج النحاس بالقصدير للحصول على النحاس الأصفر نحـــو عـــام ٣٠٠٠ق.م ولمـــا حلل العلماء المعـــاصرون عـــددا مـــن الأدوات المصنـــوعة من النحاس الأصفر وجدوا فيها من القصدير مقـــادير تبلغ من ٣%إلى ١٤%، كما وجدوا فى بعضها مقادير يســـيرة مـــن الحديد والنيكل والزرنيخ والكوبالت. كما مزج المصريـــون الذهـــب بالفضـــة من عام ٣٠٠٠ق.م. وقد كانت الفضة أندر وأغلـــى ثمنـــا ومن أجـــل ذلك كان المصريون يصنعون الحلى مـــن الفضـــة ثـــم صنعوها من الذهب. كما صنعوا الزجاج من الرمل بنسبة تـــتراوح بين (٦٦-٧٣)% مضافا إلية مقادير من اوكسيد الصيوديوم، والجير الحى، وأكسيد الحديد المائى، والبوكسيت(أوكسيد الألمنيوم) وأكســـيد المنجنيز. وهذه المواد كان المقصود بها تصفية لون الزجاج أوتلوينه بعدد من الألوان المرغوب فيها(١٠٣).

كما عرف البابليون النحاس الأصفر فى سنة ٢٦٠٠ق.م عن طريق مزج مقدار واحد من الرصاص مع ثلاثة مقادير من النحاس. وكذلك عرفه الصينيون والهنود، حوالى ٢٥٠٠ق.م

وقد عرف المصريون طلاء الفخّار بـــالألوان(٣٤٠٠ق.م) وحصلوا على الأصباغ من النبات، وصنعوا الزجاج علــــى نطـــاق واسع وعالجوا الحديد فجعلوا من أنواعا مختلفة. ومن الجدير بالذكر أن العلوم الفيزيائية والطبيعية فى العالم القديم كـــان يغلـــب عليـــها الجانب العملى ـــ خاصة فى الشرق.

وقد كانت كلمة ميكانيكا ـــ وهى فى الأصل إغريقيةـــ تعنى الفنون المتعلقة بالمهارة والبراعة والحذق.

وقد اهتم القدماء بالآلات ودراستها.وقد برعوا فيـــها، منـــها الألات التى استخدمت فى الأهرام، خاصــــة هـــرم خوفـــو (الـــهرم الأكبر).وقد كان استعمال السطوح المائلة فى هذه الحالة أهم الوسائل التى تساعد على بناء هذا الهرم. وقد استعانوا لتحقيق ذلك بـــأدوات أخرى، كالذراع والحلقة والحبل..الخ وقد ساعد البناء على تطويـــر المفاهيم الميكانيكية المصرية(١٠٤).

وفى الصين فسرت "الظاهرات الطبيعية بصـــورة أساســية بتتالى (ين) (مظلم، بارد، رطب، مؤنث، مفرد)، مع (يانج) (منور، حار، جاف، مذكر، مزدوج) وهذه التفسيرات نشرهـــا ، تســـويان Tseou Yen فى أكاديمية تسى Ts'y. ويعزى إلى نفس العالم نظريـــة العناصر الخمسة أو بالأحرى، العوامل الخمسة : (هنبج) لأن الكلمة الصينية تعنى أيضاً المشى أو التصرف : هذه العوامل الخمسة هـــى

(الأرض، والنار، والمعدن، والماء، والخشب). وكل شئ موجود فى الطبيعة، والمجتمع مرتبط بهذين المبدأين وبهذه العوامل الخمسة، ومفسر بها"(١٠٥).

ومنذ عام ١٥٠٠ ق.م قال الهنود إن الوجود مؤلف من عناصر خمسة هى : التراب، والماء والنار والهواء والأثير(١٠٦).

وفى اليونان نجد بعض المعلومات فى الإلياذة والأوديسة عند هوميروس، فقد كان يعلم أن صدمة الجسم الصلب تكون أقوى كلما كان ثقله وسرعته أكبر فيما خص القذائف التى يرميها الإنسان، أو جذوع الأشجار التى ينقلها الإنسان، كما عرف سرعة سقوط الأجسام بفعل الجاذبية. وله ملاحظات حول حالة الطقس، والشروط الفيزيائية لولادة الأصوات وغيرها(١٠٧).

أما "طاليس" فقد رأى أن العنصر الأول هو الماء، وفسر العالم تفسيراً طبيعياً معتمداً على هذا. أما "انكسمندريس" فقد فسر العالم على أساس أن نشأته الأولى من اللامتناهى، وهو عنده مبدأ مادى، وقد فسر العالم بعده انكسمانس على أساس أن مبدأه هو الهواء(١٠٨).

وقد فسر العالم (هيروقليطس) تفسيراً مادياً أيضاً، فرأى أن الكون فى حركة دائبة، والعنصر الأول هو النار لائتلافها مع الحركة. بينما فسره "بارمنيدس" على أساس السكون والثبات. ولكنه لم يستطيع انكار التبدل فافترض عالمين : عالماً حقيقياً هو عالم الوجود الثابت الذى نعرفه بعقولنا، ثم عالماً وهمياً هو هذا العالم الذى يبدو متبدلاً أمام حواسنا (١٠٩).

أما أنبادوقليس فقد قال بالعناصر الأربعة (المـــاء، والـــهواء، والتراب، والنار). وقد قال بأن لكل عنصر صفات ثابتة خاصة به. والعناصر نفسها لا تتبدل ولا تندثر، ولا يستحيل بعضها إلى بعض. والأجسام تتكون من العناصر الأربعة بالتركيب، والظهور والكمون.

وقد دعا الذريون إلى ديمومة المادة. وأكدوا على وحدتـــــها الهيولية، ولكنهم فضلاً عن ذلك، وهذا هو الوجه المميز في عقيدتهم، نادوا بعدم انقسامية عناصرها الأولى. فالعالم عنـــد (ديمقريطـــس) يتألف من ذرات ومن فراغ. وهذه الذرات ذات أشكال متنوعة، لأنه لا يوجد أى سبب لكى يكون للذرة هذا الشكل أو ذاك. ونفس الشئ بالنسبة إلى أحجامها وعن مواقعها المتتالية وعن توجهات حركاتها.

والجدير بالذكر أن أراء اليونانيين كـــانت أراء ميتافيزيقيـــة، وتعتمد على الملاحظات العامة، ولا ترتكز إلى أى جـــانب عملـــى. فقد قال "أفلاطون" فى محاورة (تيماوس) ببعض الأراء الخيالية مثل أن العناصر أربعة فقط ، وأن تلك العناصر محاطة بســطوح، فـــإذا كان العنصر محاطاً بمربعات فهو مكعب، ويجب أن يكون تراباً لأن المكعب أثبت الأشياء على الأرض ولأن التراب أثبت العناصر. كما تقبل أفلاطون (نظرية الشعاع) فى البصريات. وهى أن شعاعاً (من نور) يخرج من العين فيحيط بالأشياء فيرى الإنسان تلـــك الأشيـــاء. وهى نظرية خاطئة.

وإذا كان "أرسطو" قد خالف أستاذه فى كثير من آرائه إلا أنه أيضاً اعتنق بعض الأفكار الخاطئة، مثل رفضه للنظريـــــة الذريـــة ورجوعه إلى القول بالعناصر الأربعة، ومنها قولـــه إذا اســتخرجنا

المعدن الموجود فى منجم ثم تركنا المنجم مهملاً فإنه يمتلئ بالمعدن من جديد. وقد كانت أخطاء أرسطو ترجع إلى تفكيره الميتـافيزيقى وعدم اهتمامه بالجانب العملى.

ومن الجدير بالذكر أن الأغريق قد عرفوا المرايا المسـتوية والمقعرة، والمرايا المحرقة التى توجه أشعة الشمس إلـى الأشيـاء البعيدة فتحرقها. أما مدرسة الاسكندرية فقد عمرت بالأراء العمليـة والنظرية معاً فنجد اقليدس السكندرى يتكلم فى كتاب فى البصريات عن ظاهرة انعكاس الضوء.

وقد أوضح أرشميدس فكرة الوزن النوعـى. وهـذا يذكـر بقصة التاج التى أوردها فيتروف Vitruve: "أودع هـيرون Heron: حاكم (سرقوسة) أو (سيراكوزا) ذهباً عند صائغ لكى يصنـع لـه تاجاً، ووقع الشك حول الصائغ أنه استبدل قسما من الذهب بفضـة، وطلب إلى أرشميدس أن يقدم الدليل فقام بالعمليات التالية : وضع فى وعاء مملوءاً بالماء حتى الحافة :

١ ــ حجم وزن من الذهب يساوى حجم التاج.

٢ ــ حجم وزن الفضة المساوى لوزن التاج.

٣ ــ حجم التاج. ولما كان حجم التاج واقعاً بيـن الأثنيـن، عرف أرشميدس بدون مشقة نسبة الفضة الممزوجة بالذهب(١١٠).

فأرشميدس لم يكن عالماً رياضياً فحسب، بل كـان فيزيائيـاً كبيراً أيضاً، وأرشميدس يعد مخترعاً لفرعين من فـرع الميكانيكـا، وهما الاستاتيكا والهيدروستاتيكا. وهو النموذج الكامل للمخـترعين وسحرة الميكانيكا بين القدماء. وقد كان أرشميدس ــ على حد مـا

يذكر فلوطرخس – لايقدر مخترعاته العلمية كثيراً، فقد كان يرى أن الأعمال الميكانيكية أو أى نوع من الفن النفعى، أعمال حقيرة وغير شريفة، ووضع كل مالديه من طموح فى تلك التأملات التى لم يشب جمالها وكياستها أى شائبة من حاجات الحياة العاجلة، وكان بذلك منسجماً مع الرؤية اليونانية فى تلك العصور التى تحتقر العمل اليدوى وتثمن أكثر ما تثمن العمل العقلى(١١١).

وقد قاس بطليموس زوايا السقوط وزوايا الانعكاس للضوء على المرايا ورأى أنها متناسبة، وقد وضع مقادير تلك الزوايا فى جداول وأبرع من عمل فى علم الميكانيكا من الاسكندرية هما اكتاسيبوس، واهرن الكبير، فقد نسبت للأول (اكتاسيبوس) المضخة الدافعة، وعدد كبير من الآلات والأدوات التى تعمل بضغط المياه أو بضغط الهواء كالساعة المائية أو الأرغن المتعدد الأنابيب. كما برع "أهرن" فى استخدام البكرة فى رفع الأثقال.

وهكذا كانت الفيزياء والميكانيكا فى العصر القديم بمثابة علوم عملية وعندما تحولت إلى دراسة نظرية على أيدى فلاسفة اليونان شابها الكثير من الأخطاء لأنها لم تكن تقوم على التجربة والملاحظة، وقد احتاج الأمر إلى عدة قرون لكى يكتشف المنهج العلمى ويتم تطبيقه حتى تسير الفيزياء قدماً وتصبح علماً مضبوطاً له جانبه العملى.

الكيميـــــاء

لم يعرف القدماء علم الكيمياء بمعناه الحديث، بل لقد كان هذا العلم عندهم مزيجاً من الفلسفة والأسطورة والسحر والرمـــز وعلــم الأسرار وأول من بحث فى الكيمياء هو (هرمس الحكيم) "الذى ملك مصر، وصحت له الصنعة، ونظر فى خواص الأشياء وروحانيتها، وصح له ببحثه ونظره علة صناعة الكيمياء"(١١٢).

وقد نسب العمل فى الكيمياء (الصنعة) إلى تحوت إله القمـــر عند المصريين ووزير أوزوريس إله الشمس، وقد سماه اليونـــانيون (هرمس) تشبهاً له بهرمس ابن زيوس كبير ألهة اليونان. ويسمونه أيضاً (هرمس المثلث العظمة)(١١٣).

وقد برع المصريون فى الكيمياء (الخيمياء)، وساعدهم ذلـــك على تفوقهم فى الطب، وصناعة الأدوية بمـــا تشـــهد بـــه الآثـــار المصرية، والموميات الفرعونية.

وانتقل العلم المصرى إلى الصين والهند، ولكن لا نســـتطيع الجزم بالطريقة التى انتقل بها إلى هناك.

وقد اهتم الصينيون بتحويل المعادن الخسيسة إلـــى معـــادن ثمينة، كما اهتموا بالبحث عن دواء يطيل الحيـــاة ويدخـــل الســـعادة الحقيقية على النفوس.

وبعد انتقال مركز الحضارة إلى الإسكندرية، أصبح للكيمياء شأن خاص على يد (ذيسيموس) الذى هو من بـــانوبليس (Panoplis) (أخميم) حالياً، فى صعيد مصر، وقد بلغ أشده عـــام ٣٠٠م. ولـــه (كتاب المفاتيح) فى الصنعة جمع فيه كثيراً من آراء المتقدمين. كما اشتهر اسطفانوس أيضاً بفنون الصنعة والكيمياء(١١٤).

وقد وصف أجاثار شيدس Agathar Chide's تنقية الذهب (قبل الميلاد بقرنين) بتذويب المعدن، مضافاً إليه الرصـــاص أو الملـــح. وفى حين أن "تيوفراست" الذى ســبقه بقــرن ونصـــف لــم يذكــر الرصـــاص. وشرح ديوسكوريد Dioscoride كيف يحضر دهوناً من أكسيد الرصاص والزيت. كما وصف التقطير والتبلور والتصعيـــد والحمام الثابت الحرارة (١١٥).

وقد ازدهرت عملية الطلاء فى العصر البطليموســـى فـــى مصر، فكان الصناع الملحقون بالهياكل يتناقلون فيما بينهم وصفـــات سرية لتذهيب وتفضيض أو طلاء الأشياء المقدسة، ولم يقتض الأمر تغيير المعدن الخسيس إلى معدن ثمين. ولكن فى بداية القرن الثانى قبل الميلاد قام عالم باطنى من مدينة مندس فى مصر السفلى هـــو : بولس، فنشر كتاباً حول الصباغة أو الطلاء مقســـوماً إلـــى أربعـــة أقسام: ذهب، فضة، أحجار كريمة، أرجوان. وقد عثر على أجزاء من هذا الكتاب فى مختلف أوراق البردى التى كانت موجـــودة فـــى مدينة طيبة (١١٦).

وقد تحولت الكيمياء بعد ذلك إلى علم نظرى، ودخلـــت فيـــه أفكار كثيرة من السحر، وعلم الأسرار، وابتعدت شيئاً فشيئـــاً عـــن

التجارب العملية والفنية، واتجهت إلى التصوف والرمزية. "وقد حافظ هذا العلم على طابعه الصوفى مدة طويلة من الزمن بعد ذلك، فظهر فى أرض الرافدين فيما بعد متعلقاً بالمتصوفة والأئمة المجتهدين الشيعة تعلقاً شديداً. وسيعمل الكيميائيون العرب وعلى رأسهم الرازى على فصم هذه العلاقة" (١١٧).

وسوف تتحرر الكيمياء عند العرب من الخرافات والسحر، وتصبح ذات صبغة عملية، وتتبع المنهج العلمى.

هوامش الفصل الأول

(العلم فى العصور القديمة)

١ــ تاتون، رنيه : تاريخ العلوم العام، العلم القديم والوسيط، ترجمة على مقلــد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيـــع، طـــ١ ــ بـيروت، ١٩٨٨، ص٢١.

٢ - مرحباً، محمد عبد الرحمن : المرجع فى تاريخ العلــوم عنــد العــرب ــ منشورات دار الفيحاء ــ بيروت، ١٩٧٨ ــ ص٦٣.

٣ ــ فروخ، عمر : تاريخ العلوم عند العرب ــ دار العلــم للملايين ــ طـــ ١ ــ بيروت ــ ١٩٨٤ ــ ص٨٣.

٤ - تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص٦٠.

٥ - المصدر السابق ــ ص ٥٨، ٦٠.

وأيضاً : مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٨٥.

٦ - مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ص٨٥، ٨٦.

٧ - المصدر السابق ــ ص٨٦.

٨ - تاتون، رنيه : مصدر سابق ص٦٣.

٩ - المصدر السابق : ص٦٢، ٧٠.

١٠ - فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص٨٣.

١١ - السكاف، سعد نصر الله، مطرجى، محمود : تاريخ العلوم عند العرب ــ دار نظير عبود ــ طــ٢ ــ بيروت ١٩٨٨ ــ ص١٨.

١٢ - تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص ٩٠، ٩٠.

١٣ - مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٨٣، ٨٥.

١٤ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٩٢، ٩٦.

١٥ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص٨٤.

١٦ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص١٠٢.

١٧ – نفس المصدر ــ ص١٦٩.

١٨ – نفس المصدر ــ ص١٧١.

١٩ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٨٩، ٩٠.

٢٠ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص٨٠.

٢١ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص١٩٤.

وأيضاً : تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص١٩٢، ١٩٣.

٢٢- تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٨٨.

٢٣ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص١٩٤.

٢٤ – المصدر السابق ــ ص٩١.

٢٥ – راجع الإلياذة والأوديسة لــ (هوميروس) ــ ترجمــة أميــن ســلامة أو ترجمة دريني خشبة.

٢٦ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٢٨٢.

٢٧ – نفس المصدر ــ ص٢٨٢.

٢٨ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٩٣، ٩٤.

٢٩ – فروخ، عمر : مصدر سابق ص٨٧.

٣٠ – راجع طبقات الأطباء والحكماء ــ لابن جلجل ــ القــاهرة ــ ١٩٦٥ ــ جـ١ ــ ص٢٥.

٣١ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٩٦ــ ٩٨.

٣٢ – سارتون، جورج : نتاريخ العلم ــ جــ٤ ــ ترجمة لفيف من العلمـــاء ــ دار المعارف ــ طــ٢ ــ القاهرة ــ ١٩٧٩ ــ ص٢٣٩، ٢٤٠.

٣٣ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٣٩٤.

٣٤ – المصدر السابق ــ ص٣٩٤، ٣٩٥.

٣٥ – نفس المصدر ــ ص٣٩٥.

٣٦ – سارتون، جورج : تاريخ العلم ــ ج٤ – مصـــــدر ســـابق ص٢٤٠ ص ٢٤١

٣٧ – تاتون رنيه ــ ص ٣٩٦.

٣٨ – سارتون، ج : تاريخ العلم ــ جــ٤ ــ مصدر سابق ــ ص٢٤١، ٢٤٢.

٣٩ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٣٩٧.

٤٠ – المصدر السابق ــ ص٤٠٥.

٤١ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٩٩.

٤٢ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص٤٠٦.

٤٣ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص١٠١.

٤٤ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص٤٠٦.

٤٥ – مرحباً ، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص١٠٢.

٤٦ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص٤٠٧.

٤٧ – نفس المصدر ــ ص٤٠٧.

٤٨ – أمين، أحمد : فجر الاسلام ــ مكتبة النهضـــة المصريـــة ــ القـــاهرة ــ ١٩٦٤ ــ ص٣٩.

٤٩ – الهونى، فرج محمد : تاريخ الطب فى الحضارة العربيـــة الاســـلامية ــ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ــ طــ١ ــ طرابلـــس ــ ١٩٨٦ ــ ص٢.

٥٠ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٢٤٣.

٥١ – المصدر السابق ــ ص٢٤٣.

٥٢ – ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ــ جــ ٢ــ دار الآثار للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ص١٣، ١٨.وأيضاً "الهونى، فرج محمد : مصدر سابق ــ ص٢٩،٣٠.

٥٣ – الهونى، فرج محمد : مصدر سابق ــ ص٣٠.

٥٤ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٢٤٤.

٥٥ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٢١، ٢٢.

٥٦ – مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٦٧.

٥٧ – المصدر السابق ــ ص٦٨.

٥٨ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٢٢.

٥٩ – مرحباً،محمد عبد الرحمن ــ مصدر سابق ــ ص٧٦.

٦٠ – المصدر السابق : ص١٠٨، ١٠٩.

وأيضاً تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص ص٢٩، ٣١.

٦١ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص ص١١٠، ١١١.

٦٢– تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٣٢.

٦٣ – فروخ، عمر : تاريخ العلوم عند العرب ــ بيروت، ١٩٧٠ ــ ص٢١.

٦٤ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٣٥ ــ ويمكـــن الرجـــوع للمصـــدر المذكور لمزيد من التفاصيل.

٦٥ – نفس المصدر ــ ص٣٩.

٦٦ – نفس المصدرــ ص٤٢.

٦٧ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص٢٤ــ ٢٦.

٦٨ – المصدر السابق ــ ص ص٢٨ ، ٢٩.

٦٩ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص٤٤.

٧٠ – فروخ، عمر : ص٢٩.

(وقد جاء أنهم رأوا النسبة : محيط الدائرة إلى قطرها $\frac{٢٢}{٧}$ وهو المعمـــول به الآن).

٧١ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص٤٥.

٧٢ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص٤١.

٧٣ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص ص٤٧، ٤٨.

٧٤ – السكاف، مطرجي : مصدر سابق ــ ص٢٠.

وأيضاً كرم، يوسف : تاريخ الفلسفة اليونانية ــ لجنـــة التـــأليف والترجمـــة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٦٦ ــ ص ص١٢،١٣،٢٠، ٢٥،٦٢،٦٣.

٧٥ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص١١١.

٧٦ – السكاف&مطرجي : مصدر سابق ــ ص ص ١٤، ١٥.

٧٧ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص ص١٠٤، ١٠٧.

٧٨ – السكاف& مطرجي : مصدر سابق ــ ص١٥.

٧٩ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص ص٤١،٤٢.

٨٠ – نفس المصدر ــص ص٤٤، ٤٥.

٨١ – السكاف&مطرجي: مصدر سابق ــ ص ص٢١، ٢٣.

٨٢ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص١٦٧.

٨٣ – السكاف&مطرجى : مصدر سابق ــ ص٢٥.

٨٤ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص١٨٧.

٨٥ – السكاف& مطرجى : مصدر سابق ــ ص ص٢٢، ٢٥.

٨٦ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص١٦٣، ١٦٤.

٨٧ – نفس المصدر ــ ص٢٢٣.

٨٨ – نفس المصدر ــ ص٢٢٤.

وأيضاً : فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص٢٢.

٨٩ – السكاف& مطرجى : مصدر سابق ــ ص٢٢.

٩٠ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص ص١٤٤، ١١٥.

٩١ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص ص١١٤، ١١٥.

٩٢ – نفس المصدر ــ ص١٢٠.

٩٣ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص ص٣٢ ، ٣٣.

٩٤ – سارتون، ج : تاريخ العلم ــ جـ٤ ــ مصـــدر ســـابق ــ ص ص ٨٢، ٨٥.

٩٥ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص٣٢٠.

٩٦ – سارتون، ج: تاريخ العلم ــ جـ٤ ــ مصدر سابق ــ ص٨٨.

٩٧ – نفس المصدر ــ ص٩١.

٩٨ – تاتون، رنيه : مصدر سابق ــ ص ص٣٢٥، ٣٢٦.

٩٩ – سارتون، ج : تاريخ العلم ــ جـ٤ ــ مصدر سابق ــ ص١٤٣.

١٠٠ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص٣٣٥.

١٠١ – سارتون، ج : تاريخ العلم، جـ٤ ــ مصدر ســـابق ــ ص ص١٦٤ــ ١٦٥.

١٠٢ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص ص٤٨، ٥٠.

١٠٣ – نفس المصدر ــ ص ص٦٥، ٦٦.

١٠٤ – مرحباً، محمد عبد الرحمن :مصدر سابق ــ ص١٢٣ ص، ١٢٤.

١٠٥ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص١٩١.

١٠٦ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص٦٧.

١٠٧ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ص٢٠٧.

١٠٨ – المصدر السابق ــ ص٢١١. راجع أيضاً بدوى، عبد الرحمن : ربيع الفكر اليونانى ــ مكتبة نهضة مصر ــ طـ٤ ــ ١٩٦٩ ــ القاهرة ــ ص ص٩٥ ــ ١٠٥.

١٠٩ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص ص٦٨، ٦٩.

١١٠ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ٣٨٣.

١١١ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص١٢٨.

وأيضاً : سارتون، ج : تاريخ العلم ــ جـ٤ ــ مصدر سابق ــ ص١٣٧.

١١٢ – ابن النديم: الفهرست ــ القاهرة ــ ١٩٤٨ــ ص٤١٧ والقفطى : أخبار الحكماء ــ ص٥. راجع فروخ، عمر : مصدر سابق ص٨٠.

١١٣ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص٨٠.

١١٤ ــ نفس المصدر ــ ص ص٨١، ٨٢.

١١٥ – تاتون، رينيه : مصدر سابق ــ ٣٨٥.

١١٦ – نفس المصدر ــ ص.ص٣٨٥، ٣٨٦.

١١٧ – مرحباً، محمد عبد الرحمن ــ مصدر سابق ــ ص١٣٨.

الفصل الثانى

الترجمة والنقل

الأسباب والنتائج

بعد ظهور الإسلام فى شبـــه الجزيـــرة العربيـــة، واندفـــاع المسلمين لنشر الدين الجديد عن طريق الفتوحات والغزوات، وانتشار الاســـلام فى بلاد تتباين فى تفكيرهـــا وعقائدهـــا مـــع المســـلمين. طرحت موضوعات جديدة للنقاش لم تكن مطروحـــــة فـــى صـــدر الاسلام، كما اطلع المسلمون علـــى حضـــارات مختلفـــة، وتـــراث مختلف، وكان من بين هذه البلاد التى فتحـــها المسلمون من يمتلـــك تراثاً علمياً وفلسفياً .. كذلك عندما تحولت الدولـــة الإســـلامية الـــى امبراطورية مترامية الأطراف أصبح ضروريـــا أن تتســـلح بـــالعلم والمعرفة كوسيلة لاستتباب الاستقرار وفرض السيطرة، ومواجهـــــة البلاد الأخرى، كما أن ظهورها كقوة كبرى جعل لزامـــا عليـــها أن تكون مركز للعلم والمعرفة أيضا.

ولما كان التراث العلمى لأهل شبه الجزيرة العربيـــــة يكـــاد يكون معدوما، لذا لجأ المسلمون الى النقل والترجمة من الأمم التـــى لها النصيب الأكبر من العلم.

وقد كانت الفلسفة والعلوم والطبيعة والرياضيات والطـــب .. الخ من أهم المجالات التى لجأ العرب الى ترجمتـــها ونقلـــها، ثـــم الإضافة إليها فيما بعد ..

ونحن عندما نتناول موضوع الترجمة والنقل، فاننـــا ســوف نهتم بشكل أساسى بالعلوم الدخلية كما سماها الأوائل وهى (الطـــب والفلك والهندسة والحساب والجبر والطبيعة والكيمياء والموسيقى ... الخ) وهذه غير العلوم اللسانية والدينية. وكما سبق أن ذكرنـــا فـــان هذه العلوم كانت معروفة عند الأمم القديمـــة فـــى مصـــر، والـــهند واليونان، وبابل ... وقد أخذ العرب هذه العلوم من أصحابها ســـواء بطريق مباشر أو غير مباشر عبر الفارسية واليونانية.

وقد تم النقل والترجمة عند العرب فى ظل الصراع السياسى والدينى والاقتصادى فكان أن ولّد مدارس فكرية متناقضة، منها مـــا وقف ضد النقل والترجمة، ومنها ما شجع عليها، وهكذا الحال يتكرر فى كل زمان تقريبا. وقد بدأت عملية الترجمة والنقل محصورة فى البلاط والحلقات الخاصة حول الملوك والأمراء مما جعـــل آثارهـــا محـــدودة على عامة الناس، ولكـــن عندمـــا اتســـع نطـــاق النقـــل والترجمة، أدى إلى انفتاح الفكر العربى علـــى التيـــارات الوافـــدة، والنقل بعد تأويله والإضافة اليه الى أعداد غفيرة من الناس.

وقد لاقى بعض الباحثين والعلماء من العنت الكثير، وذلك من بعض الولاة والحكام الذين حاولوا أن يلبسوا مواقفهم هذه بلباس دينى (كهنوتى) رغم ما يقوم به الاسلام من حض وتشجيع علـــى العلـــم، ولكن هذا لم يوقف تيار التقدم والإبداع.

ويلاحظ الباحث أن النقل والترجمة كانا ينحصران فى اطار الفلسفة والعلوم، وقلما نجد اهتماما بالأدب اليونانى سواء كان شعـــرا مسرحيا أو ملحميا أو غنائيا. فلم يهتم العرب بمؤلفات "هوميروس"

(الالياذة، والأوديسا) رغم ما لهما من أهمية لدى الاغريق. كذلك لم يلقوا بالا للفنون التشكيلية (النحت والتصوير ..) أو الأساطير اليونانية. وقد يرجع ذلك الى حاجة العرب الماسة الى العلوم والفلسفة نظرا لما طرحه واقع الفتوحات واتساع رقعة الإمبراطورية الإسلامية، وغيرها من أسباب جعلت الحاجة ماسة للفلسفة والعلوم. أما الشعر فقد كان للعرب ديوانهم، وكان الشعر بمنزلته الرفيعة لديهم، وعراقته يغنيهم عن أشعار غيرهم - فيما رأوا. أما ما كان يمثله "هوميروس" بالنسبة للاغريق (على أساس أن شعر هوميروس كان بمثابة الانجيل - الكتاب المقدس - لهم) فان العرب كانوا فى غنى عنه.

وقد تجمعت بواعث عدة دفعت العرب نحو الترجمة وجعلتهم يشجعون المترجمين والنقلة.

(بواعث الترجمة وأسبابها)

١ ـ لقد طرأت على شبه الجزيرة العربية تغيرات عميقة نتيجة مجيء الدين الجديد، ثم انتشاره فى المناطق المجاورة، واتساع نطاق البلاد المفتوحة. فانقلبت أوضاع المجتمع الجاهلى، وظهر مجتمع جديد، بقيم جديدة ومثل جديدة.

كما وجد الدين الاسلامى والمسلمون أنفسهم أمام حضارات عريقة لابد من الاطلاع على ثمارها والحوار معها، وطرح المجادلون من هذه الحضارات لأسئلة لم تكم مطروقة لدى سكان الجزيرة. فكانت هناك الحاجة إلى البراهين والحجج العقلية للدفاع

عن الدين الجديد. وقد لمس القائمون على الأمر غنى الأمم التي فتحوها بتراثها وعلومها وفلسفاتها، وكذلك ثراء الأمم المجاورة، فاتجهوا الى النقل والترجمة.

٢ ــ ولقد كانت رعاية الخلفاء للترجمة من أهم العوامل التى دفعت حركتها خطوات الى الأمام. وقد كان كل من المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل هم أهم من أهم أخذوا على عاتقهم أمر هذه الحركة وشدوا من أزرها من خلفاء بنى عباسى.

وقد كان المأمون من أبرز خلفاء بنى العباسى عموما فى احتضانه ورعايته لحركة الترجمة. وقد كانت الدولة العباسية تعقد الصفقات لشراء الكتب وتدفع فى سبيلها أغلى الأثمان. وقد كان تنظيم هذه الصفقات على أكمل وجه فى عصر المأمون الذى سخر كل الامكانيات وطرق كل السبل ليعثر على الكنوز الفكرية الحبيسة فى مكتبات القسطنطينية (١).

٣ ــ قرب الدولة العباسية من الفرس، وماضى الفرس العريق، وعلاقات المصاهرة مع الخلفاء العباسيين. وكثرة الفرق الدينية، ومحاولة كل فرقة دينية الدفاع عن آرائها وتدعيمها بالحجج والآراء الفلسفية. وحاجة رجال الدين الى الأساليب العلمية فى الرد على المتشككين والمبتدعين وحاجة الدولة العباسية الى أسس فكرية لمواجهة أعدائها داخل الدولة وخارجها. كل هذا أدى الى الاهتمام بالنقل والترجمة (٢).

٤ ــ كان لظهور بعض العائلات، ممن اهتمت بحركة الترجمة اهتماما كبيرا، الأثر الفعال فى تشجيع وتنشيط هذه الحركة. ولعل

أشهر هذه العائلات التى دفعت بحركة الترجمة الى سبيل الازدهار، عائلة موسى بن شاكر، والتى كانت مصدرا ماليا رئيسيا لأبرز النقلة(٣).

كذلك لم يكن العلم فى العصر العباسى أداة معرفة وحسب، بل كان الى جانب ذلك وسيلة للكسب المادى والوصول الى المركز الاجتماعى المرموق. هذا جعل الكثير من الناس يلجأون الى الترجمة لما يدفعه الخلفاء من أموال ومرتبات وعطايا سخية للمترجمين. فقد كان المأمون يدفع وزن الكتاب ذهبا (٤).

٥ ــ مع اتساع الفتوحات الإسلامية وانتقال الدولة الإسلامية من عصر البداوة إلى الترف والعمران والدعة والفراغ، وسهولة الحياة المادية التى وجد المسلمون لأنفسهم فيها جعلت الفرص مهيأة للموهوبين، فاندفعوا فى طلب العلم، وانكبوا على الكتب ينهلون من المعرفة.

هذا بالإضافة الى أن هذا الانتقال أدى الى ظهور حاجات جديدة تطلبت وجود علوم جديدة كالطب، والفيزياء، والكيمياء والصيدلة، لسد الفراغ، والتغلب على بعض الأمراض التى تصيب الانسان نتيجة للترف والكسل، وتلبية حاجاته من المأكل والملبس والمأوى .. وغيرها(٥).

٦ ــ كانت رغبة بعض الوزراء وأطباء ذلك العصر فى الحصول على ترجمات لشتى المصنفات من مصادرها المختلفة لاسيما الإغريقية منها، الأمر الذى ترتب عليه رعاية هؤلاء لمن ينقلون إليهم تلك المصنفات فى سبيل الوصول إلى الغاية المنشودة وراء

ذلك. ولعل أشهر من يطالعنا فى هذا الباب كل من: (يحيى بن خالد البرمكى) – المتوفى سنة ٨٠٥م / ١٠٩هـ – (ومحمد بن عبد الملك الزيات) – المتوفى سنة ٨٥٦م / ٢٤٣هـ – (والطبيب سلمو به بن بنان) – المتوفى سنة ٨٣٨م / ٢٢٥هـ – هذا وكان الوزراء والكتاب أكثر الناس ثقافة فارسية عربية، وكان أطباء القصور النساطرة أكثرهم يونانية عربية (٦).

٧ ــ رأى البعض أنه كان لدى بعض الشعوبيين الدافع الى النقل والترجمة من أجل الكشف عن تراثهم فى الأدب والعلم والفلسفة والسياسة. وليظهروا للعرب الحفاة رعاة الابل ما كانت عليهم أممهم من مجد ورقىّ حضارى فى ماضى الزمان. ورأوا أن هذا هو الدافع وراء ابن المقفع فى نقل كليلة ودمنة عن الفهلوية الى العربية. كما رأوا أن نشر – هؤلاء الشعوبيين – لكتب الفلسفة والعلم بين الناس، سوف يؤدى الى إفساد عقائد المسلمين ويشوش عليهم دينهم، فيقضى على الاسلام من جذوره ويستأصل شأفته. فكان نقلهم على حد تعبير – من يرى هذا الرأى – سلاحا تخريبيا، ووسيلة للكشف عن مجد غابر، وعز داثر. وليظهروا العرب بمظهر المتوحشين وغير المؤهلين لقيادة الأمة. ويستدلون على ذلك بالصراع بين البرامكة والرشيد (٧).

والجدير ان هذا الرأى يشوبه الكثير من التعصب لأن ما نقل من قبل هذه الترجمات كان ضئيلا جدا، ثم أن النقلة كانوا من السريان فى كثير من الأحوال وهؤلاء كانوا ينقلون تراثا يونانيا وثنيا، وليس تراثهم، كما أنهم كانوا ينقلون ما يطلب منهم فحسب.

والأكثر من ذلك هو أن النقل كان من أمم لها تراثها العريق أو لها دياناتها التى تختلف عما كان فى الجزيرة العربية، ولذا لابـــد وأن يحدث الصدام بين الأفكار الوافدة، والرؤى اليقينية المستقرة.

ولعل هذا ما جعل الترجمة يشوبها فى بعض الأحيان الكثـــير من العيوب والتى سوف نشير إليها فيما بعد.

٨ ــ لقد بدأت الفتوحات الإسلامية بالســـيف، والغلبـــة العســـكرية. ولكن بعد أن استقرت الجيوش العربية، واستتب الأمر أصبح لزامـــا على المسلمين أن يفرضوا سيطرتهم على تلك البـــلاد والا تفككـــت الإمبراطورية مرة أخرى، فكانت الحاجة الى إدخال أكبر عدد مـــن سكان البلاد المفتوحة الى الدين الجديد، ثم الحاجة للعقـــل لمجادلـــة واقناع الصفوة من سكان هذه البلدان، مما كان يفـــرض ضـــرورة الاهتمام بالعلم والفلسفة والفكر.

هذا وقد أدت كل هذه الأسباب إلى الاهتمام بالنقل والترجمة، وقد كانت العلوم والفلسفة هما الأساس نظرا للحاجة الماسة إليهما.

وقبل أن نشرع فى توضيح طرق النقل والترجمة سوف نشير إلى بعض الملاحظات حول الأخطاء التى وقعت فى الترجمة.

فما بدا فى ترجمات العرب من أخطاء كان مردة فـــى رأى المستشرق (أوليرى) الى ثلاثة أمور:-

١ ــ" أن الكثير من كتب التراث اليونانى قد نقل الـــى الســـريانية، ووقع ناقلوه فى أخطاء. فلما نقل العرب هذه الكتب من الســـريانية عن ترجمتها السريانية، (أو غيرها) نقلوا هذه الأخطـــاء الـــى لغـــة العرب. يقول أبو حيان التوحيدى فى المقايسات: على أن الترجمـــة

من لغة اليونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية، قد أخلت بخواص المعانى فى أبدان الحقائق إخلالا لا يخفى على أحد. ولو كانت معانى اليونان تهجس فى أنفس العرب مع بيانها الرائع وتصرفها الواسع وافتتانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل الينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص.

٢ - ان مترجمى العرب كانوا كثيرا ما يقتنعون بنقل المعانى المهمة وإهمال ما عداها عن عمد، وليس عن جهل، أو سوء فهم. وعدم تقيدهم بالنص جعل الترجمة فى بعض الحالات أوضح من الأصل الذى نقلت عنه.

٣ ــ ان أكثر المترجمين كانوا حريصيين على أن يشرحوا أثناء الترجمة، وأن يمحصوا وينقدوا وأن يضيفوا الى الأصل معانى هدتهم اليها خبراتهم دون أن يهتموا بإرشاد القارئ الى ما أضافوا الى الأصل من معان وأفكار" (٨).

بعد أن تم احضار الكتب والمخطوطات التـــى كـــانت مـــن مصادر ولغات متعددة. وبعد أن تهيأ الجو الملائم والمناسب للنقلة، عكفوا على دراستها تمهيدا لنقلها الى العربية. وقد صادفت العرب عقبات كثيرة عندما نقلوا عن الاغريق والفرس، وغيرهم. فقد لجأوا الى السريان (٩). والكلدان والنصارى والرهبان النـــاطقين باللغـــة العربية وكلفوهم نقل هذا التراث (١٠).

ومن الجدير بالذكر أن الترجمة – فى ذلك العصر – كـــانت تتم وفق طريقتين :-

١ ــ الطريقة اللفظية

وهى طريقة يوحنا البطريق، وعبـــد المســـيح ابـــن ناعمـــة الحمصى. وكانت تتم عن طريق كتابة الكلمة العربية أعلى الكلمـــة الأجنبية (يونانية أو هندية). وعلى هذه الطريقة الكثير من المـــآخذ لأن ليس لكل كلمة مرادفها فى اللغة الأخرى، وكذلك يؤثر الســـياق على المعانى التى تتخذها الكلمة، كما أن المجازات والتشبيـــهات لا يمكن أن تنقل من لغة الى أخرى بالطريقة اللفظية. وقد تم هذا فـــى بداية عصر الترجمة. وكان من محاذير هذه الطريقة أيضا أن يتـــم نقل الكتاب من لغته الأصلية الى لغة وسيطة (السريانية) ثم ينقل بعد ذلك الى اللغة العربية، مما كان يؤثر عليه ويشوه ما به من أفكـــار ومعلومات (١١).

٢ ــ الطريقة المعنوية (١٢)

وهى طريقة حنين ابن اسحاق، وكان يتم فى هـــذه الطريقـــة معرفة معنى الجملة، ثم يعبر عنها باللغة الأخرى فى جملة تطـــابق معناها، سواء تساوت كلمات الجملتين فى العدد أم لا.

وهذه الطريقة هى الأنسب إلى الترجمة، وقد أثمرت العديـــد من الكتب.

طرق انتقال العلوم الى العرب

لقد جاء انتقال العلوم الى العرب من اتجاهين أو عن طريقين:-

الطريق الأول (١٣)

كان طريقا مباشرا عبر مدارس فكرية وعلمية متعددة قامت على ترجمة آثار الفكر اليونانى الى السريانية، ومن ثم الى العربية وإدخالها الى العرب عن طريق مدرسة نصيبين وقنسرين، وجنديسابور وانطاكية. حتى كونت أول مدرسة حقيقية للترجمة فى العالم العربى من حنين ابن سحق، وابنه اسحق بن حنين، وهى المدرسة التى أسسها المأمون فى بغداد وعرفت باسم مدرسة الحكمة (١٣٧هـ - ٨٣٢م) وجمع فيها المترجمين، وتم نقل العلوم الى العربية.

وبقيام مدرسة الحكمة فى بغداد صارت وريثة مراكز علمية كبرى، وأهم تلك المراكز:

مدرسة الأسكندرية

بعد أن بنى الاسكندر الأكبر مدينة الأسكندرية وجعلها عاصمة له. بنيت بها المدارس والمكتبات، وأمر "سوتو" الذى حكم من (٣٠٦ - ٢٨٥) ق.م بانشاء مكتبة ضمت خلاصة العقل البشرى، وكانت "مدرسة الاسكندرية هى المدرسة اليونانية الوحيدة

فى البلاد التى غزاها العرب فى دفعتهم الأولى، ومن المحتمل الظن أنها قامت بدورها فى نقل العلوم الى العرب" (١٤).

وقد نبغ من علمائها (اقليدس) وأرشميدس وبطليموس. ثم اصطبغت الفلسفة المكتوبة باليونانية بصبغة شرقية عند (فيلون) الذى حاول التوفيق بين اليونانية واليهودية. وأفلوطين صاحب نظرية الفيض والروح الصوفية، وأوريجن الذى عمل على التوفيق بين اليونانية والمسيحية (١٥).

وقد تجلّى دور مكتبة الاسكندرية عند بداية حركة الترجمة فى العصر الأموى. فقد كان علماؤها فى طليعة حركة نقل التراث اليونانى إلى العربية. وقد أدى اتخاذ الفسطاط عاصمة لمصر الى اضمحلال دور الإسكندرية، واضطرار علمائها الى الذهاب الى الشام التى غدت مقر خليفة بنى أمية (١٦).

وقد كانت الاسكندرية منارة فكرية تنبعث منها العلوم والفلسفة الى سائر أنحاء الشرق. وفيها تخرج علماء كان لهم الأثر الكبير فى الحضارة الإنسانية.

ومن الجدير بالذكر أن "خالد بن يزيد بمعاوية قد أمر فى العهد الأموى بأن يترجم عن اصطفن السكندرى بعض كتبه. وقد استطب عمر بن عبد العزيز ابن أبحر السكندرى، ويذكر ابن أبى أصيبعة أطباء من مصر فى العصر العباسى. وان كان اتصال الأسكندرية بالخلفاء العباسيين أضعف من اتصال جندنيسابور وحرّان"(١٧).

ولقد عرف المسلمون منهج الدراسة (الفلسفى – الطبى – الكيميائى – اليونانى) فى مدرسة الاسكندرية المتأخرة وتابعوا لفترة من الزمن هذا المنهج، ومن الأمثلة على هذا دراستهم كتب المنطق الأرسطى، كما أن جوامع كتب جالينوس التى ألفت فى العهد المتأخر من مدرسة الاسكندرية، هى نفسها التى وصلت الى العرب وقاموا بدراستها (١٨).

ومن الجدير بالذكر أن أثر مدرسة الأسكندرية كان كبيرا فى منطقة الشرق قبل مجىء الاسلام، ذلك من خلال موقع مصر المتوسط ودورها الحضارى بالنسبة للبلاد التى دخلت فيما بعد الاسلام. كما أنها كانت موئل البداية منذ العصر الأموى حيث بدأت الترجمة، ثم استمر دورها فى العصر العباسي، وان كان دورا أقل نظرا لانتقال مركز الثقل الى أماكن أخرى.

٢ ـ *مدرسة نصيبين*

تعد مدرسة "نصيبين" واحدة من المدارس الهامة فى نشر الثقافة. وقد تأسست سنة (٣٢٥م) وهى من أقدم مدارس النساطرة(١٩)، ومن أساتذتها القديس وار افرام (٣٣٦ – ٣٧٩) أشهر شعراء السريان. ولقد تأسست بقصد نشر اللاّهوت بين المسحيين الذين يتكلمون الاغريقية، غير أن هذه المدرسة قد تعرضت للمتاعب، ثم ضاعت أخيرا حين سقطت نصّيبين فى يد الفرس. وعاود رئيسها (افرام السريانى) عمله فى الرهّا، فكان هناك

اتصال طبيعى بين جهود المدرستين، حتى أن مدرسة الرهـا ربمـا اعتبرت بعثا لمدرسة نصيبين. ثم عاد النساطرة وأسسـوا مدرسـة أخرى فى نصيبين، فأصبحت بورة تشع منها التعـاليم النسـطورية، تلك التعاليم التى كونت وجها من أوجه المسيحية(٢٠).

وقد عنى النساطرة بترجمة الكثير من كتب أرسطو، وعلقوا عليها، لأنهم وجدوا فيها ما يشد عضدهم فى فهم المسائل اللاهوتيـة العميقة التى كانوا يبشرون بها بين أمم كان نشر مثل تلـك التعـاليم بينهم أمرا متعذرا، ما لم يستعن عليها بمبادىء من الفلسفة ومباحث من التأمل. "غير أن كثيرا من هذه التراجم قد صُبَّ فى قـالب لـم يراع فيه نقل الفلسفة اليونانية لذاتها، بل اتخذت التراجم ذريعة لبـث مذهب دينى هو مذهب النساطرة، والطعن فى كنيسة الروم وقياصرة روما. فقلت الثقة فى النقل من هذه الجهة وحدها" (٢١).

٣ ــ مدرسة انطاكية(٢٢)

أنشئت عـام (٢٧٠م) ودرس طلابـها الخطابـة والفلسـفة الأفلاطونية المحدثة، وكان لها أثر كبير فى توجيه الفكر السـريانى، ونشر الفلسفة اليونانية فى سوريا، وقد تمّيز علماؤها بالاتجاه العقلى الصرف (٢٣).

وتعد انطاكية الحلقة الأولى فى انتقـال التعليـم اليـها مـن الاسكندرية. وقد شكلّت العلوم اليونانية نواة المنهج المدرسى، وكان للمنطق أهميته وحظى أرسطو بمكانة خاصة. وقـد عـانت هـذه المدرسة الكثير قبل أن يستولى عليها العرب (١٧هـ / ٦٣٨م) فقـد

خربها الفرس. وقد ظلت محل نزاع مستمر نظرا لوقوعــها علــى الحدود بين الامبراطورية البيزنطية، والامبراطورية العربيـــة، وان كان هذا الموقع قد جعل من السهل احضار المخطوطات اليونانية من آسيا الصغرى إليها. وقد صارت انطاكية بمثابة الموطـــن الجديــد لتعاليم الاسكندرية. وقد هيأت للعرب الذين يجوبون مختلف المناطق بقصد الحصول على المصنفات اليونانية المختلفة، والذين وجدوا فى هذه المدينة ما يجسد غايتهم تلك (٢٤).

٤ ــ مدرسة جنديسابور(٢٥)

أسسها كسرى أنوشروان الملك (٥٣١ - ٤٧٨م) فى مدينـــة جنديسابور من أعمال خوزستان. وقد أمر بنقل الكتـــب الســـريانية واليـــونانية، والهندية الى اللغة الفهلوية، وعين لــــها أســـاتذة مـــن السريان النساطرة، وعن طريقها عرف العرب العلوم الطبية. وقـــد ساعدت على ازدهار الترجمة فى العصر العباسى. وتعد جنديسابور من أهم السبل التى انتقلت عبرها الثقافات الى العرب. وقد كـــانت معهدا للدراسات الفلسفية والطبية، وقد أسدى علماء أثينـــا خدمـــات جليلة للحضارة العربية عبر مدرسة جنديسابور، حيث كانت بغيتـــهم بعـــد أن أغلق (جستنيان) مدارسهم. فبدأوا علـــى الفـــور ترجمـــة التراث اليونانى فى مختلف العلوم، ومن ثّم انتقل الـــتراث اليونـــانى الذى ترجم بفضل هؤلاء الى العرب وعن طريـــق هـــذه المدرســـة الفارسية (٢٦).

وقد اهتم خلفاء بنى العباس بهذه المدرسة لما عرفت به من تقدم وشهرة، يقول القفطى:

"وأهل جنديسابور من الأطباء فيهم حذق بهذه الصناعة وعلم من زمن الأكاسرة وذلك سبب وصولهم الى هذه المنزلة" (٢٧).

وقد امتزجت فى هذه المدرسة الأفكار اليونانية مع الهندية، إضافة الى الفارسية، ومن أشهر أطباء هذه المدرسة "جورجيس بن بخشيتوع) (٢٨)، (وجبرائيل بن بخشيتوع بن جورجيس، وبخشيتوع بن جبرائيل بن بخشيتوع) وكذلك يوحنا بن ماسويه الذى أسدى للحضارة الاسلامية فوائد كثيرة فى العديد من المجالات.

وفى "هذا البلد بشكل خاص بدأت عملية ترجمة الكتب اليونانية الى السريانية" (٢٩).

٥ - مدرسة حران

تقع هذه المدرسة بين النهرين، وكان يدرس فيها بشكل خاص علم الفلك وعلم الرياضيات، وحيث تمت ترجمات عديدة عن اليونانية، وقد عرفت بمدينة الصابئة أو مركز الفكر الوثنى، والفكر الأفلاطونى المحدث (٣٠).

وحران مدينة مهمة فى تاريخ الحضارة الإسلامية، فقد أنجبت المشاهير من علماء الطب، ومنها خرج بعض النقلة الذين برعوا فى ميدان الترجمة فى القرنين الثالث والرابع الهجرى. وقد وجدت العلوم الهلينية وطنا ثالثاً لها فى حران، اذ ظل سكانها الذين بقوا على عقيدتهم الوثنية حتى القرن الرابع الهجرى يتابعون

دراستهم الرياضية والفلكية بحماسة لا تفتر ولا تكل، وانثالت المعرفة من جميع تلك الينابيع الى العرب (٣١).

وقد رأى البعض أن اقبال علماء حران على ترجمة الكتب الرياضية والفلكية انما يرجع الى عقيدتهم فى دينهم اذ أنهم كانوا من الصابئة (٣٢).

وقد نسب علماؤها حكمتهم الى هرمس الحكيم(٣٣) وأورانيوس، ومن خريجى هذه المدرسة ثابت بن قرة (٢٢١ - ٢٨٨هـ) (٣٤).

"ويوجد بقايا لهؤلاء - الحرانيون - يعرفهم المسلمون باسم المغتسلة لكثرة طقوسهم التى تتطلب الاغتسال والاستحمام، ويعرفهم الأوربيون باسم النصارى أتباع يوحنا المعمدان، ولا يزالون يعيشون حتى اليوم قرب البصرة، وعلى ضفاف شط العرب" (٣٥).

لقد استطاعت مدرسة حران أن تقدم الخدمات الجليلة للحضارة العربية بما أنجبته من علماء فى مختلف العلوم، وما قدموا من الكتب المترجمة والمنقولة من اليونانية وغيرها الى العربية.

هذه هى الطرق التى سلكتها الحركة العلمية فى سيرها من اليونانية الى العربية بدءا من الاسكندرية الى نصيبين وانطاكية وجنديسابور وحران، وبيت الحكمة البغدادى (٣٦) .. وكان هذا هو الطريق المباشر.

ب ـ الطريق الثانى (٣٧)

وهو طريق غير مباشرة، وقد اعتمدت على وجود علاقـات وثيقة بين الهند والشرق الأوسط تعود إلـى ١٥٠٠ ق.م اذ كـانت العلاقات بالهند عن طريق التجارة. وقد بلغت هذه العلاقات ذروتـها بعد فتح الاسكندر.

وكانت علوم اليونان قد انتقلت مع حملة الاسكندر الى الـهند فطوروها وأضافوا اليها، وأخيرا انتقات إلى بغداد.

وهكذا عبرت الثقافة اليونانية الى العرب هذيـن المسـلكين المباشر وغير المباشر، فاستفاد العرب منها، ونهلوا مـن معينـها، فكانت لهم حضارة بلغت شأوا عظيما.

وبناءً على ما سبق فاننا نستطيع القول بأن العلوم التى أخذها العرب، وقاموا بترجمتها ونقلها لم تكن يونانية فحسب، بل جمعـت الى جانبها – جانب اليونانية – علوماً أخرى من فارس والهند، وان كان علم اليونان هو حجر الأساس فيها.

كما يمكننا القول بأن "السـريان" كـانوا واسـطة لانتقـال الحضارات والعلوم والثقافة الى العرب، ويعـدوا أصحـاب الـدور الأول فى ذلك بما كان لهم من معرفة باللغات التـى نقلـوا عنـها وعلومها، ومعرفة باللغة العربية، وما قاموا به – حقا – فـى ذلـك المضمار.

وعندا استوعب العرب هذه العلوم، هضموها، وصبوا فيـها مما توافر لهم من خبرة، وأضافوا اليها حتى اذا عادت مرة أخـرى لتنتقل الى أوروبا، كانت ذات صبغة عربية أو شرقية.

الترجمة والمترجمون

بدأت طلائع حركة الترجمة الى العربية فى العصر الأموى، وقد كانت فى البدء ثمرة لجهود فردية محدودة، توسل بها أصحابها الى استدرار الرزق، ونيل الخطوة والمكانة. ولعل أهم اعلامها هو خالد بن يزيد بن معاوية (٩٠هـ - ٧٠٨م) (٣٨). وقد أبعد عن الخلافة فاتجه إلى الاسكندرية واتصل باصطفان الراهب طالبا منه نقل كتاب: فىعلم الصنعة الى اللغة العربية. وكان يهدف الى تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة. وقيل أنه وضع رسائل فى الكيمياء واطلع على المنطق عند اليونان (٣٩).

وبعد أن صارت اللغة العربية هى لغة الدواوين فى عهد عبد الملك بن مروان، نشطت حركة الترجمة والنقل نظرا للحاجة الى معرفة أساليب الحكم والإدارة، وكذلك اتجهت الترجمة الى العلوم الطبيعية.

وعندما انتشر الطاعون قام ماسر جويه بنقل كتاب الكناش فى الطب والذى يتضمن علاجا بالأعشاب وملاحظات تتعلق بممارسة الطب.

واذا كانت الترجمة فى العصر الأموى تمضى بحركة بطيئة نظرا لاعتمادها على الجهود الفردية، وكان جل اهتمامها بالعلوم (كالكيمياء والطب والنجوم) بعيدا عن العلوم الانسانية والالهيات. فانها فى العصر العباسى - بعد أن استقرت الدولة وعم الرخاء، وبدأت الأسئلة فى جميع مجالات الحياة تنطرح على الساحة، سواء

فى أصل الوجود أو المعرفة وغيرها من المسائل الفلسفية الصعبة، كما كانت أمور العلم من المسائل الملحة أيضا، نظرا لتعقد الحياة، والحاجة الى العلم فى الطب والكيمياء والفلك وغيرها.

وقد بدأ النقل فى العصر العباسى يتجه بعيدا عن الوجهة الفردية، ويتحول الى ظاهرة تشرف عليها الدولة، وقد تسابق الأمراء والقادة والخلفاء الى تشجيع الترجمة، وبذل الهدايا للمترجمين واقامة المدارس وارسال البعثات العلمية للتزود بالمعرفة.

وأول نقل فى الدولة العباسية قام به عبد الله بن المقفع. فقد نقل عددا من الكتب عن السلوك الى اللغة العربية، ووضع كتاب " كليلة ودمنة" بالاستناد الى قصص هندية وفارسية.

ويعدّ عصر الخليفة المأمون هو العصر الذهبى للترجمة. فهناك شبه اتفاق بين المؤرخين على أن عصر المأمون هو عصر النهضة العلمية فى تاريخ الإسلام. فقد نشطت فى ذاك العصر البعثات العلمية لاستقاء المعرفة من منابعها الأصلية، والبحث عنها فى مكانها. وكان التشجيع على ترجمة أمهات الكتب فى الفلسفة والطب والطبيعة والفلك والرياضيات والسياسة ونظم الحكم .. وغيرها هو السمة الغالبة لهذا العصر. وأهم ما يمتاز به هذا العصر هو (بيت الحكمة).

وقد ظلت الترجمة نشيطة حتى القرن الخامس للهجرة الى أن أهملها بعض الحكام الذين انشغلوا عن العلم بالفتن وتوطيد أركان الحكم والتخلص من الأعداء فى الداخل. وتوالت الأحداث على بيت الحكمة حتى دالت دولته عندما داهم المغول بغداد (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) وخربوها، فانتهى دورها فى التنوير وكمركز لازدهار العلوم.

أشهر النقلة والمترجمين

لقد اهتم بالنقل والترجمة عدد كبير بين نصارى ومسلمين، ويهود. وقد نقلوا إما مباشرة عن اليونانية الى العربية أو عبر وسيط هو السريانية كما أن هناك من نقل عن الفارسية والهندية.

وكان يغلب على السريان النقل عن اليونانية عبر السريانية أو بشكل مباشر الى العربية، أما المسلمون فقد نقلوا عن الهندية والفارسية فى أغلب الأحيان (٤٠).

ولسوف نبدأ بالإشارة الى أهم النقلة والمترجمين وأكثرهم تأثيرا فى الواقع الثقافى والحضارى الإسلامي آنذاك.

١ ـ ماسر جويه (٤١): أو (ماسر جيس كما يسمى فى بعض المصادر).

طبيب سريانى، فارسى الأصل، يهودى الديانة. وقد استعان به الخليفة عمر بن عبد العزيز لينقل موسوعة طبية يونانية تسمى الكناش أو الكناشة Syntagma من عمل القس اهرن Aaran بن أعين وهو طبيب سكندرى، من أصحاب الطبيعة الواحدة. وقد ترجم هذا الكناش الى السريانية شخص يدعى غوسيوس Gosius لعله هو غيسيوس بتايوس Gosius Petaeus الذى عاش فى أيام الامبراطور زينون (٤٧٤ - ٤٩١). وقد انتشر هذا الكتاب فى ترجمته السريانية بين اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح، وبين خصومهم النساطرة القائلين بالطبيعتين على حد سواء. وكان له تأثير

كبير فى الدراسات الطبية فى مدرسة (جنديسابور) ثم فى الأطبـــاء العرب الأوائل. وقد عدد القفطى لماسر جويه بعض الكتـب منـها (كتاب قوى الأطعمـة ومنافعـها ومضارهـا) و(كتـاب العقـاقير ومنافعها).

٢ ـ حنين بن اسحق العبادى

حنين بن اسـحق العبـادى (١٩٤ - ٢٦٠هـ / ٨٠٩ - ٨٧٣م) - ولد في الحيرة ثم انتقل الى البصرة ثم الى بغداد. اشتغل بالطب وتتلمذ على الطبيب يوحنا بن ماسويه، وذلك عندما كان ابـن ماسويه رئيسا لبيت الحكمة وكان " حنين الشاب أنشط المترجمين فى المدرسة. وبعد ٢٥ سنة تقريبا جدّد الخليفة المتوكل هذه المدرسـة وجعل حنين رئيسا لها" (٤٢).

وكان حنين على رأس أسرة اشتهرت بالترجمة حتى اعتبرتها بعض المصادر مدرسة قائمة بذاتها، وكانت دائرة معـارف تتمتـع بحركة علمية فى نقل علوم الطب والحكمة وغيرها. وتبسيط تلـك الكتب. فأقبل الناس عليها برغبة وجد لينهلوا من معينها الصـافى، لتفوقها فى الجودة والدقة (٤٣).

يقول "عنه ابن ابى أصيبعة: كان عالمـا باللغـات الأربـع غريبها ومستعملها : العربية والسريانية واليونانية والفارسية. ونقله فى غاية الجودة. سافر الى بلاد الروم وتعلم الطب وأتقن اليونانيـة وآدابهـا حتى حذقها، ثم عاد الى البصـرة ودرس العربيـة علـى الخليـل بن شاكر. بلغ اهتمامه بترجمة الآثـار اليونانيـة مبلغـا

عظيما، فكان يجوب الأقطار فى طلبها والحصول عليها. ونضرب مثلا على ذلك بكتاب (البرهان) لـ (جالينوس). فقد كان هذا الكتاب نادر الوجود فى القرن الثالث الهجرى، فجاب فى طلبه أرجاء العراق والشام ومصر باحثا منقبا، فلم يظفر أخيرا الا بنصفه من دمشق" (٤٤).

ويقوم منهج حنين بن اسحق على أساس الحصول على النسخة الأصلية لأى كتاب يروم ترجمته، وفى حالة تعذر الحصول على الأصل، نراه لا يعتمد على نسخة واحدة بل يرجع إلى نسختين أو أكثر للمقارنة والربط فيما بينهما، الأمر الذى أضفى على ترجماته طابع الدقة. وكان يلجأ فى الترجمة الى الطريقة التى عرفت باسمه وهى طريقة الترجمة بالمعنى (٤٥).

وقد ترجم حنين بن اسحق الى العربية سبعة من كتب أبقراط، كما ينسب اليه أيضا أنه نقل جميع مصنفات جالينوس الطبية وتعليقاته على أبقراط، كما يرجع اليه الفضل فى وضع الترجمة العربية لكتاب (الأقراباذين) Metcria Medica لديوسقوريدس Dioscorides . كما اهتم الى جانب الترجمة فى الطب بالتأليف أيضا. ومن أشهر كتبه (عشر مقالات فى العين) وقد نشره "مايرهوف" وحقق نصوصه. وله أيضا كتاب (المسائل فى العين) على طريقة السؤال والجواب، وأيضا (المسائل فى الطب) الذى لقى انتشارا كبيرا فى العالم الاسلامى. كما ترجم فى الفلسفة والرياضة والعلوم. فترجم لأفلاطون وأرسطو وأرشميدس واقليدس وأرسطرخوس، وأوطوليقوس Autolycus وغيرهم(٤٦).

يقول صاحب الفهرست :"ان حنين كان يترجم من اليونانيــــة الى السريانية، ويقوم حبيش بالترجمة من السريانية الى العربية وهذه تراجع من قبل حنين نفسه وفى بعض الأحيان كــــان يــترجم مــن اليونانية رأسا الى العــربية. ويقول (ليكلرك) ان الترجمة كانت إلى السريانية إذا كان المفــروض فيها أنها للقـــراء النصـــارى والـــى العربية إذا كانت للقراء المسلمين. وان هذه الـــتراجم ينــدر جــدا وجودها فى الوقت الحاضر على شكل مخطوطات (٤٧).

ولا تزال لحنين بن اسحق ترجمات كثــيرة مخطوطــة فـــى مكتبات عديدة، تكشف عن قدرة فى الترجمة، واتقان للغتين النـــاقل منها والمنقول اليها. وكان حنين أثناء عمله فى "بيت الحكمة" يتولى بنفسه مراجعة التراجم، ووضعها فى الصـــورة الأفضـــل. وكـــان المأمون يثق فى ترجماته حتى أنه كان يبذل لحنين وزن ما يترجمه ذهبا.

٣ ـ ثابت بن قــرة الحرانــى (٢٢١ - ٢٨٨هـــ / ٨٣٦ - ٩٠٠م)

هو أبو الحسن ثابت بن قرة الحرانى الصابىء. بدأ حياته فى حران حيث مارس مهنة الصيرفة، ثم ارتحل الى بغداد لخلاف بينه وبين علماء دينه. وكان يجيد العبرية واليونانيـــة والســـريانية الـــى جانب العربية والفارسية. لازم محمد بن موسى بن شاكر الذى قدمه للخليفة المعتضد، فصار من جملة المنجمين والمـــترجمين. اتخـــذه المعتضد صديقا له، وفى أثناء خلافته وصل ثابت الى أعلى المراتب

رغم أنه وثنى. ومنذ ذلك الحين قرب الحرانيون الوثنيون من الخلفاء، ثم من بنى بويّة، وارتفع من ثم شأن الصابئة (٤٨).

قام ثابت بترجمة عدد وافر من الكتب الفلكية والرياضية من تأليف اقليدس أوبولونيوس، ونيقوماخوس، وأوطولوقس وبطليموس وغيرهم الى العربية (٤٩)

يذكر القفطى "وأما ما نقله ثابت بنى قرة من لغة الى لغة فكثير، وفى أيدى العلماء كناش عربى جيد يعرف بالذخيرة، من تأليف ثابت"(٥٠). كما أن له عدة مختصرات فى النجوم والهندسة مما علمه ثابت لأولاد موسى بن شاكر.

وقد اهتم ثابت بالهندسة التحليلية، وله ابتكارات سبق بها ديكارت. وقد بلغت مؤلفاته ثلاثة وعشرون كتابا. منها خمسة فى الطب والباقى فى الحساب والهندسة والفلك، هذا فضلا عما كتب فى طقوس الوثنيين وتعاليمهم.

نقل ثابت (كتاب جغرافيا فى المعمور وصفة الأرض) لبطليموس، و(الكرة والاسطوانة) لأرشميدس و(الكرة المتحركة) لأوتولوكس كما ترجم سبعة من كتب أبولونيوس (٥١) الثمانية فى المخروطات، وبذلك يكون قد حفظ ثلاثة منها لا توجد فى لغتها الأصلية : وكذلك نقح كتاب (الأكر) ليثودوسيوس الذى ترجمه قسطا ابن لوقا البعلبكى، وأصلح الترجمة العربية لكتاب (المجسطى) لبطليموس) وجعل متنها سهل التناول. ونقح كتاب (الأصول) لاقليدس، وهى الترجمة التى قام بها اسحق بن حنين (٥٢).

بالإضافة الى ما ترجمه ثابت بن قرة وما قام باصلاحه من ترجمات غيره فقد قام بتفسير العديد من أعمال أشهر فلاسفة اليونان (أرسطو) مثال ذلك كتاب بارى أرمينياس فى المنطق، المقالة الأولى من السماع الطبيعى (٥٣).

٤ ـ قسطا بن لوقا البعلبكى (٢٥٠ - ٣٠٠هـ)

هو نصرانى يونانى. ولد فى بعلبك، ولما شبّ ذهب الى بلاد الروم لطلب العلم، ثم عاد إلى بغداد ومعه من الكتب اليونانية الكثيرة شرع فى نقلها إلى العربية وفى أواخر حياته ذهب الى أرمينيا بدعوة من أحد أمرائها وهناك توفى سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م). وقد كان معروفا بحسن سيرته وعلوّ منزلته بين أقرانه من علماء عصره. وقد ترجم كثيرا من المؤلفات الطبية والرياضية (ذيوفنطس) والفلكية، وترجم الى جانبها مؤلفات فلسفية صحيحة ومنحولة، خصوصا كتب (فلوطرخس). وراجع ترجمة الأصول لإقليدس الذى ترجمه الحجاج بن مضر(٥٤).

وجاء فى الفهرست

"قسطا بن لوقا البعلبكى من نصارى الشام. وكان يجب أن يقدم على حنين ابن اسحق لفضله ونبله وتقدمه فى صناعة الطب، ولكن بعض الاخوان سأل أن يقدم حنين عليه أى فى مجال ذكر كل منها فى كتاب الفهرست، وكلا الرجلين فاضل وقد ترجم قسطا قطعة من الكتب القديمة، وكان بارعا فى علوم كثيرة ومنها الطب

والفلسفة والهندسة والأعداد، والموسيقى. لا مطعن عليه، فصيحـــا فى اللغـــة اليونانية، جيـــد العبـــارة فى اللغة العربية" (٥٥).

ترجم كتاب (الحيل) لـــهيرون Heron وكتـــاب أوطولوقـــس Autolycus وكتاب (السماء) لثيوفراسطس Theophrastus و(الأكـــر) لتيودوسيوس الذى أصلح نقله فيما بعد معاصره (ثابت بـــن قـــرة). وكتـــاب (الفلك الصغير) وهو مجموعة رسائل فلكيـــة لعـــدد مـــن العلماء القدامى مثل أتولوقس و أرسطرخوس و اقليدس و أبولونيوس و أرشمـــيدس و ابسقلاوس و مينالاوس و بطليموس وأطلق قســـطا بن لوقا على هذا الكتاب اسم (كتـــاب المتوســـطات بيـــن الهندســـة والهيئة). ومن أشهر مؤلفاته: الروائح وعللـــها، كتـــاب الأغذيـــة، والمدخل الى علم الهندسة، والفصل بين الروح والنفـــس، والمرايـــا المحرقة، والأوزان والمكاييل، وكتاب الجزء الذى لا يتجزأ، وكتاب (فى شكوك اقليدس)(٥٦).

ومن الجدير بالذكر أن قسطا بن لوقا كان معاصرا للفيلسوف يعقوب بن اسحق الكندى، ولثابت بن قرة الحرّانى مما كان له أثـــر كبير فى عصره فى ازدهار حركة الترجمة.

يقول صاعد الأندلس

"ومن فلاسفة اليونانيين المتأخرين الذين كانوا فى عهد الاسلام فـــى مملكة بنى العباسى معاصرا ليعقوب بن اسحق الكندى، قســـطا بـــن لوقا البعلبكى الشامى" (٥٧).

أما ابن أبى أصيبعة فيقول عنه:

"إن قسطا بن لوقا كان قد رحل الى أرمينية وأقام بها، وكان بأرمينية أبو الغطريف البطريق (من أهل العلم والفضل). فعمل له قسطا كتبا كثيرة جليلة شريفة المعانى مختصرة الألفاظ فى أصناف من العلوم. ومات هناك فدفن وبنى عليه قبة وأكرم قبره كاكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع" (٥٨).

وقد كانت نهضة الترجمة قائمة على جهود هؤلاء المترجمين إضافة الى عدد كبير آخر، لم نذكره، وان كان له أثره ليس ضئيلا.

وكان للمترجمين – سواء فيما نقلوه أو صحّحوه – أو ما قاموا فيما بعد بتأليفه الأثر الكبير فى النهوض الحضارى فى ذلك العصر، وكان دورهم بداية لنشأة علم وفلسفة وفكر، يستقى فى الأصول التى ترجم عنها، ويضيف ويعدل، ويعيد صياغة العديد من الأفكار وفق الظروف الخاصة بالعالم الاسلامى، وما استطاع علماؤه اكتشافه، وما استجد من مسائل فلسفية، وأسئلة لم تكن مطروحة من قبل.

أشهر الكتب المنقولة

لقد نقل المترجمون الى العربية كتبا كثيرة من لغات متعددة، وقد شملت هذه الكتب مجالات متباينة من العلوم، كالطب والصيدلة والرياضيات والفلك والموسيقى والمنطق والنجوم والفلسفة والكيمياء وغيرها.

ولما كان من المستحيل – فى مجالنا هذا – الإحاطة بجميع الكتب والتصانيف المنقولة إلى العربية، لذا فاننا سوف نكتفى بالإشارة فقط – العامة – الى بعض أهم الكتب العلمية والفلسفية المنقولة كنماذج على سبيل المثال.

١ ــ كتاب الأصول لاقليدس(٥٩)

كتب مؤرخو العرب أن هذا الكتاب كان اسمه فى اليونانية (أسطروسيا) أو (أسطرخيا) Sxoxeia تلك الكلمة اليونانية التى عربها العرب الى (أسطقس)، ثم عبروا عنها باللفظ العربى (عنصر) وجمعها عناصر، ثم سموا الكتاب الأركان أو الأصول ويعرف باللغة الانجليزية Elements، والفرنسية Eléments (٦٠).

ويقول ابن خلدون فى حديثه عن هذا الكتاب ما يلى :

"والكتاب المترجم لليونانيين فى هذه الصناعة (ويقصد الهندسة) كتاب اقليدس ويسمى كتاب الأصول أو الأركان. وهو أول ما ترجم من كتب اليونانيين أيام أبى جعفر المنصور" (٦١).

ويشتمل الكتاب على خمس عشرة مقالة، وتختلف نسخ الكتاب باختلاف المترجمين، فقد ذكر صاحب الفهرست (ابن النديم) أن الحجاج ابن مطر نقل الأصول مرتين. الأولى: فى عهد هارون الرشيد، ويعرف الكتاب فيها "بالهارونى". والثانية: فى عهد المأمون، وهى التى اعتمد عليها العلماء، ويعرف (بالمأمونى) (٦٢).

وقد كثرت نقول هذا الكتاب وشروحه وتفاسيره نظرا لأهميته فقد قام اسحق بن حنين بنقل الكتاب، وتبعه ثابت بن قرة الحرانى،

وفسره أبوالوفا البوزجانى (٣٢٨ – ٣٨٨هـ) وأبو القاسم الانطاكى وسند بن على والرازى وغيرهم. فهو كتاب عظيم القيمة، يعتبر الأول فى هذا الشأن بالنسبة لليونانيين، ولم يأت بعده كتاب فى هذا الموضوع الا وأخذ منه وتأثر به. (٦٣)

ونقل الكتاب إلى اللاتينية من العربية عام ١٤٨٢م (٨٨٧هـ) وطبع بالبندقية، ثم وجدت نسخة يونانية فنقلت الى اليونانية وطبع النقل الجديد فى البندقية أيضا عام ١٥٠٥م (٩١٠ – ٩١١ هـ).

٢ ــ *كتاب المجسطى لبطليموس Ptolemous* :

كان بطليموس رياضيا وعالما من علماء الفلك البارزين من أهل مصر، وهو غير بطليموس الطبيب، ولا يتصل بملوك البطالسة. توفى سنة ١٧٠م. وبطليموس هو أول من رصد الكواكب، وعمل اسطرلابا، وإليه انتهى علم حركات النجوم، وانكشفت أسرار الفلك. وقد تجمع على يديه علم اليونان والرومان فى هذا العلم. وكان لكتبه الأثر الأكبر فى تطور علم الفلك عند العرب فى العصر العباسى.ومن أهم كتبه كتاب: ظهور الكواكب الثابتة، وقد بين فيه أيام طلوع الكواكب العظمى وغروبها فى الغدوات والعشيات، وختم الى ذلك ما ذكره القدماء من الحوادث الجوية التى تتفق مع ظهور هذه الكواكب. وقد نقل هذا الكتاب الى العربية وسمى كتاب (الأنواء) (٦٤).

ومن المعروف أن يحيى البرمكى طلب كتاب بطليموس (المجسطى) واهتم به، وكان وزيرا، فأمر الحجاج بن مطر بنقله الى

العربية. وقد أصلحه جابر بن الأفلح، والقبـانى، وأبـو الريحـان البيرونى (توفى ٤٤٠هـ) ونصير الديـن الطوسـى، والشـيرازى (٦٥).

وكانت كثرة مراجعات كتاب (المجسطى) بسـبب غموضـه وصعوبة فهمه ولأنه "لم يعرف كتاب ألف فى علم من العلوم، قديمها وحديثها، فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحـاط بـه مثـل كتـاب المجسطى" (٦٦).

وقد اهتم كثيرون بشرح هذا الكتـاب، أو التعليـق عليـه أو التأليف على منهجه. فهناك شرح ألفه أبو العباس الفضل بن حـاتم النيروزى ت (٣١٠هـ - ٩٢٢م). وهناك كتاب المجسطى لأبـى الوفاء البوزجانى ت (٣٨٨هـ - ٩٨٨م). والقـانون للمسـعودى البيرونى ت (٤٤٠هـ - ١٠٤٨م) وغيرها.

وقال ابن خلدون عن الكتاب

"ومن أحسن التأليف فيه (فى علم الهيئة) كتاب المجسطى منسـوبا الى بطليموس. وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام، كما فعـل ابن سينا وأدرجه فى تعاليم الشفاء" (٦٧).

وقد أصلح العـرب بعـض أخطـاء (المجسـطى) نتيجـة لأرصادهم ودراساتهم العلمية.

٣ ــ كتاب السند هند (سدهانتا) Sind Hind

ومؤلفه هو "براهما جوبتا Brahm Gupta". وهو محرف عن سد هنتا أو سد هاند أو سند هاند ومعناها المعرفة. ويسميه الــهنود الدهر الداهر ومعناه الخلود.

نقله ابراهيم الفزانى عام ١٥٤هــ فى أيام الخليفة المنصور. والكتاب يبحث فى علوم الرياضيات والنجوم. كما تم نقل جــداول الكتاب من السنين الهندية الشمسية إلى السنين العربية القمرية. وهذا الكتاب مؤلف فى صورة شعر فــى (١٤) بابــا تتنــاول الكواكــب وحركاتها، والقمر وخسوفه، والشمس وكسوفها، والبحث فى المثلثات وفيه أول ذكر للجيب Sine واسمه بالسنسكريتية جيفا Jifa (٦٨).

وقد جاء بعد ذلك الخوارزمى وألف (الزيج الصغير) جامعــا فيه مذاهب الهند وفارس واليونان. وفى النصف الثانى من القـــرن الــرابع الهجرى (العاشر الميلادى) انتقل أثــر الســند هنــد إلــى الأنــدلس. وجاء أبو القاسم اصبغ بن محمد بــن الســمح فصنــع (زيجــا) اعتمد فيه على السند هند. وكذلك وضع أبو اسحق ابراهيم الزرقانى (ت ٤٩٣هــ - ١١٠٠م) كتابا فى الأسطرلاب عرف باسم الصحيــفة الزرقانية. ذكر فيه مذاهب شتى فــى الفلــك وحســبان مواقع النجوم منها مذهب السند هند.

بالاضافة الى الكتب السابقة نقل العرب العديد مــن الكتــب الفلسفية والعلمية نذكر منها على سبيل المثال :

أولا : الكتب الفلسفية : (٦٩)

كتب أرسطو طاليس

قاطيغورياس (المقولات) Categories، بارى أرميناس (العبارة)، أنالوطيقا الأولى (القياس)، وأنالوطيقا الثانية (البرهان)، طوبيقا (الجدل)، سوفسطيقا (الحكمة المموهة)، روطريقا (الخطابة)، أبوطيقا (الشعر)، السماء والعالم، الكون والفساد، والآثار العلوية، والسماع الطبيعى، والنفس، والحيوان، والأخلاق، والسياسة.

ولأفلاطون : السياسة، والمناسبات، والنواميس، والسفسطائى وطيماوس.

ثانياً : الكتب العلمية : (٧٠)

كتاب المناظر لاقليدس، وكتاب قطوع المخروط والدوائر لأبولونيوس، وكتاب الأدوية المفردة لديسقوريدس، ومقالات بطليموس التى نقلها ابن البطريق، وكتاب جغرافيا المعمور.

هذا ولم تقتصر الترجمة على هذه الكتب أو هؤلاء المترجمين، كما ذكرنا سابقا، فقد كانت اشارتنا بالتمثيل لا الحصر، وقد كان هناك مترجمون كثيرون، ولكن أقل شهرة من هؤلاء، كما أن هناك كتبا كثيرة غير ما ذكرنا.

والجدير بالذكر أن عددا كبيرا من هذه الكتب قد ضاع، ولم يبق منها الا النذر اليسير موزعة مخطوطاتها بين القاهرة واسطنبول، ومدريد، وباريس، وبرلين، وروما وغيرها ..

وقد كان النقل فى بعض الأحيان لا يتم بنقل كل الكتاب بل بعض أجزائه، كما أنه ليس من اليسير اعطاء صورة واضحة عن جميع هذه الكتب، اذ أن بعضها ليس سوى عناوين وردت فى كتب الطبقات والتراجم، وبعضها مازال مخطوطا لم يطبع، والبعض الأخر قد ضاع كما سبق وذكرنا.

وقد لاحظنا أن بعض الكتب ينقل أكثر من مرة، وقد يصحح وينقح مرات، فيصل الينا وقد تغير سياقه، وقد اختلطت بعض أفكاره بأفكار من ترجمه أو نقحه.

ومن الجدير بالذكر أن العرب لم ينقلوا عن اليونانية كتبا فى الشعر والأدب. فهم لم يترجموا أعمال هوميروس أو سوفوكليس أو يوربيدس أو أرسطوفانيس أو سافو، وغيرهم، وذلك لاعتقادهم بأن شعر اليونان دون شعرهم، ولاعتزازهم بآثارهم الأدبية التى يقدمونها على كل أثر. وقد كان هذا سببا فى عدم دخول فنون المسرح الى العرب فى ذلك الوقت.

وهكذا كان اتجاه العرب فى الترجمة منصبا على مجالات بعينها دون غيرها، وفقا للحاجات الملحة، والأسئلة المطروحة فى ذلك الوقت.

نتائج الترجمة

لقد كان لنقل العلوم وترجمتها نتائج وآثار على الحياة الفكرية والثقافية فى البلاد الإسلامية. وقد حدث انقلاب عظيم تغيرت معه معالم الحياة الثقافية وتحول فيه المجتمع الإسلامي من مجتمع قائم

على روح البداوة، والحروب والغزوات إلى مجتمع للعلم فيه نصيب كبير، وصار الحوار عقليا، وبدأ احترام العقل - وذلك رغم وجـــود المتعصبين والمتزمتين وضيقى الأفق والذين ينتشـــرون فـــى كـــل عصر. ولكن هؤلاء لم يستطيعوا أن يوقفوا مسيرة الحضـــارة وان عملوا فى آحيان كثيرة على إعاقتها.

وقد حدث التغير فى مجالات عدة نذكر منها :

١ ــ فى اللغة

لقد أدت الترجمة الى يقظة الوعى. واتساع مجالات الفكــر، مما شحذ القرائح، وفتح الأذهان على الابداع والتجديد.

وقد كانت الآثار واضحة جلية فى اللغة العربية اذ دخلت الى العربية المعان الجديدة، والتراكيب الفنية، والألفاظ العلمية، واتســـع صدرها للعديد من الكلمات الأجنبية. واتسع مجالها من لغـــة قبليـــة ضيقة الى لغة عالمية، فأصبحت هى لغة الحكمة القانون والسياســـة. أى تحولت من لغة السيف إلى لغة الحضـــارة والعلـــم. واكتســـحت اللغات المحلية وكانت اللغة السريانية أولى ضحاياها (٧١).

وبعد أن كانت اللغة العربيـــة فقـــيرة "بالمعـــانى العقلانيـــة المجردة، غنية بالألفاظ الحسية، أضحت ثرية بالمعانى المجردة تفى بحاجات العلم، والفلسفة، والمنطق، وكل ما تتطلبه الوثبة العقلية من معان (قياس جزئى، كلى، مطلق، صورة، عرض، جوهـــر، كـــم، كيف، هوية، محمول، موضوع، مصادرة، حد ..." (٧٢).

ان الصدمة الحضارية التى فوجئت بها اللغـــة العربيـــة لـــم تضعفها. فمع أنها واجهت ثقافات مصر، والهند وفارس، والإغريق،

فقد صمدت ولم تضعف. فقد أدرك العلماء والباحثون فيها الوضع الجديد الذى تمخضت عنه الأحداث، فقاموا بعمليات نحت الكلمات، والتجديد والاشتقاق، أو عن طريق اضافة كلمات جديدة، أو معان جديدة على ألفاظ قديمة، أو باقتباس ألفاظ أعجمية وتحريفها.

ومن هذه الألفاظ : "فلسفة، جغرافيا، اسطقس، اسطرلاب، اسطورة، مجسطى، طبق، كعك، بلور، نرجس، ترياق .. " (٧٣).

وقد قال البعض ان العربية بهذا قد فقدت جزالتها وبلاغتها القديمة، وما تميزت به فى صدر الإسلام والجاهلية والعصر الأموى(٧٤).

ويكفى لكى نعرف ما طرأ على اللغة العربية نتيجة للتجربة، ان نقارن بين الأدب فى العصر العباسى، والأدب الجاهلى، لكى نقف على التراكيب الجديدة، والمعانى المستحدثة، وغزارة وثراء اللغة.

هذا وقد استفادت العلوم اللغوية من المقاييس والمدارك الأجنبية فى التعريف، والتقسيم، والتحليل والبرهنة.

٢ - *فى الفكر الاسلامى*

لقد كان الأثر كبيرا فى الفكر الاسلامى، فلم يكن الفرق بين الفكر الاسلامى قبل الترجمة وبعده فارقا حسابيا، بل لقد كان فارقا جوهريا وكيفيا. (٧٥)

فقد اندفع مفكرو الاسلام الى الدين وآياته يعرضونها على محك العقل، بعد ان كانت مقبولة ومسلماً بها دون جدال أو نقاش.

ومن هنا فلسفت العقائد الدينية واعتمدت المناهج العلمية فى تدعيـــم هذه العقائد. ونشأ علم الكلام الذى يحدده ابن خلدون بقوله :

"هو علم الحجاج عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة والمنحرفين" (٧٦).

وقد اتسعت حضارة العرب بنقل الترجمة، وما دخل اليها من أفكار وآراء ومذاهب وفلسفات. وقد دأبت الفرق الاسلامية – التى جاءت إلى الاسلام نتيجة لخلافات سياسية فى جوهرها – تبحث عن الآراء التى تساعدها فى تكوينها العقلى، وتلتمـــس حججـــا جديـــدة، متسلحة بالعلم، والمنطق اليونانيين، مما ساعد علـــى توســـيع شقـــة الخلاف بين الفرق، حتى قال الامـــام أبوحـــامد الغزالـــى (٤٥٠ – ٥٠٥هـ) أن الفلاسفة خارجين عن جادة الصواب، فـــى معـــرض هجومه على الفلسفة، فى كتاب التهافت (٧٧).

ولم يكن رد فعل الغزالى تجاه الفلسفة، هـــو الـــرد الســـلبى الوحيد، بل شاركه الرأى الفقهاء مثل ابن حنبل (١٦٤ – ٢٤١هـــ) وابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨هــ) الـــذى رأى أن الفلســـفة والجـــدل، والعلوم مضيعة للوقت ومفسدة للرأى (٧٨)، وكذلك ابن خلدون الذى اعتبر الفلسفة عملا مفسدا للعقل والايمان (٧٩).

هذه الآراء التى مازال صداها يتردد فى العالم العربى مـــن الاتجاهات السفلية، والممعنة فى الانغلاق والتحجر، والتى تدعو الى العودة الى مجتمع الجهل.

ولكن مثل هذه الآراء السلبية لم تثن علماء الإسلام ومفكريه عن العمل من أجل تقدم الفكر، والمساهمة فى بنائه. فقد تعلموا، ثم

أضافوا اضافات باهرة. فكان أن فتحت الترجمة أمام العقل العربى آفاق الحياة، وبفضلها نبغ علماء وفلاسفة كبار أثروا الفكر الانسانى وكانوا بمثابة معلمى البشرية أمثال :

الفارابى وابن سينا، وابن رشد، وابن الهيثم، وجابر بن حيان، والخوارزمى، والبيرونى، وحتى ابن خلدون الذى كان منتقدا لـــهذه الحركة كان نتاجا لها.

٣ – *أثر الترجمة والنقل فى المنهج*

لقد استفاد العرب من المقاييس والمدارك الأجنبية فى معالجة علومهم اللغوية والشرعية والعقلية، كما استفادوا أيضا فـــى تنسـيق الكتب، وتبويبها، والعناية بالتنظيم والتقسيم والتعريـــف، والمقارنـــة، والتسلسل فى عرض الأفكـــار، والآراء والمذاهـــب، والمعتقـدات، وبالتالى فى كبح العشوائية، وتجنب الارتجال، وبعد أن كان العـــرب يكتبون خطرات، أو خطباً تأتى وفق الـــهوى، والخـــاطر صـــاروا يهتمون بالتحليل، والمقارنة، والتدقيق والربط. (٨٠)

وقد ظهر ذلك جليا فى كتابات الفلاسفة الاسلاميين، وعلمـــاء الكلام. وقد بدا واضحا نقلهم لبعض المعايير والمقاييس، والطـــرق المنهجية، وكذلك التصنيف. فنجد أرسطو، وأفلاطون، وقـــد أثـــرا تأثيرا قويا فى الفارابى وابن سينا، وغيرهم ..

ونجد الاعتماد على العقل والبرهان سواء كان فـــى العلـــوم الدينية أو الدنيوية، وقد ظهر ذلك جليا فى طرح المشكلات الفلســفية الكبرى مثل قدم العالم وحدوثه، أدلة وجود الله .. وغيرها ..

وهكذا نجد أن الترجمة قد غزت الحياة العربية، وفجرت الطاقات الكامنة لدى العرب، وفتحت آفاقا جديدة للفكر العربي بتفاعله مع الآراء والأفكار الأخرى.

وهكذا انطلق العرب لبناء حضارة جديدة عمادها العلم والفكر، وأساسها العقل، والتجربة.

ومع ذلك لم تخل الترجمة من مساوئ، ناتجة عن الترجمة أو المترجمين أنفسهم، نذكر منها :

(١) الأخطاء الناتجة عن عجز المترجمين والنقلة عن الإحاطة بما كانوا ينقلون، وعجز بعضهم عن إتقان اللغة المنقول عنها أو اليها إتقاناً كاملا، مما جعل النصوص مشوهة أو بها العديد من الأخطاء.

(٢) عدم أمانة بعض الناقلين، خاصة عند نقلهم أفكارا فلسفية لا تتلاءم مع أفكارهم ومفاهيمهم الدينية.

(٣) طمع وجشع الناقلين والمترجمين بالكسب المادى، جعلهم ينقلون الفصول من كتاب، ويجعلونها كتابا تاما، أو يعدلون بعضا منها ويجعلونه كتابا جديدا، أو ينسبون الكتاب إلى غير صاحبه، مثلما فعلوا بكتاب (أثولوجيا) (٨١) فنسبوه إلى أرسطو، بينما هو منتزع من كتاب لأفلوطين.

وقد نتج عن هذه السلبيات العديد من الأخطاء، وكان أن سادت بعض المفاهيم المغلوطة عن بعض الفلاسفة، مما كان له أثره فى الفكر العربى آنذاك.

ومهما يكن فقد فتحت الترجمة آفاقا جديدة، وأتـــاحت للفكـــر العربى الإطلالة على ثمار العقول الأخرى، وفتحت أبواب الجـــدل والحوار، وكان الثراء العظيم لهذا الفكر، مما جعله يشع على العالم، ويقدم معرفة – لولاها – لا كان العالم اضطر الى العودة مرة أخرى الى نقطة البداية، مما كان يكلّف العقل البشرى كثيرا، وكان الفكـــر الانسانى فى حال غير ما هو عليه الآن.

هوامش الفصل الثانى
(الترجمة والنقل)

١ - الجميلى، رشيد حميد حسن : حركة الترجمة فى المشرق الإسـلامي فـى القرنين الثالث والرابع للهجرة ــ الناشر(الكتاب والتوزيع والاعلان والمطـابع) ــ طــ١ ــ طرابلس ــ ١٩٨٢ ــ ص ص٤٤،٤٥.

وأيضاً : مرحباً، محمد عبد الرحمن : المرجع فى تاريخ العلوم عند العـرب ــ منشورات دار الفيحاء/ بيروت ــ ١٩٧٨ ص ص٩٠،٩١

وأيضاً : محمود، حسن أحمد الشريف، أحمد إبراهيم : العـالم الاسـلامى فـى العصر العباسى ــ القاهرة ١٩٦٦ ــ ص٢٦٧ ،٢٦٨.

٢ - السكاف، أسعد& مطرجى،محمود : تاريخ العلوم عند العرب ــ دار نظير عبود ــ طــ٢ ــ بيروت ــ ١٩٨٨ ــ ص٦٣.

٣ ــ الجميلى، رشيد حميد حسن : مصدر سابق ــ ص٤٦.

٤ - السكاف& مطرجى : مصدر سابق ــ ص٦٢.

٥ ــ مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص ص٢٠٢،٢٠٣.

٦ ــ أمين، أحمد : ضحى الاسلام ــ جــ١ ــ مكتبة النهضة العربية ــ طــ٣ ــ ١٩٦٤ ــ القاهرة ــ ص٣٨٠.

عن : الجميلى، رشيد حميد حسن : مصدر سابق ــ ص ص٤٦،٤٧.

٧ ــ راجع : مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ص ص٢٠٣،٢٠٤.

وأيضاً : الفهرست لابن النديم ص ص٣٤٠، ٣٧٤، ٤٨٤ وأخبار الحكمـاء للقفطى ص٥٤ والسكاف& مطرجى : مصدر سابق ــ ص٦٣.

٨ ــ الطويل، توفيق : فى تراثنا العربى الاسلامى ــ عالم المعرفة ــ المجلــس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت ــ ١٩٨٥ ــ ص ص٧٨، ٨٨.

٩ ــ السريان : اسم أطلقه المصريون ثم اليونانيون على أهــل ســوريا، ومــن اليونانيين استعارة الأراميون الغربيون. ومن السريان الغربيــــن ســرى إلـــى المتنصرين من الكلدان الآشوريين، فتسموا باسم السريان تمييزاً لهم من الكلــدان الآشوريين الوثنيين. فان يكن الإسم السريانى حينئذ يشير إلى أمة بل إلى الديانة المسيحية لاغير. هذا وان لفظة سريانى تفسر بلفظة نصرانى، وإلى يومنا هــذا نرى الكلدان والآشوريين لا يتخذون لفظة سريانى للدلالة على الجنسية بل على الديانة. فإن هذا الإسم عندهم مرادف لإسم مسيحى من أى أمــة وجنــس كــان أدى شير : تاريخ كلدو آشور ــ بيروت ١٩١٢ جــ١ ــ ص١ مــن المقدمــة. كذلك ابراهيم أحمد رزقانه ــ حضارة مصر والشرق القديــم (القــاهرة ١٩٧١) ص٣٨٥، حتى، فيليب : تاريخ سورية ولبــنان وفلسطــين ــ ترجمة جـــورج حداد وعبد الكريم ــ بيروت ١٩٥٨ ــ جــ١ ــ ص ص١٨٤ ــ ١٨٥.

عن : الجميلى، رشيد حميد حسن : مصدر سابق ــ ص ص٣٣،٣٤.

١٠ - الجميلى، رشيد محمد حسن : مصدر سابق ــ ص ص٣٢،٣٤.

١١ - السكاف&مطرجى : مصدر سابق ــ ص ص٦٧،٦٨ وأيضاً الجيلـــى : ص ص٣٥، ٣٨.

١٢ - المصدران السابقان نفس الصفحات.

١٣ - السكاف، مطرجى : مصدر سابق ــ ص٤٩.

١٤ - بدوى، عبد الرحمن : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ــ دراسات لكبار المستشرقين. وكالة المطبوعات ــ دار القلم ــ طـــــ٤ ــ (الكويــت ــ بيروت) ١٩٨٠ ــ ص٧٨.

١٥ - بدوى عبد الرحمن : خريف الفكر اليونانى ــ دار النهضة المصريـــة ــ القاهرة ــ الفصل الثانى.

١٦ - العدوى، إبراهيم أحمد : الأمويون والبيزنطيون ــ القــاهرة ــ ١٩٥٣ ــ ص٢٧٥. عن الجميلى : مصدر سابق ــ ص١٨٠.

١٧ - الطويل، توفيق : مصدر سابق ــ ص٨٥.

١٨ - النشار. على سامى : نشأة الفكر الفلســفى فــى الإســلام ــ جـــ١ ــ القاهــرة ١٩٩٦ ص١٠٩.

١٩ - النساطرة : نسبة إلى نسطريوس أســقف القســطنطينية (٤٣٨م) الــذى اضطهد لبدعة أحدثها فى العقيدة المسيحية قوامها : أن الله ذو أقانيم ثلاثة، ليست زائدة عن ذاته ولا هى هو. ويرى أن المسيح انسان بالولادة، ثم إتحدت به الكلمة الإلهية فأصبح ألهاً. وقد نفى وأتباعه من القسطنطينية، وأقفلت مدرســتهم فــى الرها. راجع : تاريخ الكنيسة المسيحية ــ نقله عــن الروســية إلــى العربيــة المطران الســكندروس ص ص٢٥٢ ــ ٢٦٢، مطــابع الفجــر ــ ص١٩٦٤. والملل والنحل للشهرستانى ج١ ص ١٧٥ان مطبعة محمود توفيـــق ــ القــاهرة ١٩٤٩ ــ عن : السكاف& مطرجى : مصدر سابق ــ ص٥١ الهامش.

٢٠ - راجع عثمان، فتحى : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربــى والاتصال الحضارى ــ القاهرة ١٩٧٣ ــ جــ٣ ص٢٦٢، ٢٦٣، عن الجميلى : مصدر سابق ــ ص١٩٣،١٩٤ وأيضاً : السكاف& مطرجى : مصدر ســابق ص٥١.

٢١ - الجميلى، رشيد حميد حسن : مصدر سابق ــ ص١٩٤.

٢٢ - انطاكية : وكانت انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى مـــن أعيان البلاد وأمهاتها ــ الحموى : معجم البلدان ــ باب الــهمزة والنــون ومــا

يليهما،وعن أهمية مدينة انطاكية يذكر فيليب حتى : قام سلوقس الأول (٣١٢ ــ ٣٨٠ ق.م) بتشييد مدن اغريقية للجنود القدماء المتقــاعدين وللجــدد القــادمين ولموظفى الدولة والتجار والصناعيين من الإغريق، هذه المستعمرات نمت على مر الزمن إلى مراكز اغريقية تنبعث منها الحضارة الاغريقية بلغتها وفلســفتها وعلومها إلى سائر البلدان المجاورة لها. وكان أعظمها مدينة انطاكية على نهر العاصى التى أصبحت عاصمة المملكة السورية. فيليب حتى : موجــز تــاريخ الشرق الأدنى ــ ترجمة أنيس فريحة ــ بيروت ١٩٦٩ ــ ص٩٤ ــ راجــع : الجميلى : مصدر سابق ــ ص ص١٨٦، ١٨٧.

٢٣ - السكاف& مطرجى : مصدر سابق ــ ص ص٥١،٥٢.

٢٤ - الجميلى، رشيد حميد حسن : مصدر سابق ص ص١٨٦،١٨٨.

٢٥ - جند يسابور : وأصل التسمية، أن سابور بن أزدشير قد هــادن فيليبــس قيصر ملك الروم وطلب منه أن يزوجه ابنته ففعل القيصر، وقبل أن تنقل إليــه بنى لها مدينة على شكل قسطنطينية وهى (جند يسابور) وكانت قريــة لرجــل يعرف (بجندا) فشاركه سابور فى البناء فصار أسمها : جند يسابور. ولما نقلت إليها إبنة قيصر، انتقل معها الأطباء والفقهاء من أهل بلدها يعلمون أهل المدينــة ويرتبون القوانين ويجمعون بين حكمتى الهند واليونان ــ أخبار الحكماء للقفطى ص٩٣٣ راجع السكاف& مكرجى : مصدر سابق ــ ص٥٢.

٢٦ - المصدر السابق : ص٥٢، وأيضاً : الجميلى، رشيد حميد حسن : مصدر سابق ــ ص ص١٩٩ ،٢٠٢، وأيضاً : تاتون، رنيه ــ مصدر ســابق ــ ص ص٤٥٦،٤٥٧.

٢٧ - القفطى، جمال الدين أبو الحسن على : أخبار العلماء بأخبــار الحكمــاء (القاهرة ١٣٢٦هـ) ــ ص٩٣.

٢٨ – جوررجيس بن بخشيتوع الجند يسابورى : كان فاضلاً مذكوراً، وله من الكتب كتاب الكناش، وكان المنصور فى صدر أمره عندما بنى مدينة السلام أدركه ضعف فى معدته وساء حاله، فأمر بجمع الأطباء فلما اجتمعوا قال لهم أريد من الأطباء فى سائر المدن طبيباً ماهراً، فقالوا ما فى عصرنا أمهر من جورجيس بن بختيشوع رئيس أطباء جند يسابور، فإنه ماهر فى الطب وله مصنفات جليلة فتقدم المنصور باحضاره، فأنفذه العامل بجند يسابور إلى حضرة الخلافة بعدما امتنع عن الخروج وأكرهه العامل فخرج... ولما وصل إلى مدينة السلام أمر المنصور بإحضاره، فلما وصل إلى الحضرة دعا له بالفارسية والعربية، وعجب المنصور من حسن منطقه ومنظره وأمره بالجلوس وسأله عن أشياء أجاب عنها بسكون.. ولم يزل جورجيس يتلطف له فى تدبيره حتى برئ المنصور وعاد إلى الصحة وفرح بها فرحاً شديداً – القفطى – إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٠٩،١١١ راجع : الجميلى : مصدر سابق – ص٢٠٤ الهامش.

٢٩ – تاتون، رنيه : مصدر سابق – ص٤٥٧.

٣٠ – المصدر السابق ٤٥٧.وأيضاً السكاف& مطرجى : مصدر سابق ص١٨٩.

٣١ – الجميلى، رشيد حميد حسن : مصدر سابق ص١٨٩.

وأيضاً : هل،ى : الحضارة العربية ترجمة إبراهيم أحمد العدوى – القاهرة – ١٩٥٦ ص١٠٦.

٣٢ – الصابئة : وهم من يعتقد فى الأنواء، اعتقاد المنجمين فى السيارات، حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء ويقول مطرنا بنوء كذا. والصائبة أمة كبيرة من الأمم الكبار. وقد اختلف الناس فيهم

اختلافاً كثيراً بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم وهم ينقسمون إلى مؤمن وكافر. قال تعالى : (إن اللذين أمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون). وصابئة حران قسمان : صابئة حنفاء وصابئة مشركين، والمشركون منهم يعظمون الكواكب والبروج، وطوائف منهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون فى صلواتهم الكعبة ويعظمون مكة ويرون الحج إليها ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ــ محمود الألوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ــ القاهرة ١٩٢٤ جـ٢ ص٢٢٣، ٢٢٤.

وهم الذين شملهم تعبير (أهل الذمة) أى اليهود والنصارى وغيرهم ممن دخل ضمن هذا التعبير. وكان آخر عهد ازدهر فيه الصابئة أواخر القرن الثانى فى عهد الخليفة الأمين، فى ذلك العصر عاد شأن الوثنية بحران إلى الظهور. وقيدت الثيران فى جميع الشوارع مزينة بغالى الثياب والورود والرياحين وبالأجراس على قرونها، وسار خلفها الرجال بالمزامير ــ متز، أدم : الحضارة السلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة محمد أبو ريده ــ القاهرة ــ ١٩٥٧ ــ ص٦٥.

وفى حوالى عام (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) استفتى الخليفة القاهر أبا سعيد الأصطخرى محتسب بغداد فى الصائبين فأمره بقتلهم لأنه تبين لهم أنهم يخالفون اليهود والنصارى ويعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك حتى جمعوا من بينهم مالاً كثيراً فكف: عنهم السبكى، طبقات الشافعية الكبرى ــ القاهرة ــ د.ت. جـ٢ ص١٩٣.

وكان جيرانهم وأغلبهم من السريان النصارى ينظرون شزراً إلى الحرانّيين وكانت مدينتهم تسمى هلينوبوليس (مدينة اليونانيين) احتقاراً لها

وتهكماً عليهم. ولكن الدراسات اليونانية كانت متقدمة منذ زمن بعيد فى هـــذه المنطقة كلها، وكان القائمون بها من النصارى والوثنيين على الســواء، وكــانت الدراسات حسب ما نعرف فلكية رياضية سحرية فلسفية طبية. وعند الصابئـــة كانت للفلك المكانة الأولى ــ بدوى، عبد الرحمن. التراث اليونانى فى الحضارة العربية ــ مصدر سابق ــ ص٧٠.

راجع الجميلى : مصدر سابق ــ ص١٨٩، ١٩٠ الهامش.

٣٣ – هرمس الحكيم : المقصود به النبى ادريس. ويطلق الاسم على ثلاثة : الأولى هرمس الأول الذى كان قبل الطوفان ويعرف باسم (جيومــورت) وأول من بنى الهياكل ونظر فى الطب. الثانى : هرمس البابلى الذى بنى مدينة بابل وكان بارعاً فى الطب والفلسفة وعارفاً بالأعداد والثالث : المصرى المســـمى : بالمثلث الحكمة، لأنه جاء ثالث الهـــرامسة الحكماء وله كتـــاب جليـــل فـــى صناعة الكيمياء ــ راجع القفطى : ص ص٥،٦،٧، والفهرست لابن النديـــم ص ص٣٣٢،٣٣٣،٣٧٣،٣٩٤،٤٩٤. عن : السكاف& مطرجى : مصدر ســـابق ــ ص٥٣.

٣٤ – السكاف& مطرجى : مصدر سابق ص٥٣.

٣٥ – براون، ادوارد جى : الطب العربى ــ ترجمة داود سليمان علـــى ــ دار الشئون الثقافية العامة ــ طـ٢ ــ بغداد ١٩٨٦ ــ ص٣٠

٣٦ – لمزيد من التفاصيل عن بيت الحكمة البغدادى، راجع : رجب، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ص ص٢١٣،٢١٤، الجميلى، رشيـــد حميـــد حســـن : مصدر سابق ص٢٠٥ ــ ٢١٧.

٣٧ – السكاف& مطرجى : مصدر سابق ص٥٣.

٣٨ – هو حكيم قريش وأول من نقل فى الإسلام من لغة إلى لغة، أمر العلماء بنقل الكتب من اللسان القبطى واليونانى إلى العربى – راجع الفهرست لابن النديم ص٣٣٨، البيان والتبين للجاحظ جـ ١ ص١٧٨ طبع مصر ١٣٦٩هـ والأعلام لخير الدين الزركلى ج٢ ص٣٠٠ – ٣٠١ – عن : السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص٥٤.

٣٩ – المصدر السابق – ص٥٥.

٤٠ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص٢١٤.

٤١ – المصدر السابق – ص ص٢١٤، ٢١٥.

٤٢ – بدوى، عبد الرحمن : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية – مقالة مايرهوف : من الاسكندرية إلى بغداد – مصدر سابق – ص٥٨.

٤٣ – الهونى، فرج محمد : مصدر سابق – ص١٨٤.

٤٤ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٢١٩. وإذا كان ابن جلجل قد رأى أن حنين بن اسحق قد التقى الخليل بن أحمد، فإن ابن صاعد الأندلسى يرى غير ذلك مؤكداً أن هذا لم يحدث لأن وفاة الخليل كانت قبل ميلاد اسحق بحوالى أربع وعشر عاماً. إذ أن الخليل بن أحمد توفى عام (١٧٠هـ / ٧٨٦م) وولادة اسحق كانت (١٩٤ هـ / ١٨٠٩). راجع ابن صاعد الأندلسى – طبقات الأمم – ص٤٠ عن : الجميلى، رشيد حميد حسن : مصدر سابق ص ص٢٤٦، ٢٤٧ الهامش.

٤٥ – المصدر السابق – ص١٢٨.

٤٦ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ص ٢١٩، ٢٢٠.

٤٧ – براون، ادوارد جى : مصدر سابق – ص٢٩.

٤٨ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص٢٢٢.

٤٩ – مايرهوف، ماكس : من الاسكندرية 'إلـــى بغـداد ــ مصـــدر ســـابق ــ ص٥٩.

٥٠ – القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ــ مصدر سابق ــ ص٨٤.

٥٢ – أبو لونيوس : صاحب كتاب المخروطات. وقد ذكر أولاد موسى فى أول كتاب المخروطات أنه قد أهمل الاسكندرية وأن كتابه فقد لأسباب منها صعوبـــة نسخة، وأنه صار متفرقاً بين أيدى الناس وإمّحا وذكره إلـــى أن ظـــهر رجـــل بعسقلان يعرف بأوطوقيوس وكان مبرراً فى علم الهندسة. وقال بنو موسى إن لهذا الرجل كتباً حسنة فى الهندسة لم يخرج إلينا منها شيئاً البتـــة، فلما أن جمع ما قدر عليه من الكتاب أصلح منه أربع مقالات. وقالوا ان الكتاب ثمانى مقالات والموجود منه سبع مقالات وبعض الثامنة. وترجم ثابت بن قره المقالات الثلاث الأواخر ــ الفهرست لابن النديم ــ ص٢٦٩ راجع الجميلى : مصـــدر ســـابق ص٢٩٧ الهامش.

٥٢ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص ص٢٢٢ــ ٢٢٣.

٥٣ – ابن النديم، الفهرســـت ــ ص ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠، ٣٦٦، ٣٦٩ كذلـــك السيوطى : صون المنطق : ص ص ١٠،١١ عن : الجميلى ــ مصدر سابق ــ ص٢٦٨.

٥٤ – راجع مقال بويج من (كتاب النبات لأرسطو ــ نيقـــولاؤس Bouyges, sur. Lw De plant's d'amtotle - Nicolas, In Melages de l'univerite st. Joseph de Beyrouth ix (1923) p.p 103 - 107.

عن مايرهوف، ماكس : من الاسكندرية إلى بغداد ــ مصـــدرر ســـابق ــ ٥٩. وأيضاً : مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٢٢٤. وأيضاً القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ص٢٤، ١٧٣.

والفهرست لابن النديم ص٣٤٠.

٥٥ – ابن النديم: الفهرست ــ مصدر سابق ــ ص٢٩٥.

٥٦ – راجع : القفطى : أخبار الحكماء ص٢٤، ١٧٣، ابن النديم : الفهرست ــ ص٣٤٠، الزركلى : الاعلام : ج٥ ص ١٩٧ وابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٢٤٤.

وأيضاً : مرحباً ، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٢٢٤.

٥٧ – الأندلسى، أبو القاسم صاعد بن أحمد التغلبى : طبقات الأمم ــ النجف الأشرف ــ ١٩٦٧ ص٣٥، ٤٨ عن : الجميلى : مصدر سابق ــ ص٢٨٩.

٥٨ – ابن إلى أصبيعية : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ــ بيروت ١٩٥٧ ــ جـ١ ــ ص٢٤٤.

٥٩ – راجع ترجمته فى القفطى : أخبار الحكماء ــ ص٤٥، وابن النديم : الفهرست ص٣٧١.

٦٠ – فروخ، عمر : تاريخ العلوم عند العرب ــ دار العلم للملايين ــ ط ــ ــ بيروت ــ ١٩٨٤ ص١٢١ ــ الهامش.

٦١ – ابن خلدون، عبد الرحمن : المقدمة ــ دار إحياء التراث العربى ــ بيروت ــ ص٩٠٢.

٦٢ – ابن النديم : الفهرست ص ص٣٧١، ٣٧٢ ، القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ــ ص ص٦٧، ٦٩.

٦٣ – ابن النديم ــ الفهرست ــ ص ص ٣٢٧، ٣٤٢& القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ــ ص ص ٦٧ ــ ٦٩.

وأيضاً السكاف& مطرجى : مصدر سابق ص٧٧.

٦٤ – فروخ، عمر : تاريخ العلوم عند العرب ــ مصدر سابق ــ ص١٢٧.

٦٥ – القفطى : إخبار العلماء بأخبـــار الحكمـــاء ــ ص ص ٦٨، ٦٩. أيضـــاً السكاف& مطرجى : ص٧٧.

٦٦ – القفطى : المصدر الســـابق ــ ص ص٦٨، ٦٨.أيضـــاً ابـــن النديـــم : الفهرست ــ ص٣٢٧.

٦٧ – فروخ، عمر : مصدر سابق ــ ص١٣٠. وأيضاً ابن خلدون : المقدمـــــة ص٩٠٦.

٦٨ – القفطى : أخبار الحكماء ص ص٤٢، ١٧٤، ٢١٨.

٦٩ – السكاف& مطرجى : مصدر سابق ــ ص ص٧٩، ٨٠.

٧٠ – وقد جرى ذكرأهم هذه الكتب من قبل، ومن قام بترجمتها فى سياق أهـــم المترجمين.

٧١ – مرحباً: محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ص ص٢٣١،، ٢٣٢.

٧٢ – صليباً، جميل : تاريخ الفلسفة ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ــ ١٩٧٠ ص ص١١٢، ١١٣.

٧٣ – المصدر السابق ــ ص ص١١٠ ،١١١.

٧٤ – المصدر السابق ص١١٣.

٧٥ – مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص٢٢٩.

٧٦ – ابن خلدون : المقدمة ــ دار الكتـــاب اللبنـــانى ــ بـــيروت ــ ١٩٦٧ ــ ص٨٢١ وأيضاً السكاف &مطرجى : ص٦٥.

٧٧ – مرحبا : محمد عبد الرحمن ــ مصدر ســـــابق ــ ص٢٣١، الســـكاف& مطرجى : مصدر سابق ــ ص٦٥، راجع أيضاً ــ الغزالى،تهافت الفلاسفة أبو حامد الفلاسفة ــ تحقيق سليمان دنيا ــ ط ٣ن ــ دار المعارف ١٩٥٦.

٧٨ – صليباً : تاريخ الفلسفة العربية ــ مصدر سابق ــ ص ص١١٤، ١١٥

٧٩ – ابن خلدون : المقدمة ــ ص ص٥١٦، ٥١٧.

٨٠ – مرحباً، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ــ ص ص٢٤١، ٢٤٢.

٨١ – قام بنشره وتحقيقه عبد الرحمن بدوى ــ مطبعة النهضـــة المصريـــة ــ القاهرة ١٩٥٥.

الفصل الثالث

العلوم عند العرب

أولاً : الرياضيات وعلم الفلك

لقد كان نصيب العرب قبل الاسلام وفى صدر الإسلام من علم الحساب ضعيفا جدا بالنسبة للأمم الأخرى. وتفيد المصادر العربية العديدة بأن الحساب فى الدواوين فى القرن الأول للهجرة فى مصر كان باللغة القبطية، وفى سوريا بالاغريقية، وفى العراق وبلاد فارس بالبهلوية (أى الفارسية المتوسطة). وقد استمرت الحالة على هذا النحو الى أن أمر عبد الملك بن مروان فى سنة ٨١هـ، والحجاج بن يوسف الثقفى فى سنة ٨٧هـ، وعبد الله بن عبد الملك بن مروان بترجمتها الى العربية (١).

وقد صارت بغداد مركزا علميا مهما فى عصر الخلافة العباسية، حيث تم ترجمة العديد من الكتب الرياضية وعلم الفلك، بالاضافة الى الدراسات الفلكية المأخوذة عن الهند، وقد تم ترجمة العديد من أمهات الكتب اليونانية – كما أشرنا سابقا. مثل أعمال أرشميدس، وأبولونيوس، وبطليموس، وغيرهم. وكان أرسطو محطة اتصال جيدة مع انجازات العلم اليوناني. وعلى موازاة هذا توجب اعطاء دور ضخم للعادات المحلية التى تشكلت على مدى القرون فوق أراضى مصر، وايران وغيرها، وكذلك أيضا للعلاقات التى أقيمت مع الصين، وقد لعب تمثل التراث الثقافى دورا كبيرا فى تكون الرياضيات العربية دون أن تحرمها من الأصالة(٢).

وقد تميزت الرياضيات العربية بالمزج الدقيق بين الأمانى الهادفة الى حل المسائل التى تطرحها الحياة العملية أو العلم السائد، والعمل الزاخم فى الفكر النظرى. وقد أتاح هذا امكانية رفع مستوى

تشكيل أساليب العدّ، واللوغاريتمات الحسابية، والجبر، وتطوير حساب المثلثات. وهذا الميل الى التركيب هو ميزة الرياضيات العربية منذ بداية القرن التاسع، قد تأكد مع الوقت. وقد أتاح تطويرا ضخما للعلوم الرياضية (٣).

١- علم الحساب

كان العرب منذ الجاهلية الى صدر الاسلام وبداية العصر العباسى يستخدمون العدّ والحسبان فى أمورهم العملية من البيع والشراء وتقسيم الغنائم، والإرث، وقياس الأراضى والكيل والوزن وما الى ذلك. وقد دفع التوسيع الجغرافى العرب الى الحاجة الى الأعداد كى يضبطوا بها حساباتهم، وينظمون بيوت المال والأمور التجارية (٤).

أخذ العرب عن الهنود الأرقام بعد أن كانوا يستعملون حساب الجمل القائم على اعطاء كل حرف من حروف الأبجدية قيمة عدد به على النحو الآتى :

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠
غ								
١٠٠٠								

ثم ضموا حرفين أو أكثر الى بعضهما مثل العـــدد ١٤= يـد والعدد ١٧= يز، و ١١١= قيـــا، ١١١١= غقيـا، ٢١١١= بقيـا، ٢٠٠٠= بغ .. وهكذا.

وقد بدأ انتشار الأرقام الهندية فى زمن المنصور (١٥٤)هـ عندما حضر الى بغداد الفلكى الهندى كانكا Kanka الذى أحضر معه كتاب (سندهانتا) ومنه اطلع العرب على الأرقام الهندية. وهى التى يستعملها أكثر الأقطار الاسلامية والعربية، وترسم على النحو الآتى :

١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ ... (٥)

وقد اتجه العرب بعد ذلك الى النظام الرقمى الـــهندى الـــذى يعتمد على سلسلتين (٦)

- الأولى : وهى التى لا تزال مستعملة حتـــى الآن فـــى المشـــرق العربى وهى ١، ٢، ٣، ٤ ...
- الثانية : وقد انتشرت فى المغرب والأندلس، وتسمى بالغباريـــة، وقد جاء الاسم عندما كان يضع الهنود غبـــارا علـــى لـــوح ثـــم يرسمون عليه الأرقام كالآتى : 1, 2, 3, 4 ..

وأخذ العرب الصفر عن الهنود الذين سموه (سونيا) ولكن لم يرسموه، ويقال أنهم استعملوا الدائرة (o) لتـــدل عليـــه. واســـتعمل العرب النقطة لتدل عليه وبينوا دوره فى العمليات الحسابية، وأهميته فى تحديد مراتب العشرات، والمئات، والألوف (٧).

وقد سمى الهنود الصفر بـ (Sunyalinde) أو (Sunya) أى الفراغ، وأحيانا كانوا يطلقون عليه Kha أى الثقب. وقد ظهر فى الكتابات الهندية حوالى ٤٠٠م (٨).

يقول الخوارزمى :

"فى عمليات الطرح اذا لم يكن هناك باق نضع صفرا، ولا نترك المكان خاليا من يمين الرقم، لأن الصفر عن يسار الاثنين مثلا (٠٢) لا يغير من قيمتها ولا يجعلها عشرين" (٩).

وقد ساهم الصفر فى تسهيل المعادلات الجبرية والحسابية، وانتقل بعد ذلك الى أوروبا.

واهتم العرب فى دراسة خواص الأعداد، التى أخذوها من الفيثاغوريين، ثم توسعوا فيها، ويتضح ذلك عند جماعة اخوان الصفا.

وقد اهتم الفيلسوف العربى الكندى (ت ٨٦٦م) بالرياضيات بصفة عامة، وقال بأن الفلسفة لا تفهم الا بالرياضيات، والرياضيات لا تكون الا بالبراهين لا بالاقناع الشخصى ولا بالظن. والأعداد متناهية فى نفسها. فكل عدد مهما كان كبيرا متناه، ولكن سلسلة الأعداد غير متناهية، لأن بامكاننا أن نزيد كل عدد بلا نهاية. أما المعدودات فهى متناهية لأنها أجسام.

خواص الأعداد عند اخوان الصفا: (١٠)

أقام إخوان الصفا فلسفتهم على الأعداد، وهم فى ذلك يقلدون الفيثاغوريين، ولكن اذا كان الفيثاغوريون قد جعلوا الواحد مبدأ الأعداد، فان اخوان الصفا قد رأوا أن

• ***الأعداد قسمين :*** عادٌ وهو الواحد، ومعـــدودات وهـــى جميـــع الأعداد. وكل عدد ما عدا الواحد والاثنين ينشأ بزيادة واحد على العدد الذى يتقدمه، فالأربعة مثلا ثلاثة يضاف اليها واحد، والثلاثة اثنان يضاف اليها واحد. أما العدد اثنان فقـــد رأوا أنـــه واحـــد مكرر مرتين،

وقالوا بأنه أول الأعداد. وكل عدد سواء كـــان صحيحـــا أو كسرا

هو وحدة قائمة بذاتها. وقالوا بأنه الواحد وحدة حقيقية أما ما عدا الواحد فهو وحدة مجازية.

وأراد إخوانُ الصفا أنه يوازنوا فى فلسفتهم بين صدور العالم عن الله، وبين منشأ الأعداد من الواحد. فقالوا بأن العالم فاض مـــن الواحد(الله) والله مخالف للعالم، كما تنشأ الأعداد من الواحـــد وهـــو مخالفا لها. فالواحد إذن هو أصل الأعداد ومنشأها، تأتى جمعيها منه وهو مخالف لها. فهى تنشأ من صعوداً :١،٢،٣،٤.. وهبـــــــوط ١، $\frac{١}{٢}$، $\frac{١}{٤}$، $\frac{١}{٨}$ ...

والأعداد عن إخوان الصفا منتاهية من طرف واحـــد (مـــن وسطها): تبدأ الأعداد(الصحيحة) من الواحد صعودا إلى ما لا نهاية له،

وتتخذ الكسور مبدأها من الواحد ثم تهبط الى ما لانهاية.

هذا وقد اهتم إخوان الصفا أيضـــا بـــا لمتواليـــات (العدديـــة والهندسية)

•***العددية:*** مثل: ١،٢،٣ او ٢،٤،٦،٨...وتكون بجمــع عــدد معين الى العدد الذى يسبقه فى المتوالية

•***الهندسية:*** وهى نوعان:

متصلة، ومنفصله

♦***متصلة:*** مثل ٤،٦،٩،: الأربعة $\frac{٢}{٣}$ من الستة،والستة $\frac{٢}{٣}$ من التسعة، وهكذا.

أو بضرب العدد السابق فى $\frac{٣}{٢}$ مثل ٤× $\frac{٣}{٢}$ =٦، ثم ضــرب الــذى يليه، وهكذا ..

♦*منفصلة:* مثل ٤،٦،٨،١٢

فنجد ان ٦:٤= ٨: ١٢

أى الأربعة= $\frac{٢}{٣}$ ×٦ ، الثمانية = $\frac{٢}{٣}$ ×١٢

ولكن الستة ليست ثلثى الثمانية. ومن خصائص هذه النســبة أن ضرب الطرفين مساو لضرب الوسط

٤×١٢=٦×٨ كما فى السلسلة المتصلة.

كما تكلم إخوان الصفا عن النسبة التأليفية(الموسيقة) المركبة من النسبة العددية والنسبة الهندسية معا .(١١)

ومن الجدير بالذكر أن العرب عرفوا نوعين من الحساب

• ***الأول:*** الحساب الغبارى، ويحتاج صاحبه الى ورقة وقلــم أو لوح للكتابة والحساب

• ***الثانى:*** الهوائى أو الذهنى، وصاحبه لا يحتاج الـــى قلـم وورقه ويقوم به، التجار وأهل السوق، وجميــــع مــن لا يجيدون الكتابة والقراءة.

الكسور: (١٢)

كانت الكسور تدون على الطريقة الهندية دون وضـــع لخـــط الكسر الذى لم يظهر إلا سنة ١٢٠٠ميلادية.

وكان الموظفون والمسّاحون، والتجار يستعملون نظاما فـــى الكسور يشبه الذى كان مستعملا عند المصريين. كان الكسر يمثـــل بشكل مجموع كسورات من الوحدة بشكل $\frac{١}{ن}$ مع ن ≥ ١٠.وعنـــد اللزوم يوضع الكسر $\frac{٢}{٣}$ وكذلك حواصلها مثلا:

$\frac{٣}{٤} = \frac{١}{٢} + \frac{١}{٤}$ أو $(\frac{١}{١٠} \times \frac{٢}{٣} + \frac{١}{٣} + \frac{١}{٢}) = \frac{٩}{١٠}$ وإذا اســـتعمل مثل هذا التمثيل الدقيـــــــق يلجـــأ الى التقريبـــات من نـــــــوع ($\frac{٣}{١٧} = (\frac{١}{١٠} \times \frac{١}{٦} + \frac{١}{١٦})$) وقد حسن العلماء هـــذا النظـــام الحسابى ووضعوا جملة من القواعد تتيح تمثيل كل كســـر بواســـطة "الكلمات")Quantieme

وأخيرا استخدم الفلكيون العرب الكسور النسبية ،وهى تعود الى فلكّي الأسكندرية، وبابل القديمة.

وكان الحاسب يرجع الى جـــدول الضـــرب الممتـــد حتـــى ٥٩×٥٩ وكان يطبق شفهيا القواعد المعد منها بالصيغ:

$$٦٠^{م} \times ٦٠^{ن} = ٦٠^{م+ن} \quad \& \quad \frac{٦٠^{م}}{٦٠^{ن}} = ٦٠^{م-ن}$$

مصاغة بشكل بجنب استعمال الأسس السلبية.

وقد وجد أول وصف مفصل لها فى كتـــاب : **"مبـــادىء الحســـاب الهندى"** لقشير بن اللبان حوالى السنة ١٠٠٠م، ونجد وصفا آخر فى : **"مفتاح الحساب"** للكاشى (١٤٢٧). وكانت الطبقـــات الكســـورية الستينية قد سميت دقائق، وثوان، وثلاث .. الخ أما الوحدات من ١ :

٥٩ فسميت درجات، والمراتب العليا سميت المرتفعات : المرتفعات الأولى، والثانية. (١٣)

الكسور العشرية : (١٤)

لقد قام غياث الدين الكاشى. (ت ١٤٣٦م) بإدخال الكسور العشرية هادفا من وراء ذلك أن يكون نظاما كسريا كالنظام الستيني، ولكنها تكون مفهومة من أولئك الذين يجهلون حساب الفلكيين.

وقد دفع الكاشى القواعد الرئيسية للعمليات العامة فى الكسور العشرية، وكيفية تحويل الكسور الستينية الى عشرية والعكس. ولم يستعمل العرب الفاصلة للفصل بين العدد الصحيح والكسر، ولكن كان الكاشى يترك مكانا فارغا بين العدد الصحيح والكسر، أو يفصلهما بخط عمودى، أو يكتب الكسر بلون مختلف، وأيضا بعد تدوين اسم المرتبة فوق الأرقام.

وقيل أن الكسور العشرية ظهرت فى الصين، ولكن الكاشى عندما قدمها قدمها وكأنها من ابتكاره. وعلى كل حال، فانه صاحب الفضل فى تطبيقها المنهجي، ووصف عملياتها. وقد قام الكاشى بحساب (ط) أو نسبة محيط الدائرة الى قطرها π والمساوى $\frac{٢٢}{٧}$ فوجدها : ٣,١٤١٥٩٢٦٥٣٨٩٧ . والتى تختصر الآن الى ٣,١٤ وقد انتقلت الكسور العشرية فيما بعد الى تركيا، وأوروبا.

هذا وقد بحث العرب خواص الأعداد، فعرفوا العدد الناقص، والعدد الزائد، والعدد التام، والأعداد المتحابة ... الخ (١٥)

• ***فالعدد الناقص :*** هو كل عدد اذا جمعت أجزاؤه – أى عوامله الأولية التى يقسم عليها دون باق – كانت أقل منه.

مثال ذلك العدد ١٠ ، فأجزاؤه هى (١، ٢، ٥)، ومجموعها أقل من ١٠

• ***العدد الزائد :*** هو كل عدد اذا جمعت أجزاؤه كانت أكثر منه، مثل العدد (١٢). فان أجزاؤه هى (١، ٢، ٣، ٤، ٦) ومجموعها (١٦). وهذا العدد أكثر من (١٢)

• ***العدد التام :*** هو كل عدد اذا جمعت أجزاؤه كانت الجملة مثله سواء. أى حاصل الجمع يساوى العدد نفسه.

مثال ذلك ٦ فأجزاؤه ا، ٢، ٣ ومجموعها (٦)

وأيضا ٢٨ وأجزاؤه ١، ٢، ٤، ٧، ١٤ ومجموعها (٢٨)

وأيضا ٤٩٦ & ٨١٢٨

الأعداد المتحابة : (١٦)

يقال للعددين أنها متجابان إذا كان مجموع أحدهما يساوى مجموع عوامل الآخر،ومجموع أجزاء الثانى يساوى الأول مثال ذلك: ٢٢٠؛٢٨٤لأن أجزاء العدد ٢٢٠،وهى :١،٢،٤،٥،١٠،٢٠،٢٢،٤٤،٥٥،١١٠_ مجموعها(٢٨٤)

وأجزاء العدد(٢٨٤) وهى:١،٢،٤،٧١،١٤٢ وجملتها٢٢٠

وقد وضع ثابت بن قرة قاعدة عامة لايجاد الأعداد المتحابة.

وقد وصل الحساب العربى الى أوروبا عن طريق الأندلس بواسطة كتاب الخوارزمى ،والذى نقله الى العرب "أدلارد أوف باث"

"Adlard of Bath". والكتـــاب هـــو: Magistoro a Compositus a:
artomomican liber Ysagogrum Alchorimi in Astem .

ومعناه : مدخل الخوارزمى الى فن الفلك للمعلم (A) : وهـــو ادوارد الباقى (١٧).

٢ ـــ الجبر والمقابلة

الجبر والمقابلة عند العرب صناعة يســـتخرج بـــها العـــدد المجهول من العدد المعلوم، اذا وجدت بينهما نسبة تقتضى ذلك.

ويعد الخوارزمى واضع علم الجبر والمقابلة، وذلك عندمـــا ألف كتابا أسماه "الكتاب المختصر فى حســـاب الجـــبر والمقابلـــة" وتصف الكلمتان الأخيرتان، أى الجبر والمقابلـــة، العمليـــات التـــى تختزل فيها المسائل الرياضية الى ست معادلات وفقا للأشكال الآتية (١٨) :

(١)أس^{٢} = ب س
(٢)أس^{٢} = جـــ
(٣)أس = جـــ
(٤)أس^{٢} + ب س = جـــ
(٥)أس + جـــ = ب س
(٦)ب س + جـــ = أس^{٢}

على أن تعريفات المصطلحين الرياضيين : جبر، ومقابلـــة، تختلف قليلا من كاتب الى آخر. وتعنى الكلمـــة الأولى عامة نقـــل الكسر أو جبره واختزاله، وكلا المعنيين تدل عليهما الكلمة الأسبانية

: (الجبريستا) (**Alhebrista**) والتى تعنى عالم الجبر، أو مجبر العظم. (ولعل هذا يلفت النظر كثيرا الى مدى تأثر الأسبانية بالعربية).

وفى هذا الفرع الجديد من الرياضيات أصبح معناها نقل الحدود السالبة الى الجانب الآخر من المعادلة التالية :

$$٦\text{س}^{٢} - ٣٦\text{س} + ٦٠ = ٢\text{س}^{٢} - ١٢$$

تنقل الى الجبر الى :

$$٦\text{س}^{٢} + ٦٠ + ١٢ = ٢\text{س}^{٢} + ٣٦\text{س}$$

أما المقابلة فتعنى اختزال الحدود المتشابهة أو :

$$٤\text{س}^{٢} + ٧٢ = ٣٦\text{س}$$

وبالتالى نجد لدينا معادلة من الشكل الخامس ($\text{أس}^{٢} + \text{ج} = \text{ب س}$) الذى يمكن أن يبسط بقسمة طرفى المعادلة على ٤ (وهذا يعرف بالحط أو الرد) فتصبح المعادلة السابقة على النحو الآتى :

$$\text{س}^{٢} + ١٨ = ٩\text{س}$$

ويجب ملاحظة أن علماء الجبر الأوائل لم يأخذوا فى حسابهم بالحلول السالبة أو التخيلية للمسائل الرياضية.

وجاء بعد الخوارزمى (أبو كامل شجاع بن أسلم) الحاسب المصرى، وهو عالم حساب، ومهندس مصرى (ت ٣٤٠هـ - ٩٥١م)، ومن أهم مؤلفاته : كتاب الجبر والمقابلة، كتاب المساحة والهندسة، كتاب الجمع والتفريق، كتاب الخطأين، كتاب الكفاية، كتاب مفتاح الفلاح، وكتاب كمال الجبر وتمامه والزيادة فى أصوله. الذى ذكر فيه فضل الخوارزمى فى السبق الى علم الجبر (١٩).

وقد استطاع أبو كامل شجاع أن يحلل قوانين المعادلات غير المحددة التى تناولها ديوفانتوس (حوالى ٢٥٠م). وقد عرفت مؤلفات أبو كامل من خلال ترجمتها الى الاسبانية (لا الى اللاتينية)(٢٠)

ومن الجدير بالذكر أن الجبر كان عند الأمم القديمة ممتزجا بالحساب، وقد عرفت الحضارات القديمة، كالمصرية والهندية واليونانية معادلات الدرجة الأولى والثانية والكميّات الموجبة والسالبة. ولكن لم يتحول الجبر الى علم مضبوط إلا على يد الخوارزمى.

وعلى يدى القلصادى (أبو الحسن على بن محمد بن على القلصادى المتوفى عام ١٤٨٦م). (٢١) تم وضع رموز للمعادلات الجبرية.

وهذه الرموز هى :

- ***الجذر :*** ورمزه س ويدل على مجهول أو شىء.
- ***المال :*** ورمزه $س^{٣}$ ويدل على مربع المجهول.
- ***العدد المفرد :*** وهو العدد الخالى من الجذر والمال مثل ٢، ٣، ١٠،...
- ***الكعب :*** ورمزه ك أو $س^{٢}$ وهو المرفوع الى القوة الثالثة.

أى المال المجهول : $س^{٢} \times س = س^{٣}$

جزء الجذر : ورمزه $\frac{١}{س}$

جزء المال : $\frac{١}{س^{٢}}$

جزء الكعب : $\frac{١}{س^{٣}}$

المساواة = ل (الحرف الأخير من كلمة عادل)
والنسبة (∴) ثلاثة نقط

ومن الجدير بالذكر أن الخوارزمى كان يستخدم حروف الكتابة فى حل المسائل لأن العلامات الجبرية لم تكن قد اخترعت بعد، وأول من استعملها هو القلصادى. والدليل على ذلك هذا المثال على نمط من انماط المعادلات الست التى ذكرناها آنفا، من كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى كما وردت بالنص (٢٢)

المعادلة :

مال و٢١ من العدد يعدل ١٠ أجذاره

وهى تعنى وفقا للأشكال الست المذكورة بالرموز ما يأتى :

س٢ + ٢١ = ١٠س

↓ ↓ ↓

مال عدد مفرد الجذر

وقد عرف العرب الجذور الصماء (الأعداد التى لا جذر لها). وكان أول من استخدم الاصطلاح هو الخوارزمى، وأوجد العرب طرقا جبرية للوصول الى الأعداد الصماء. كما مهد ثابت بن قرة الحرانى وابن الهيثم لحساب التكامل، واكتشف ابن يونس : البندول إلا أنه لم يضع الأساس الرياضى للحركة البندولية، وانما اكتشف القانون الآتى :

(23) $\cos A . \cos B = \frac{1}{2} [\cos (A+B) + \cos (A-B)]$

أى جا أ جا ب = ١/٢ [جا (أ+ب) + جا (أ-ب)]

• ***ملاحظة :*** يجب أن تكون أ > ب

أما أبو الوفاء البوزجانيّ (ت ٣٨٨هـ - ٩٩٨م) فقد شـــرح كتاب (ذيوفانطس) فى الحساب والجبر وكتاب (الجـــبر والمقابلـــة) للخوارزمي شرحين جديدين، وجمع بين المذهبين اليونانى والهندى. كما قام الفيلسوف (عمر بن إبراهيم الخيامى النيسابورى) المعروف بعمـــر الخيام المشهور برباعياته الشعرية (ت ٥١٧هـ / ١١٢٣م)، قام بتقسيـــم وتصنيف المعادلات الجبرية حتى الدرجة الثالثة، وذلك وفقا لعدد حـــدودها وتوزيع معاملاتها التى اعتبرها دائما موجبـــــة، وكذلك وفقا لتوزيع الجذور، واستطاع أيضـــا بواســـطة القطاعـــات المخروطية حل المعادلات التكعيبية من الدرجة الثالثة التى لا يمكن تحويلها الى معادلات من الدرجة الثانية. (٢٤)

وقد عالج غياث الدين الكاشى معادلات الدرجة الرابعة فـــى كتاب مستقل أتى فيه بسبعين حلا معروفا عنده (وهذه الحلول ترجع الى ٦٥ الآن) (٢٥)

والخلاصة أن العرب قد تلقوا عن اليونان جبرا بدائيا، يغلب عليه الطابع الهندسى، فطمس العرب هذا الطابع، واستعاضوا عنـــه بجبر حسابى، وقد اقتبست أوروبا هذا الجبر عن العرب من خــــلال الكتب العربية التى نقلت اليهم.

٣ ـ علم الهندسة

ذكر القفطى (٢٦) أن فيثاغورس جاء الـــى مصـــر وأخـــذ الهندسة عن المصريين لأنهم كانوا قائمين بها من قديـــم. وبعـــد أن عرفها اليونانيون أضافوا اليها حتى صارت تنســـب اليـــهم، والـــى

اقليدس بصفة خاصة، الذى ظلت الهندسة تنهل من اكتشافاته حتـــى القرن التاسع عشر.

وقد نقل العرب – كما سبق أن ذكرنا – كتاب الأصـــول لاقليـدس. وقد اهتم العرب بالهندسة حين أهملتها الشعوب جميعا، وحفظوها من الضياع، وقدموها للأوربيين. فقد أخذ الأوربيـــون الهندســـة عـــن العرب لا عن اليونـــان، ونقلوها الى اللاتينية وظلوا يتدارسونها كما عرفها العـــرب الى أواخر القـــرن الســـادس عشـــر حينمـــا عـــثر الباحثون، عام ١٥٨٣م على مخطوط مـــن كتـــاب اقليـدس باللغـــة اليونانية. (٢٧)

وقد برز فى مجال الهندسة من العلماء العرب الأخوة الثلاثة أبناء موسى بن شاكر. (القرن الثالث الهجرى، التاسع الميـــلادى). وكان مصنفهم الرئيسى الرئيسى المعروف باســـم (كتـــاب مســـاحة الأشكال) أحد الجسور التى انتقل بها التأثير اليونانى الى بغداد. وقد ترجم هذا الكتاب بعد ذلك بقرون بواسطة "جيرار الكريمونى" تحـــت عنوان : (أقوال موسى بن شاكر). وعن طريق كتاب بنـــى شـــاكر استطاع علماء الغرب أمثال : فيبوناشى **Fibonacci** & جوردانوس نيموراريوس **Jordanus Nemorarus** & روجر بيكـــون **Roger Bacon** وغيرهم أن يعـــرفوا الأفكار الأولى الخاصة بالرياضيـــات العالية ومنها : برهان الفرضية الأولى الخاصـــة بقيـــاس الدائـــرة. وتختلف طريقة برهان هذه الفرضية عن طريقة أرشميدس ولكنـــها تعتمد على طريقة افناء الفرض **Method of Exhaustion**، ومنها نظرية (اهرن **Hero**) المعروفـــة فى قيـــاس مساحة المثلـــث مـــن

خلال العلاقة بين أضلاعه. والقاعدة الخاصة بمعرفة مساحة وحجم المخروط والكرة، وحلول المسألة المتعلقة بايجاد وسطين متناسـبين بين مقدارين معلومين (٢٨).

وعن طريق بنى موسى أيضا تعرف الغرب اللاتينـى أيضا على أول حل لمسألة تقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام، التـى تذكرنـا بالطريقة التى ذكرها أرشميدس فى كتابه "المفرضات"، وعنهم أيضا عرفوا طريقة استخراج الجـذور التكعيبيـة بـأى عـدد تقريبـى مطلوب(٢٩)

وقد ألف الرياضيون العرب الكتب على منوال كتاب الأصول لاقليدس. فقد وضع محمد بن البغدادى رسالة أوضح فيـها تقسـيم الخط المستقيم إلى عدد من الأجزاء المتناسبة مع أعـداد مفروضـة وكذلك استخدم الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٠هـ) الهندسة فى علـم الضوء، ونظم الأصول، وأخضع براهينه لمنهجه العلمى.

كما أخذت المربعات السحرية (٣٠) جهدا كبيرا من علمـاء العرب لاعتقادهم بالقوة الفعالة لهذا النظام الهندسى، وكانوا فى ذلك واقعين تحت تأثير فيثاغورس. وأشهر من اهتم بهذه المربعات مـن العرب ثابت بن قرة الحرانى. واخوان الصفا.

ومن نماذج هذه المربعات :

٤	١٤	١٥	١
٩	٧	٦	١٢
٥	١١	١٠	٨
١٦	٢	٣	١٣

(أ)

٢	٧	٦
٩	٥	١
٤	٣	٨

(ب)

• فى النموذج (أ) : كيفما كان العد يكون الناتج ٣٤

مثلا أفقيا ١+١٥+١٤+٤ = ٣٤
رأسيا ١+١٢+٨+١٣ = ٣٤
وفى أى اتجاه يكون الناتج ٣٤
فى النموذج (ب) : كيفما كان العد، يكون الناتج ١٥
فمثلا ٦+٧+٢ = ١٥ أو ٧+٥+٣ = ١٥

وقد برع البيرونى (ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) فى الهندسة، ومن مؤلفاته فيها: كتاب : (استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها). وقد أراد البيرونى فى هذا الكتاب تصحيح دعوى اليونانيين القدماء فى انقسام الخط المنحنى فى كل قوس بالعمود النازل عليه من منتصف القوس والبحث عن خواصه، والقوس المقابل لذلك الخط (٣١)

ولقد بذل ثابت بن قرة جهدا عظيما فى الهندسة، واستطاع به أن يضع قوانين أعم من قوانين أرشميدس، وقد طورت طريقة ثابت على أيدى ابراهيم بن سنان (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م) والكوهى (بعد سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) (٣٢)

ولما كان العرب شعبا عمليا، فقد اهتموا اهتماما بالغا بالنواحى العملية والتطبيقية من الهندسة. فقسموا الهندسة الى قسمين : عقلية وحسية. فالهندسة العقلية هى أحد أغراض الحكماء الراسخين فى العلوم الإلهية المرتاضين بالرياضيات الفلسفية. والهندسة النظرية هنا هى بمثابة فرع من فروع الفلسفة النظرية، أما الهندسة الحسّية، فيؤدى النظر فيها الى اتقان الصنائع كلها وخاصة المساحة والبناء.

وقد أنجز العرب الكثير فى الهندسة الحسـية، فقـد طبقـوا النظريات الهندسية اليونانية على أعمال مفيدة، فأخرجوها من نطاقها العقلى البحت الى النطاق الحسى، ويبدو ذلك واضحا فـى عمـارة المساجد والقصور، وغيرها من الآثار العربية الباقية (٣٣)

وقد استخدم العرب الزخارف الهندسية فى الفن، حتى صـار ميزة من ميزات هذا الفن. كما تفنن العرب فـى هندسـة القبـاب والسقوف مما أضفى على مساجدهم وقصورهم بهجة وجمالا (٣٤)

٤ ـ حساب المثلثات

كان لعلم حساب المثلثات أو كما كان يسمى علم الأنساب (أى العلم القائم على النسب المختلفة بين أضلاع المثلث) مكان الصـدارة عند العرب. فاليهم يرجع الفضل فى وضع أصوله وقواعده بشكـل علمى منظم.

وقد أخذ العرب هذا العلم عن طريق الـهنود، واليونـانيين. فعن الهنود عرفوا مبادئه فى كتاب السند هند **Sind Henta** لبراهما غـوبتا **Brahmagupta**. وعن اليونانيين أخذه العرب من كتابين : المجسطى **Almagasti** لـ (بطليمـوس)، وكرّيـات مينـلاوس **Menalaws** (٣٥)

وعلم المثلثات كعلم الجبر يحب أن يدعـى علمـا عربيـا. والجدير بالذكر أن اليونانيين لم يهتموا بعلم المثلثات لذاته، بل لأنـه كان يساعدهم فى علم الفلك. سواء فى ذلك ايرخـس الـذى قـام

بأرصاده بين عام ١٦١ وعام ١٢٧ ق.م. ثم نسب اليه ابتداع علـــم المثلثات، أو بطليموس الشهير صاحب كتاب المجسطى فى الفلك.

وعملُ اليونانيين (٣٦) فى المثلثات لا يكـــاد يتجـــاوز حـــد اكتشاف بعض الأنساب فى المثلثات المنتظمة (أى النسبة بيـــن كـــل زاوية من زوايا المثلث وبين الضلع المقابل لها فى المثلثات المستوية والكروية).

أما الهنود فقد تقدموا فى المثلثات شوطا أبعد، وخاصة فيمـــا يتعلق بقياس الجيب (جا) ووصفوا القانون :

جا أ = $\frac{\text{أَ}}{\text{جـَ}}$ أى $\frac{\text{الضلع أب}}{\text{الضلع ب}}$

ولعلهم عرفوا أيضا جيب التمام (جتا)

جتا أ = $\frac{\text{جـَ}}{\text{بَ}}$ أى $\frac{\text{أب}}{\text{ب جـ}}$

وذلك مع اعتبار أن الزاوية (جـ) قائمة = ٩٠°

يعتبر الخوارزمى أول من بحث فى علم المثلثات، ثم جـــاء بعده البتانى (٢٤٠-٣١٧هـــ) الذى نشر علم النسب المثلثيـــة كمـــا نستعملها اليوم، ثم أبو الوفاء البوزجانى (٣٢٨-٣٨٨هـــ) الذى قـــدم الكثير فى علم المثلثات.

وقد أثبت ثابت بن قرة بأن جيـــوب الزوايـــا تتناســـب مـــع الأضلاع المقابلة لها. وأعطى العلاقة التى تنسب الى جـــابر ابـــن الأفلح الاشبيلى (ت ٥٤٠هـــ/١١٤٥م) وهى :

جاأ/أ = $\frac{\text{حاب}}{\text{ب}}$ = $\frac{\text{حاجـ}}{\text{جـ}}$ = ٢س

استبدل العرب الوتر (Hyp) الـــذى اســـتعمله بطليمـــوس بـــالجيب (Sine) واستعملوا جيب التمام، والظل وظل التمام

الظل = المجاور/المقابل = جتا/جا = ظا **Tangent**

ظل التمام = المقابل/المجاور = جا/جتا = ظتا **Cotangent**

كما أوجد العرب جداول للظلال وتمامها، والجيوب وتمامها، واكتشفوا العلاقة بين الجيب وجيب التمام، والظل وظل التمام، كمـــا بحثوا فى المثلثات الكروية القائمة الزاوية (٣٧)

ويرى "فؤاد سزكين" (٣٨) أن تطور المثلثات المستوية مدين للعرب فجميع المعادلات المعروفة فى القرن الثامن عشــــر كـــانت معروفة عند المسلمين، مع أنها كانت تعتبر فى القرنيـــن الأخـــيرين اكتشافات أتى بها الرياضيون مثل **Cavalieri** (كافاليرى)، جيرارد **Girard** (١٦٢٦) وفيتى **Viete** (١٦٠٣).

وقد أثبتت الدراسات الأخيرة أن العرب قد وصلوا الى مرحلة هامة فى استعمال المعادلات التفاضلية وحساب التكامل.

وللتدليل على ذلك أذكر أنهم كانوا يستعملون فى القرن الثالث للهجرة معادلة تفاضلية لحساب بعد القمر، وهى نفس المعادلة التـــى طبقها كبلر **J.Keppler** فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى على حساب حركات الكواكب السيارة. (٣٩)

وهكذا نجد أن المسلمين قد استطاعوا أن يقدمـــوا إضافـــات هامة فى الرياضيات بصفة عامة، وقدموا لأوروبا، وللعالم بعد ذلك هذه الإنجازات الضخمة التى كانت بمثابة الضوء الذى أرشد البشرية الى طريق التقدم والتكنولوجيا.

وان واجبنا نحن العرب الآن ألا نذكر هذا الماضي من أجل الفخر، والتغنى بالأمجاد، بل أن نحذو حذوهم، ونكون فاعلين فى هذا

العالم، وأن نكون على ثقة بأنفسنا، وأن تكون لنا عبرة وموعظة فى زهو العلماء العرب السابقين الذين لم يكن يتوفر لديهم ما نملك الآن من الإمكانات الحديثة. فقد كانوا لا يبخلون بالجهد فى ظروف شاقة وقاسية.

ما أحرانا اليوم أن نستفيد من الدرس، وأن نضع نصب أعيننا هذا التاريخ الحافل بالإنجازات، وأن نكون على مستوى المسـئولية فى مواجهة العصر.

٥ ـ علم الهيئة (الفلك)

لم يعرف العرب شيئا يذكر فى علـم الفلـك قبـل العصـر العباسي، اللهم إلا فيما يتعلق برصد الكواكب والنجـوم وحركاتـها وأحكامها بالنظر الى الخسوف والكسوف وبعلاقتها بحوادث العـالم من حيث الخط والمستقبل، والحرب والسـلم والمطـر والظواهـر الطبيعية. وكانوا يسمون هذا العلم علم التنجيم (٤٠)

ولقد عرف الفارابى علم الفلك بقوله :

"وان علم النجوم يشتمل على قسمين، أحدهما : علم دلالات الكواكب على المسـتقبل. والثاني : العلم التعليمى. وهذا الثانى هـو الـذى يعد من العلوم ... يبحث فيه عن الأجرام السماوية، وعـن الأرض من ثلاثة وجوه : الأول يبحث فيه عن عدد تلك الأجرام وأشكالـها وترتيبها ومقاديرها وأبعادها عن الأرض. والوجه الثاني يبحث فيه عن حركات الأجرام السماوية، وكم هى وهل هى كروية. أما الوجه الثالث : فيبحث فيه عـن الأرض والمعمـور والخـراب، وتقسـيم

المعمور الى أقاليم وما تسببه الكّرة اليومية من المطالع والمغـــارب واختلاف طول النهار فى الأقاليم (٤١)

أما ابن خلدون فقد كتب فى المقدمة :

"علم الهيئة علم ينظر فى حركات الكواكـــب الثابتـــة والمتحركـــة، والمتحّيرة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزِمَتْ عنها بطرق هندسية ويقوم على الرصد لا على التنجيم ويميزه عن التنجيم الذى هو معرفة الدلالات النجومية ومقتضى أوضاعـــها فى الفلك، وآثارها فى العناصر والبشر. والغاية منه معرفة الغيـــب والتأثير فى البشر" (٤٢)

وقد نقل العرب فى عصر المنصور (١٥٤هـ-٧٧١م) كتاب السند هند (السدهانتا) وكتاب المجسطى. وألف أبو اسحق ابراهيـــم بن حليب الفزارى كتابا بناء على كتاب السند هنـــد، وحـــول ســـنين الهنود النجومية الى سنين عربية قمرية. وكان ماهرا فى صناعـــة الاسطرلاب وبارعا فى العمل به.

وقد ذكر الفهرست (٤٣) أن أول كتاب نقل الى العربية فـــى الفلك هو كتاب هرمس الحكيم، واسمه "مفتاح النجوم"

كما نقل ابن البطريق كتاب الأربع مقالات فى صناعة أحكام النجوم لـــ (بطليمـــوس). وترجم الحجاج بن مطر كتاب المجسطى - كما ذكر ســـابقا- ترجمتين : الهاورونى، والمأمونى. ونقل المترجمون كتبا لكل من :

• *ابسقلادوس* : أشهرها كتاب الأجرام والأبعاد، وكتـــاب المطـــالع وهو الطلوع والغروب (مقالة).

• *منلاوس* : كتاب فى معرفة كمية تمييز الأجرام المختلطة، وكتاب المثلثات.

• *أوطولوقس* : كتاب الكرة المتحركة، كتاب الطلـــوع والغـــروب (مقالتان).

• *فاليس الرومى* : المدخل الى علم صناعة النجوم، كتاب المسائل، كتاب الأمطار، كتاب تحاويل سنى العالم ..

وقد هضم العرب ما جاء فى هذه الكتب، واختبروها وأعادوا التجربة الرصدية اليونانية، فإذا جاءت التجربة موافقـــة للنظريـــة لا يقبلوها لأول مرة، بل يعيدون التجربة مرة أخرى كى يتثبتـــوا مـــن صحة ما جاء بها. (٤٤)

وفى عصر الخليفة هارون الرشيد، وابنه المـــأمون "صـــاغ العرب كل أسماء النجوم والكواكب، لدى ترجمتهم لأعمال الفلكـــى الكبير ايرخس **Hipparch**(٤٥) ودليله المنقح بقلم بطليموس، مـــع عدم اغفال أسمائها القديمة التقليدية، الأمر الذى جعل لمعظم أســـماء الكواكب الثابتة، فيما بعد، أسماء ذات مصدر عربى كالغول **Algol** والكور **Alkor** والطير **Attair** والذنـــب **Denale** وفـــم الحـــوت **Fama lhout** وغيرها" (٤٦)

ولقد كانت عناية بنى العباس بالفلك عناية كبيرة، فقد اقتـــدى بالمنصور الخلفاء الذين أتوا من بعده. "ومن العلماء يحيى بن أبـــى المنصور الذى ألف زيجا فلكيا مع سند بن على وأجرى أرصاداً مع

على بن عيسى وعلى بن البحتري، وموسى بن شاكر الذى صنف أزياجه المشهورة، وأبناؤه الذين اشتغلوا فى حساب طول درجة من خط نصف النهار بناء على أمر صدر من المأمون، وأحمد بن عبد الله بن حسن الذى عمل ثلاثة أزياج فى حركات الكواكب، وعلى بن الحسين أبى القاسم العلوى بن الأعلم الشريف الحسينى البغدادى صاحب الزيج الشريف أو الزيج العضدى أو الزيج البغدادى، وأبازيد بن عبد الرحمن بن الربيع اللجانى الفاسى الذى اخترع اسطرلابا ملصوقا فى جدار والماء يدير شبكته على الصحيفة، وغيات الدين الكاشى الذى رصد كسوفات سنة ٨٠٩, ٨١٠, ٨١١ ومن مؤلفاته كتاب (نزهة الحدائق)، ويبحث فى استعمال الآلة المسماة طبق المناطق، وقد صنعها لمرصد سمرقند، ويقال أنه بواسطة هذه الآلة يمكن الحصول على تقاويم الكواكب وعرضها وبعدها مع الخسوف والكسوف وما يتعلق بها" (٤٧)

ونظرا لاهتمام العرب بقيمة التجربة والملاحظة فى مجال علم الفلك (الهيئة) فقد أنشأ العرب المراصد، وزودوها بالآلات الدقيقة والكتب القيمة والأزياج وجعلوا عليها أقدر العلماء فى عصرهم.

فقد أقام المأمون الذى تولى الخلافة فى بغداد سنة ٨١٣ الى ٨٣٣ مرصدين رئيسيين : مرصد الشمسية فى بغداد ومرصد قاسيون قرب دمشق. وقام بالرصد فيها عدد كبير من الفلكيين، وقد أكثروا من عمليات الرصد حتى يثبتوا وحتى يحسنوا فى النتائج التى وصل اليها بطليموس (٤٨)

وقد ابتنى أولاد موسى بن شاكر مرصدا على طرف الجسر فى بغداد، كما ابتنى شرف الدولة البوهى مرصدا فـــى بســتان دار المملكة، وأنشأ الفاطميون المرصد الحاكمى فى مصر، ويعد مرصد المراغة الذى بناه نصر الدين الطوسى أشهر وأكبر المراصد. (٤٩)

والجدير بالذكر أن الغزو المغولى على يد "هولاكو" الذى أتى على كل شيء واستباح بغداد سنة ١٢٥٨م ساعد على ازدهار علـــم الفلك من جديد. فقد أمر "هولاكو"، منذ ١٢٥٩ ببناء مرصد قـــرب عاصمـــته الجديدة، مراغة، وهى مدينـــة واقعـــة فـــى أذربيجـــان الايرانية، جنوبى تبريز، قرب بحيرة أرامية، وقد فاق هذا المرصـــد بحجمه وتجهيزاته كل الانجازات السابقة. وتولى الرياضى والفلكى الايـــرانى نصير الدين الطوسى ادارة هذا المرصـــد حتـــى وفاتـــه ١٢٧٤ واشتغل فيه العديد من الفلكيين ومنـــهم الأوردى (Al-urdi) الذى ترك وصفا دقيقا لتجهيزات المرصـــد وأدواتـــه. والقزوينـــى والمغربى وأبوالفرج وغيرهم. (٥٠)

ومن أهم الانجازات التى تمت فى مجال علم الفلك :

١ ــ جدد التبانى الحرانى (٨٥٠-٩٢٩م) فى كثير من الدقـــة ميـــل الدائرة الكسوفية، وطول السنة المداريـــة (٥١) والمـــدار الحقيقـــى والمتوسط للشمس، كما دحض مذهب بطليموس القائل بثبـــات الأوج الشمسى مقيما الدليل على مبادرة حركته الاعتدالية. واستنتج مـــن ذلك أن معادلة الزمن تتغير تغيرا بطيئا على مّر الأجيال. وقد أثبت على عكس ما ذهب اليه بطليموس تغير القطر الـــزاوى الظـــاهرى

للشمس، واحتمال حدوث الكسوف الحلقى وصحح جملة من حركات الكواكب السيارة والقمر. (٥٢)

٢ ـ حساب محيط الأرض : فقد قام بحسابه سند بن على، وعلى بن عيسى، وابن البحترى، ووجدوا انه ٤١٢٤٨ كيلـو متـرا - هـذا بالإضافة إلى طريقة الحسن بن الهيثم عن طريق ارتفاع نجم القطب بواسطة الاسطرلاب لرصد الارتفاع والساعة المائية لتحديد الزمن. وكذلك طريقة البيرونى. (٥٣)

٣ ـ اكتشاف نجوم لم يلحظها اليونان، ووضع خرائط مصّورة تحدد مواقع النجوم بدقة، واكتشفوا أن بعضها تغير موضعه عما كان عليه فى زمن بطليموس (٥٤)

٤ ـ وضع عمر الخيام تقويما أدق من التقويم الجر يجورى الـذى يؤدى إلى خطأ مقداره يوم كل ٣٣٣٠ سنة بينما الخطأ الذى ينجـم عن تقويم الخيام هو يوم كل ٥٠٠٠ سنة ويقال أن البيرونى أصلـح التقويم السنوى فكان الخطأ يعادل يومين كل ١٠٠٠ (عشـرة آلاف سنة)(٥٥)

وعلى الرغم من هذا الاهتمام الكبير للعلماء العرب بعلم الفلك (الهيئة) الا أن هـذا لم يمنع اهتمام البعض منهم بالتنجيم. فبعـض الفلكيين المسلمين - على سبيل المثال - البيرونى لم يتردد فى تأليف المصنفات عن استطلاع النجوم، والتراسل مع منجمين متخصصيـن مثل على بن أبى الرجال (ت بعد ٤٣٣هـ/١٠٤٠م). وكانت معظم الكتب والرسائل التى تصنف فى الفلك تخصص بعـض صفحاتـها للجانب العلمى من التنجيم (أى التنجيم الفلكى)، وهو يتناول وسـائل

تحديد مواقع الكواكب وأوجه القمر ونقاط اللقاء (التى تحدد كل منها بتقاطع مدارين) ومعرفة الطالع وغيرها من الظواهر التـــى تحـــدث عند ميلاد الشخص أو كانوا يحاولون – بعكس ذلك – تحديد اللحظة التى يظهر فيها تشكيل سماوى مواتٍ للبدء فى عمل معين أو لوضع أساس مدينة، كما هو الحال بالنسبة لبغداد التـــــى لا يـــزال الرســـم الخاص بكشف طالع تأسيسها باقيا(٥٦)

ورغم ذلك فقد استطاع العرب أن يحفظوا العلم الذى أخـــذوه عن اليونان وأن يضيفوا اليه، ويبدعوا فيه، حتى أصبح علم الفلـــك على أيدى العرب علما منظما خاضعا لقوانين ثابتة محكمة، ويقـــوم على التجربة العمليـــة. وقد كانت المصنفات العربية فى الفلك خير معين لأوروبا فى فترة نهضتها وخروجها من غياهب الظلام المخيم عليها فى العصور الوسطى.

ثانياً : الفيزياء

لم تلق الفيزياء من المسلمين العناية التى كـان يلقاهـا علـم الطب و الصيـدلة أو الكيمياء. وقد جاءت الأراء الفيزيائية متفرقة وموزعة فى العديد من الكتب. وقد ارتبطت أحياناً بعلم الميكانيكـا، وتارة بعلم الرياضيات. وربما يرجع ذلك إلى أن دراسـة القوانيـن الفيزيائية الصرفة بمعزل عما هو عملى أو بمعزل عـن الأسـباب والقوانين السماوية، كان غير مفيد، علاوة على أنه قد يقـود إلـى إنكار دور الألوهية فى العالم الطبيعى. وإلى تقديس المـادة وإنكـار الروح. ولذلك أكتـفى العرب بدراسة الحركة الكونية التى تظـهر عظمة الخالق، وبديع صنعة كما تظهر فى الفلك(٥٧).

ورغم ذلك فقد أبدى العرب جهوداً كبيرة فى علـم الفيزيـاء ووضعوا القوانين، وأجروا التجارب، وذلك لأنها تتوافق مـع نمـط تفكير العديد من العلماء التجريبين(٥٨).

ومن الجدير بالذكر أن الأراء العربية فى الفيزياء قد بـدأت نظرية على أيدى الفلاسفة والمتكلمين، ومن فعل تأثير اليونانيين.

فقد قال النظلم (أبو اسحق إبراهيم النظام) ــ ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م) بالكمون، أى بأن أفعـال الأشيـاء كـالاحتراق والـبرودة والحرارة موجودة فى تلك الأشياء بطبيعتها. وهذه الأفعال لا تظهر إذا كان الشئ فى حالته العادية وحده، فإذا طرأ على الشئ طارئ أو لامسه ملامس معين ظهر فعله الذى كان كامناً. فقد قـال "وجدنـا الحطب عند انحلال أجزائه وتفـرق أركانـه التـى بنـى عليـها

ومجموعاته التى ركب منها وهى أربع : نار ودخان وماء ورمـــاد، ووجدنا للنار حراً وضياء.إن احتراق الثوب والحطب والقطن إنمـــا هو خروج نار منه. وهذا هو تأويل الاحتراق : ان النار الكامنة فى الحطب لما اتصلت بنار أخرى قويتا جميعاً على نفى (الحـال التـى كانت تمنع احتراق الحطب) فعند ظـــهور النــار تجـزأ وتجفـف وتهافت"(٥٩).

وقد رأى أخوان الصفا أن أصل المعادن جاء مـــن اختــلاط العناصر الأربعة فنشأ منها زئبق وكبريت. ثم امتزجت مقادير مـــن هذين (الزئبق والكبريت) بنسب مختلفة فنشأت منها جميع المعـــادن كالذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد.... الخ.

وعرف اخوان الصفا المغناطيس وجذبـه للحديـد، ولكنـهم جهلوا سبب ذلك. فقد كانت أفكارهم نظرية بالدرجة الأولى. ونجد لابن سينا فى الصوت ملاحظات صحيحة، فهو يقـــول إن البصـــر يسبق السمع، فإذا قرع انسان من بعد جسماً على جسم رأيـت أنـت القرع قبل أن تسمع الصوت. لأن الإبصار – فى رأيه – ليس لـــه زمان والاستماع يحتاج إلى آن. وهذا ليس صحيحـــاً لأن الضـــوء يحتاج إلى زمن ولكنه يعتبر وجيزاً جداً إذا قورن بالزمـــان الــذى يحتاجه الصوت. وهناك العديد من الأفكار النظرية لابـــن حـزم، والغزالى وابن ماجه وابن رشد والقزوينى... وغيرهم.

ولعل أهم ما أنجزه العرب فى الفيزياء كعلم يتلخـــص فـــى بعض الاكتشافات والدراسات التى تتعلـــق بالرقـاص والجاذبيـة، والهيدروستاتيكا والأوزان النوعية.....

(١) ــ الوزن النوعى (الثقل النوعى)(٦٠)

بحث العرب فى الثقل النوعى لكثير من الأجسام الصلبة والسائلة، وقدروا ثقل العديد من الأجسام تقديراً دقيقاً يكاد يطابق ما قدره العلماء المعاصرون، رغم بدائية الوسائل التى اعتمدها العرب، ومع أنهم لم يكن لديهم من الآلات ما يسهل لهم مهمتهم.

وقد اهتم البيرونى بتحديد الثقل النوعى لعديد من الأجسام. فاستعمل وعاء مصبّه إلى أسفل وملأة ماء، ومن وزن الجسم فى الهواء، وحجم الماء المزاح بعد غمر الجسم فى الوعاء عرف البيرونى الوزن النوعى.

$$\text{الثقل النوعى} = \frac{\text{وزن الجسم فى الهواء}}{\text{وزن مقدار حجم من الماء}}$$

$$\text{أو ث} = \frac{\text{و}}{\text{ح}} \qquad \text{أى} \qquad D = \frac{P}{V}$$

وقد أوجد البيرونى الوزن النوعى لثمانية عشر عنصراً، وجاء الخازن الذى أهتم بالأوزان النوعية للأجسام الصلبة والسائلة وأتقن القياس إلى درجة أن الخطأ لا يتجاوز ٠,٦ من الجرام فى كل ألفين ومائتى جرام. ومن الجدول الآتى يتضح أن البيرونى كان يستخدم طريقتين لاستخراج الوزن النوعى(٦١).

المعادن	أرقام البيرونى		الخازن	الأرقام الحديثة
الذهب	١٩,٢٦	١٩,٠٥	١٩,٠٥	١٩,٢٦
الزئبق	١٣,٧٤	١٣,٥٩	١٣,٥٦	١٣,٥٩

النحاس	٨,٩٢	٨,٨٣	٨,٦٦	٨,٨٥
النحاس الأصفر	٨,٦٧	٨,٥٨	٨,٥٧	٨,٤

ورغم صعوبة الكشف عن الثقل النوعى للسوائل، فإن العرب قاموا بها، فقد وجد البيرونى أن الفرق فى الثقل بين المـــاء البـــارد والماء الساخن ٠,٠٤١٦٧٧ وقد أتقن الخازن هذا القياس، فقد اهتـــم بإيجاد الثقل النوعى للسوائل الآتية.

المادة	النسبة التى استخرجها الخازن	النتائج الحديثة
الماء العذب البارد	١	١,٠
الماء الحار	٠,٩٥٨	٠,٩٥٩٧
الماء فى درجة الصفر	٠,٩٦٥	٠,٩٩٩
ماء البحر	١,٠٤١	١,٠٢٧
زيت الزيتون	٠,٩٢٠	٠,٩١٠
حليب البقر	١,١١٠	١,٠٤ – ١,٤٢
دم الإنسان	١,٠٣٣	١,٠٤٥ – ١,٠٧٥

ومن الجدير بالذكر أن العديد من هذه السوائل قابل التعديـــل نظراً لأنها ليست سوائل ممثلة لعناصر، بل تدخـــل ضمنـــها مـــواد أخرى كالأملاح، والمواد المركبة الأخرى كالسمن فى الحليب مثلاً، أو الكربوهيدرات.... وغيرها.

(٢) ـ علـم ضغـط السـوائل وتوازنـها (الهيدروسـتاتيكا) Hydrostatc(٦٢).

بحث الخازن فى كتابه الشهير ميزان الحكمة، الضغط الـذى يحدثه الهواء، وذلك قبل أن يدرسه (تورشيللى)، وعرف وزن الهواء وكثافته. وأن الجسم المغمور فى الماء ينقص عن وزنه الحقيقـى. وان قاعدة أرشميدس تسرى على السوائل والغازات معاً.

أما البيرونى فقد شرح صعود مياه الفوّرات والعيـون إلـى أعلى. والظواهر المتعلقة بضغط السوائل وتوازنها. كما فسر تجمع مياه الأبار بالرشح، وبين كيف تغور العيون، وكيفيـة جرهـا إلـى القلاع والمنارات باسلوب سهل لا إلتواء فيه ولاغموض.

(٣) ـ الرقاص (البندول) Pendalum(٦٣)

ويعود الفضل فى اختراعه إلى : أبى سعيد عبد الرحمن بـن يونس المصرى (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م). الـذى اسـتعمله لقيـاس الزمن لأنه متحرك حول محور ثابت وذبذباته متواقتة نظرياً. وقـد سبقق العرب جالليو فى اكتشافه (١٥٦٤ ـ ١٦٤٣م) فـى اكتشافـه واستعماله فى الساعة الدقاقة إلا أن العرب لم يضعوا القوانين التـى تضبط الرقاص، ولم يخرجوها فى قالب رياضى. ولـولا اخـتراع الرقاص هذا لما وصلت العلوم الفلكية إلى المنزلـة العاليـة التـى وصلت إليها اليوم.

(٣) ـ الجاذبية Gtavity(٦٤).

عرف أبو جعفر الخازن قوة الجاذبية، وأن الأجســـام عنـد سقوطها تتجه إلى أفل نتيجة لانجذاب الأجسام إلـــى الأرض، ورأى أن اختلاف قوة الجذب يتبع المسافة بين الجسم الساقط وبين الأرض.

وعرف العلاقة بين سرعة سقوط جسم نحو الأرض، والمسافة التى يقطعها، والزمن الذى يستغرقه. وهذه العلاقة بنى عليـــها جـاليليو قوانينه. وإن كان الخازن لم يحدد العلاقة رياضياً.

علم المناظر (البصريات) Optice، والصوت :

كان أبو اسحاق إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قره (ت ٣٣٥ / ٩٤٦م) بارعاً فى علم الضوء حتى قال عنه ابن الـــهيثم : ولـــى كتاب فى آلة الظل اختصرته ولخصته من كتاب ابراهيم بن ســـنان فى ذلك(٦٥).

وقد رأى (بن سنان) أن حركة الشمس من أهـــم الحركـــات السماوية الظاهرة، ولا سبيل إلى ضبط حركـــات القمـــر، وســـائر الأجرام السماوية إلا بعد معرفة حركة الشمس(٦٦).

وقد وصف اخوان الصفا قوس قزح والهالات، ملاحظين فى الحالتين الدور الذى يلعبه كل مـــن انعكـــاس الضـــوء والرطوبـــة. فبالنسبة للحالة الأولى، أى تشكل قوس قزح، لاحظـــوا أن ارتفـــاع الشمس ينبغى ألا يكون زائداً، وأكدوا أنه لما كـــانت الشمـــس فـــى مستوى أكثر انخفاضاً كان قوس قزح أكبر، وأن بلوغ هذا القـــوس حدّه الأقصى، وهو ١٨٠ درجة يتم لحظة وجود الشمس فى الأفـــق،

أى عندما تكون أشعتها متماسة مع الأرض. أمـــا الألـــوان التـــى ميزوها من أعلى إلى أسفل فهى على التوالـــى الأحمـــر فـــالأصفر فالأزرق فالأخضر(٦٧).

وذكر اخوان الصفا أن اللون فى الجسم المرئى والضوء فى مجال البصر ضروريان للرؤية(٦٨).

كما عرفوا الصوت بأنه قرع يحدث فى الهواء من تصـــــادم الأجسام كلها، فإذا صدم جسم جسماً آخر انسلّ ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات، وحدث من حركته شكل كـــــروى واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجّاج (صانع الزجـــاج) فيـــها. وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركتـــه وتموجـــه إلـــى أن يســـكن ويضمحل(٦٩).

وقد رأى ابن سينا أن نظرية الـــورود هـــى الصحيحـــة، لا نظرية الشعاع، فقال : فقد أخطأ من ظن أن الابصار يكون بخروج شئ من البصر (العين) إلى المبصرات يلاقيها. وله نظرية هـــى : إذا كان جسمان متساويات فى الحجم، فإن الأبعد منهما يـــرى (فـــى رأى العين) أصغر، وقدم ابن سينا لهذه النظرية برهاناً هندسياً، كما أننا نجد لابن سينا آراء فى البصريات، وخاصة فى الهالـــة وقـــوس قزح، ولكن الصواب والخطأ يمتزجان بهذا الكلام(٧٠).

وقد ميز زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (ت٧٨٢هـ / ١٢٨٣م)(٧١) ثمانية ألوان منفصلة بالنســبة لقــوس قــزح وذكــر معظمها بنفس الترتيب وهى : الأحمر، الأصفر، الأرجوانى، البنى، الأحمر، والبنفسجى. كما وصف الحالة التى يرى بها قوس قزح من

على قمة ميل ، حيث يشكل عندها دائرة كاملة تقريباً لا تفصلـــها إلا ذلك الجزء من السماء الذى تخفيه قمة الجبل.

يقول نص القزوينى :

"حكى الشيخ الرئيس أنه كان على الجبل الذى بيـــن بـــاورد وطوس، وأنه أعلى الجبال. وكانت السماء مكشوفة، فقال كنت فـــى وسط الجبل بينى وبين الأرض سحاب رطب والشمس فـــى وســط السماء، فنظرت إلى السحاب الذى بينى وبين الأرض، فرأيت دائرة نقية بلون قوس قزح فشرعت بالنزول عن الجبل والدائرة تصغـــر، فكلما نزلت رأيتها أصغر مما كانت قبل ذلك إلى أن وصلـــت إلـــى السحاب فاضمحلت"(٧٢).

وقد ذهب قطب الدين الشـــيرازى (ت٧٦١هـــ / ١٣١١م) وكمال الدين الفارسى (ت حوالـــى ٧٢٠هــــ / ١٣٢٠م) إلـــى أن الضوء لدى اختراقه جسماً كروياً نفاذاً مثل قطرات المـــاء ينكســـر مرتين وينعكس مرة واحدة (أو مرتين بالنسبة لقوس قزح الثـــانى)، وحاولا الوقوف على أسباب تكوين الألوان، وتقديم تفسيرات مماثلـــة للسراب والمرئيات الوهمية، كما حاولا توضيح بعض مظاهر الخداع البصرى مثل تلك الصورة التى تظهر على وجه حجر الطاحون. إذ عندما يصبغ وجه هذا الحجر بألوان مختلفة، ويدار بســـرعة، فإنـــه لايبدو عليه سوى لون واحد نتيجة لامتزاج جميع الألوان. (وهـــذه الطريقة سبقت تلك التى توصل إليها نيوتن لمعرفـــة الكيفيـــة التـــى يتكون فيها الضوء الأبيض من ألوان الطيـــف والمعروفـــة (باســـم اسطوانة نيوتن) ــ وهى عبارة عن طبق مستدير مرسوم عليه ألوان

الطيف بنسب معينة بحيث إذا أدير على نفسه بسرعة كبيرة ظـــهر اللون الأبيض على وجهع الطبق(٧٣).

أما الحسن ابن الهيثم (٣٥٤ ــ ٣٤٠ هـ) فهو رائــد علــم البصريات. وقد توصل إلى كثير من الحقائق التـــى صحـــح فيـــها أخطاء علماء البصريات الإغريق، وخاصة نظريتى : بطليمـــوس، واقليدس. وقد أثبت أن الأجسام نوعان : مضيئة ومعتمة، وأن العين لا ترسل شعاعاً إلى الجسم المرئى، وقام بتشريح العيـــن، وتحديـــد طبقاتها، وفسيولوجية الطبقات والأخلاط بشكل دقيق يقارب ما انتهى إليه علماء اليوم. كما علل ظاهرتى الانعكاس Reflectin والانعطاف (الانكسار) Refration ، وتحدث عـــن انتشـــار الضـــوء والألـــوان، وخداعات البصر والكسوف والخسوف والهالة الشمســـية، وقـــوس قـــزح، والمرايا الكّرية، والغرفة المظلمـــة. وقـــال : ان للضـــوء سرعة محدودة وأنه أسرع من الصوت، وإن كان لم يحدد السرعتين عددياً. وقد طبق المنهج العلمى فى أبحاثه الضوئيـــة مـــن تجربـــة وملاحظة(٧٤).

ويعتبر كتاب "المناظر" فى البصريات. هذا المصنف الـــذى خلد ذكر الحسن بن الهيثم. وقد ترجم إلى اللاتينية (ترجمه فردريك رسنر Frederick Risner)، ونشر فى مدينة بـــازل بسويســـرا عـــام ١٥٧٢) بعنـــوان (كنز البصريات Tresourus Optice). ورأى ابـــن الهيثم أن الصورة المرئية تتشكل على البللورية، إذا أنه لو قبل بـــأن الصورة تتشكل على الشبكية (الطبقة الجليدية الأماميـــة عنـــد ابـــن الهيثم)، وذلك حسب التجارب التى قام بها بالغرفة المظلمـــة (التـــى

اكتشفها ابن الهيثم فى نفس الوقت الذى اكتشفها فيه العالم الصينـــى شين كوا Shenkua)، وبطريقة مستقلة عنه، لما كان بوسعه أن يفسر انعكاس الصورة

هذا وقد قسم ابن الهيثم العين إلى طبقات هى : (٧٥).

أ ــ الشحمة البيضاء : بياض العين.

ب ــ العنبية : الحدقة وبواسطتها البؤبؤ

جـ ــ القرنية : تغطى مقدمة العبنية.

د ــ الجليدية :كرة بيضاء رطبة متماســكة الرطوبــة لينــة ملساء فيها شفيف كشفيف الجليد وهى عند ابن الهيثم قسمان

(١) ــ الجليدية الأمامية

(٢) ــ الجليدية الخلفية

وقد طور كمال الدين الفارسى – شارح كتــاب المنــاظر – نظريات الحسن بن الهيثم فى العلاقة بين زاوية الاســقاط وزاويــة الانكسار، فقدم وصفا لانكسار الضوء يشمل المعلومات الآتية :

(١) سرعة الضوء متناهية، ولكنها كبيرة جدا لدرجة أنها تبدو غــير متناهية.

(٢) تتناسب السرعة عكسيا مع الكثافة البصرية **Optical Density**

ولابن الهيثم يرجع الفضل فى الوصول الى التفسير الصحيح للزيادة الظاهرية فى قطر كل من الشمــس والقمــر قــرب الأفــق الغربى، وفى اكتشاف الزيغ الكروى (مع أنه لم يأخذ البعد البــؤرى بعين الاعتبار) كما برهن – مستقلا عن كليو ميدس **Cleomedes** –

على أن انكسار الضوء فى الهواء يجعل الشمس تظل مرئية عندمـــا تكون فى الحقيقة وراء الأفق (٧٦)

وقد اعتمد روجر بيكون **Roger Bacon** ، ووايتلو **Witello** فى أبحاثهما الضوئية على كتاب المناظر. كذلك اعتمد عليه جوهان كبلر، وليوناردو دافنشى فى الضوء والبصريات (٧٧)

وهكذا نجد أن الضوء والصوت من الموضوعات التى اهتـــم بها العرب، وقد أضافوا وأبدعوا فيها، وكانت المراجـــع العربيـــة، والآلات العربية هى الأساس الذى أقـــام عليـــه الغـــرب دراســـاتهم وأبحاثهم عندما بدأت حركة النقل تتجه من العرب الى أوروبا.

الموسيقى

اهتم العرب بالموسيقى، ووضعوا فيها الرسائل، ونقلوا العديد من الكتب التى تتعرض للموسيقى عند اليونانيين.

وقد كان الغناء فى الجاهلية بسيطا ومرتجلا، واستعملوا الدفّ والمزمار، ثم تطور الغناء عن طريق الاحتكاك بـــالفرس والـــروم، ودخلت الأنغام المتنوعة إلى الغناء. كما نشـــأت مجـــالس للغنـــاء والطرب.

أما فى العصر الأموى فقد امتزج الغناء بشىء مـــن قواعـــد الموسيقى الفارسية والرومية. وقد نقل أحمد بن أسامة الهمدانى (ت ٨٢هـ / ٧٠١م) الغناء من الحداء الى النصب، كما كان سائب خاثر (ت ٨٣هـ) يقرع بالقضيب ويغنى مرتجلا.

وقد اشتهر العديد من المغنيـــن والعـــازفين فـــى العصـــر الأموى. وفى العصر العباسى نجد أن أبـــا جعفـــر المنصـــور (ت ١٥٨هـ) كان يكره أن يسمع فى قصره شيئا من الغناء أو العـــزف لأنه كان مشغولا بتثبيت أركان الدولة. ثم كان فى اتجاهه عنصـــر دينى. وكان الفقهـــاء منذ صدر الاسلام مختلفين فى أمر الســـماع **(الغناء والعزف) : أحرام هو أم حلال؟، واذا كان حلالا، فما الجائز منه وما غير الجائز؟ (٧٨)**

ولكن من التحضر، والازدهار فى العصر العباسى، ازدهرت صناعــة الغناء وتطورت، وفى عصر الرشيد كان الغناء قد اتســـع كثيرا، وكثرت الأغانى.

هذا بايجاز فى تقديم موضوع الغناء، ولكـــن التـــأليف فـــى الموسيقى كان المسلمون يذهبون فيه كمـــا ذهــب "نظراؤهــم مـــن الأوربيين فى العصـــور الوسطـــى، الى أن المـــوسيقى تنتمى الـــى العلوم الرياضية – فقد كانت العلوم تنقسم فى العصـــور الوســـطى الى قسمين : الرباع **Quadrivium** وتشمـــل الفـــلك، والهندســة والحساب والموســـيقى، والثـــلاث **Trivium** وتشمـــل النحـــو والمنطق والبلاغة – ومن ثم، فرغم أن العديد من رسائلهم فى هـــذا الشأن يعتبر على جانب كبير من الأهمية بالنســـبة للطريقـــة التـــى عالجوا بها المسائل الفنية، مثل التحليل العددى للفواصل الموســـيقية **Intervals** وأجناس البعد الرباعى **Terachord Species** فان من الصعب أن نقرر: هل كانوا فى نظرياتهم هذه يمثلون ما جرى العمل به فى عصرهم فعلا، أم أنهم كانوا يعيدون انشاء نظرية ورثـــوها عن الاغريق ويطورونها على نحو أكاديمى علمـــى، ويواصلونـــها تقديرا لها فى ذاتها" (٧٩)

ورغم وجود تميـــيز بيـــن الغنـــاء (أى الممارســة العلميــة للموسيقى) وبين الموسيقى النظرية منذ القرن الثالث الـــهجرى (أى التاسع الميلادى) ورغم وجود كتب اهتمت – ضمن ما اهتمت به – بالغناء والموسيقى (العلمييـــن) مثل كتاب الأغـــانـــى، والعقد ألفريد لابن عبد ربه، الا أن المصطلحات المستعملة فى هذا الشأن لم تـــرد

بشكل محدد فى أحيان كثيرة، الأمر الذى يجعل شرحها وفهمـــــها لا تتيسر الا بدراسة نصوص المؤلفات النظرية (٨٠)

ويعتبر الفيلسوف الشهير : أبو يعقوب اسحق الكندى (١٨٥-٢٥٢هـ) فى مقدمة العلماء النظريين المسلمين الذين وصلت الينـــــا كتاباتهم فى الموسيقى. وتدل مؤلفاته التى تناول فيها السلم الموسيقى علـــى معـــرفته بالمصادر اليونانية التى ترجمت الى العربيـــة فـــى ذلك العصر. وكان الكندى يرى أن أحداث الكون مرتبطة بعضــــها ببعض ارتبـــاط العلة بالمعلول، وتعرف هذه القاعدة بنظرية التأثير. وهو بذلك قد سبق غيره من الكتاب والمفكرين اللاحقين مثل اخوان الصفا (٨١)

وللكندى رسائل فى الموسيقى هى :رسالته الكـــبرى فـــى التـــأليف، ورسالته فى الايقاع، ورسالته : المدخل الـــى صناعـــة الموســـيقى، ورسالته : فى خبر صناعة التأليف، ورسالته : فـــى الأخبـــار عـــن صناعة الموسيقى. (٨٢)

أما الفارابى فقد كان عازفا ماهرا وعالما بأصول الموســـيقى وفروعهـــا له " كتاب الموسيقى الكبير". ويحوى هذا الكتاب بحثـــا نظريا ثم بحثا عمليا مفصلا، ودراسة عن الآلات الموسيقية : العود، والطنبور (وله وتران)، ثم المزمار وهو على أنواع منـــها المفـــرد، ومنها المزاوج، وتكون مستقيمة أو ذات معاطف. وهنـــاك أيضـــا الرباب ذو الوتـــر الواحد، وذو الوترين المتساوي الغلظ. وهنـــاك المعازف كالقانون وما شابهه ثم الصنج (ويتـــألف مـــن صفحتيـــن رقيقتين من نحاس) ثم الدف بأنواعه. (٨٣)

وقد ذكر الفارابى فى كتابه (الموسيقى الكبير) الايقاعات العربية التى هى الأصول والمبانى المشهورة : الهزج، خفيف الرمل، الرمل، والثقيل الثانى، خفيف الثقيل الثانى (الماخورى)، الثقيل الأول، خفيف الثقيل الأول (٨٤). وقد استخدم مصطلحات تجمع بين تفاعيل العروض العربى والمفهوم اليونانى للوحدة الزمنية

أما كتاب الأغانى، فقد ذكر فى تصديره سبعة ألحان (ايقاعات) تختلف فى الترتيب والتعريف اختلافا يسيرا عن تلك التى وجدت فى كتاب الموسيقى الكبير وهى:

الثقيل الأول، الثقيل الثانى، خفيف الثقيل الثانى، ثقيل الرمل، خفيف الرمل، خفيف الخفيف، الهزج .. (٨٥)

وقد تحدث ابن سينا فى كتابه "الشفاء" عن الموسيقى، وكذلك فى كتاب (النجاة) ومادته الموسيقية هى خلاصة ما جاء فى موسيقى (الشفاء)، وأما الكتاب الثالث فبالفارسية، واسمه (دانس نامة) فيحتوى على ما يحتوى عليه القسم الموسيقى من النجاة. ويذكر ابن أبى اصيبعة أن لابن سينا أيضا كتابا آخر فى الموسيقى يدعى (المدخل الى صناعة الموسيقى)، وأن موضوعه يختلف عما جاء فى كتاب النجاة. كما أشار ابن سينا نفسه الى كتابين آخرين يوضحان بعض الأمور الموسيقية هما (كتاب البرهان) و(كتاب اللواحق) وذلك فى حديثه عن الموسيقى ضمن كتاب الشفاء. ولكن هذين الكتابين لم يصلا الينا (٨٦).

وقد رفض ابن سينا فى الشفاء الاقتداء بالآراء الفيثاغورية حول الموسيقى ورأى أن ذلك سنة الذين لم تتميز لهم العلوم بعضها

عن بعض، وقدم رأيا طريفا يربط بين الموسيقى، ونظرية التطــور، اذ يعد الموسيقى وسيلة من وسائل الحفاظ على النوع، فقــد منحــت الطبيعة الكائنـــات الحية الصوت لتستدعى به بعضها بعضا لحاجتها الى التقـــارب أو على سبيل الاستغاثة لدفع الخطر. أما الانسان فانه يستعمل الصوت للتعبير عما يدور فى نفسه، ثم جعل له من الصوت لغة اصطلاحية لتطابق أغراضه المختلفة. أما تأليف الأصوات فانما هو محاكـــاة للحـــالات الشعورية المختلفة، فاذا مــــا ازدان تـــأليف الأصوات هو بالنظـــام الموسيقى حصلت اللذة فى النفس لأن ســـبب اللذة هو الشعور بالمنتظم (٨٧).

وفى الشفاء، بحث ابن سينا تحت عنـــوان (تـــأليف اللحـــن) موضوع انشاء اللحن، وكيفيته، والطرق المفضلة فى الانتقـــال مـــن ايقاع الى ايقاع، ثم تطرق بعد ذلك إلى كيفية تزويـــق اللحـــن عنـــد الأداء باضافة ما أسماه (الزيادات الفاضلة) وذلك فى الشفاء أما فـــى النجاة فقد أسماها (محاسن اللحن)، ورأى أن محاسن اللحن أربعـــة : التوصيل والترعيد والتركيب، والمزج. (٨٨)

وقدم ابن سينا أول وثيقة للحن موسيقى مدون عند العـــرب، وبذلك كان اكتشاف هذا العمل ردا على الباحثين الغربيين الذين رأوا بأن الموسيقى العربية لم تعرف التدوين. (٨٩)

وقد قام أحد تلاميذ ابن سينا، وهو ابن زيلة (أبو منصـــور الحسين بن محمد المعروف بالحسين بن زيلة (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) بمحاولة أصيلة فى (كتاب الكافى فى الموسيقى) لتقنيـــن الـــدورات الايقاعية.

أما صفر الدين الأرموى (ت ٦٩٣هـ/١٢٩٤م). ينسب الى ارمية فى أذربيجان، وقد كان على علاقة بآخر الخلفاء العباسيين (المعتصم بالله) وأصبح من جلسائه وموسيقييه. احتفظ بمكانته بعد سقوط الدولة العباسية، الا أنه أعسر فى أواخر حياته ومات مسجونا بسبب دين عليه. ألف كتابين هامين فى الموسيقى هما : كتاب الأدوار، والرسالة الشرقية. كما اخترع التين وتريتين خلال وجوده فى أصفهان هما المغنى والنزهة. (٩٠)

وقد وضع الأرموى أساس المدرسة المنهجية فى الموسيقى. وقد اهتم فى كتابيه السابقى الذكر بتوسيع السلم الموسيقى الفيثاغورى، وكان متأثرا فى ذلك بآراء الفارابى. وقد انتشرت أراء الأرموى فى الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين، وشرحت فى عدة رسائل ألفت بالعربية والفارسية، وأشهر هذه الرسائل هى الواردة فى الفصل الخاص بالموسيقى الذى ضمنه قطب الدين الشيرازى (ت ٧١٠هـ/١٣١١م) كتابه الموسوعى " درة التاج" وكتاب "شرح مولانا مبارك شاه" بالإضافة إلى شروح لكل من عبد القادر المراغى، واللاذقى. وقد تبنى الموسيقيون الأتراك أيضا طريقة "الأرموى" الموسيقية، وتُرجم كتابه "الأدوار" إلى التركية(٩١)

و"الأرموى" من رواد التدوين الموسيقى، ففى كتابه "الأدوار" السالف الذكر أمثلة مدونة تشبه تدوينات ابن سينا. (٩٢)

وعلى الرغم من أن الموسيقى العربية ارتكزت على أسس اغريقية، فان العرب، دون ما نظر الى شهرة مؤلفيها وأسمائهم

الطنانة، قد وضعوها موضع الاختبار وصححوهـا أو زادوا عليـها وجملوها. (٩٣)

ومن الجدير بالذكر أن "الفارابى" صمم "قانونا"، كمـا صمـم "زرياب" عـددا آخر من الآلات الموسيقية، وقد كان هذا هو السبب الذى دعا زرياب أن يحتقر عود معلمه ويصمم على العزف علـى عوده الذى صممه بنفسه وأضاف اليه وترا خامسا. (٩٤)

وقد احتفظت الموسيقى العربية لنفسها بطـابع شرقـى فـى الايقاع والنغم، تميـزت به عن ألوان الموسـيقى الأخـرى. وقـد احتلت الموسيقى مركزا مرموقا بين انجازات العرب، رغـم أنـهم اكتسبوا الكثير من معارفهم من الاغريق، والفرس والبيزنطيين.

ولقد بقى ما كتبه ابن سينا والفارابى مرجعا للموسيقيين حتى القرن السابـع عشـر. ومنهما تعلم الغرب العلاقة بين النغمة ٤:٥ وهى المسافة الكبيرة، و ٥:٦ للثالثة الصغيرة. (٩٥)

وقد تأثرت أوروبا تأثرا كبيرا فى مجال الموسيقى بـالابداع العربى، فقد جاءت الكلمات الأوروبية محرفة عن العربية فى أسماء العديد من الآلات "فلفظ **Luth** مثلا مـأخوذ مـن العـود. وكلمـة **Rebec** أصلها رباب. و **Naker** محرفة من النقارة و **Canon** من (قانون) الفارابى الذى خرج منه البيانو" (٩٦). وقد استمر العمـل بما جاء فى المصنفات العربية حتى القرن الثامن عشر.

ولقد اهتم الكونت "هرمانوس كونتراكوس" بمؤلفات الكنـدى الموسيقيـة ونقل عنه كتابة النوتة الموسيقية، وهو يعتبر الكندى من أئمة علماء الموسيقى.

أما المقاطع الصولفائية :

فا (Fa) مي (Mi) ري (Re) دو (Do) ســـى (Si) لا (La) صول (Sol).

التى يقال أن الموسيقى الايطالى "جيدفون أرينز" قد أخذهـــا عام ١٠٢٦م عــن نشيد يوحنا. فمن المحتمل أن تكون مأخوذة من الأحرف العربية.

دال راء ميم فاء صاد لام سين.

التى نجدها مع غيرها من مقظوعات من الموسيقى اللاتينيـــة فى القرن الحادي عشر الميلادي. (٩٧)

وهكذا كانت أوروبا مدينة للعرب فى مجال الموسيقى، وهذا الدين تجلى فى المصنفات الموسيقية التى نهلوا منها، والآلات التـــى أخذوها عن العرب عن طريق بيزنطة، أو بشكل مبـــاشر، أو غـــير ذلك من إنجازات عربية فى هذا المجال.

التاريخ الطبيعى
(علم النبات وعلم الحيوان)

لقد كان الاتجاه العملى للعلم العربى والاسلامى. واضحـــا، وقد تجلى ذلك بأوضح ما يكون فى المؤلفات التى وضعها العــرب فى النبات والحيوان. ففى الحالات التى لم توضع فيها كتب النبــات لأغراض لغوية، فان المؤلفات الاسلامية فى هذا الميدان كانت ذات طبيعة زراعية أو صيدلانية.

ويلاحظ أن لدينا عددا قليلا من الكتب فى علم الحيوان بمعناه المعروف الآن، مع أن هناك عددا كبيرا من المؤلفات التـــى تـدور حول فن الصيد والطرد وغيره من فنون الفروسية بالاضافـــة الـــى الطب البيطرى. (٩٨)

لقد كانت مؤلفات أرسطو فى علم الحيوان معروفة فى عــالم الاسلام، ومع ذلك، فان الاقتباسات المنسوبة اليـــه فـــى المؤلفــات الاسلامية فى الحيوان لم تكن صحيحة فى الغالب. وقد وردت هذه الاقتباسات فى بعض المؤلفات مثل كتاب الحيوان للجاحظ، و(طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها) لعبيـــد الله بـــن جـــبريل بـــن بختيشوع، وكتاب (حياة الحيوان) للدميرى. (٩٩)

ولقد دون علماء اللغة فى المعاجم وفى كتب خاصـــة، فـــى جملة ما دونوا كل ما يتعلق بأسماء النبات والشجر، وخص بعضـــهم النبات بكتب خاصة. فقد اشتمل كتاب (العين فى اللغة) للخليل بـــن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠ أو ١٨٠هـ)، اشتمل على مجموعة كبيرة

من أسماء النبات والشجر. كما احتوى الجزء الخامس مـــن كتـــاب النضر بن شميل التميمى المازنى، المسمى (الصفات فى اللغة) على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول. (١٠٠)

ويعتبر كتاب الحيوان للجاحظ (ت٢٥٥هـــ / ٨٦٩م) فـــى الأصل كتاب علم، جعله الجاحظ لدراسة الحيوان وأقسامه وأحوالـــه وطبائعه وعاداته وخصائصه، وقد جمع مواده من القرآن والحديث، وأشعار العرب، ومن أفواه الرواه وكتب علماء اللغة، ومن الكتـــب المنقولة للعربية خاصة كتاب الحيوان لأرسطو، وقد كان الجاحظ فى هذا الكتاب يزن الأمور بميزان العقل فقد رد عدداً كبيراً مـــن أراء أرسطو أو من الآراء المنسوبة إليه، كالقول بحيّة لها رأسان، والقول بحجر تحت عرش لملوك اليونان يشفى من لدغة العقرب وكالطـــائر الذى يسكن الجبال (شرق العراق) ويبنى عشه بأوراق الدارصينـــى يجلبها من الصين. ولما كان الجاحظ قد أكثر من الاســـتفراد فـــى كتاب الحيوان إلى الأخبار الأدبيـــة والاجتماعيـــة والآراء الفقهيـــة والقصص للترويح عن القارئ، لذا عندما خطـــا العلـــم خطواتـــه الواسعة فقد كتاب الحيوان كثيراً من قيمته العلمية(١٠١).

ويحتل أبو حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥م) مكانـــة هامة وخاصة بين العلماء العرب الذين اهتموا بالنبات، وذلك للعـــدد الضخم من المؤلفات والتى بلغت واحداً وعشرين كتابـــاً. تنـــاولت جوانب شتى من المعرفة.

أما كتابه فى النبات فهو كتاب كبير جامع شامل، وقد وصلنا منه الجزء الثالث والجزء الخامس، وقد استقصى فيه مؤلفه ما جـــاء

عن النبـــات فى اللغة العربية وربما ذكر عدداً من النباتات بأسمائها اليونانية أو الأرامية والفارسية. وكان يشرح الألفاظ والمصطلحات شرحاً علمياً. ومع أن المقصود الأول من هذا الكتاب كان الجـــانب اللغوى، فإن الأطباء والمشتغلين بالأعشاب قد اعتمدوه كما اعتمـــده علماء اللغة المتأخرون سواء بسواء(١٠٢).

وقد جاءت المعلومات عن الحيـــوان والنبـــات فـــى كتـــب موسوعية مثل كتاب (عيـــون الأخبـــار) لابـــن قتيبـــة الدينـــورى) (ت٢٧٦هـ / ٨٨٩م). وقد ترجم القسم الخاص بالحيوان منه، مـــع تعليـــق عليه (ف.س. بودن هايمر بـــالإشتراك مـــع ل . كوبـــف) ويشكل هـــذا القسم جزءاً من كتاب الطبـــائع والأخلاق المذمومـــة الذى يكون الكتاب الرابع من الكتب العشـــرة التـــى يتـــألف منـــها مصنف عيون الأخبار.

كما وضع زكريا بن محمد القزوينى (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) كتاباً هو "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات". وهو مخطـــوط مزدان بالعديد من الصور التى طالما أثارت فضول مؤرخى الفـــن. وكان القزوينى قد أدخل فى مؤلفاته الخرافة القائلة بوجـــود طيـــور تنمو على الأشجار وتعيش عليـــها (طيـــور الـــبرنقيل **Barnacle Geese**) وقد انتشرت هذه الخرافة على نطاق واســـع فى مؤلفـــات اليهود والمسلمين والنصارى، وهى كما نعلم لا ترجع إلى أصـــــل شرقى، وإنما أتت من الجزر البريطانية التـــى كـــانت تنبـــت فيـــها الأشجار على حـــد قول القزوينى. ويحتمل أن يكون الامـــبراطور فردريك الثانى قد وقف على تلك الأسطورة من مصدر آخـــر، فقـــد

ذكر فى كتابه أنه أرسل بعثة للنظر فى حقيقة هذه المسألة، واستطاع أن يثبت أنه لا أساس لها من الصحة. وقد اقتبس الغرب كثيراً من آراء القزوينى الموجودة فى هذا المصنف، واتضح ذلك فى كتاب ألفه (توماس المنسوب إلى كانتمبرى Thomas of Cantimpre) ،وفى كتاب المرآة Speculun الذى يتألف من أربعة أجزاء والذى ألفه (فينست دى بوفيه) (ت حوالى ١٢٩٦م) (١٠٣).

والجدير بالذكر أن القزوينى كانت له آراء صائبة فى العلم، وقد تأثر بالفكر اليونانى، وان كان قد حاول أن يقدم الكثير من أفكاره الخاصة.

لقد قال القزوينى بأن الموجودات ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى للمعادن وهى باقية على حالة الجماد لقربها من البسائط (أى العناصر فيما يرى). **والمرتبة الثانية** للنبات لأنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشوء والنمو وفقدان الحس والحركة بالارادة. أما **المرتبة الثالثة** فللحيوان وهو قد جمع بين النشوء والنمو والحركة. وهذه القوى موجودة فى جميع أفراد الحيوان.

وقد تكلم القزوينى عن أصناف النبات، وخصائصه وأوصافه، كما تكلم عن سبب تكون الانسان وعن حال الجنين فى الرحم، وسبب تخلقه ذكر أو أنثى وعن خروجه من الرحم، ثم تشريح جسم الانسان. وقد كان كلام القزوينى بصفة عامة مأخوذاً من ابن سينا وابن الهيثم، وقد قصد به بيان حكمة الله فى خواص هذه الأعضاء وترتيبها(١٠٤).

وللعرب فى الحراثة كتاب ألفه "أبو زكريا الإشبيلـــى" وفيــه حاول أن يطبق معارف اليونان والرومان وأهل أفريقيا فـــى بــلاد الأندلس. وقد نجح فى ذلك وانتفع به أهل الأندلس والأوربيون فيما بعد(١٠٥).

أمابن البيطار فقد وضع كتاباً نفيساً فى النبات أوضـــح فيــه ملاحظاتــه الخاصة فى دراسة النباتات والأعشاب ووصف فيه أكثر من (١٤٠٠) عقار بين نباتى وحيوانى ومعدنى فيها (٣٠٠) جديـــدة (١٠٦).

ورغم أن إضافات العرب فى هذا المجال (التاريخ الطبيعى) لم تكن بنفـــس مستوى إضافاتهم فى علوم أخرى إلا أن علم العرب فى هذا المجال كان يتصف بمزايا نذكر منها : (١٠٧)

أنه كان حلقة إتصال واستمرار بين الحضارة القديمة وبيـــن العالم الجديد، كما أنه مزج بين العلوم الهندية واليونانيـــة، وأضـــاف إليها، ونوع فيما قدم إليها. بالإضافة إلى ذلك فقد قـــدم عـــدداً مـــن المـــؤلفات، أو المعلومات ضمن موسوعات كانت ذات أثـــر بـــالغ عندما انتقلت مراكز الحضارة إلـــى أوروبـــا. فـــألف الأوربيـــون المصنفات على نمط الكتب العربية، ثم تقدموا بعد ذلـــك بخطـــوات واسعة نحو العلم فى العصـــر الجديـــد، بالإضافـــات والانتقـــادات والابداع.

خامساً : الميكانيك (علم الحيل)

من العلوم التى عنى بها العرب علم الميكانيك (الحيل). فقد اهتموا بدراستها نظرياً وعملياً. وقد بدأت اهتماماتهم فى هذا العلم ــ شأنها شأن جميع العلوم ــ بالترجمة والنقل، فنقلوا الكتب اليونانية مثل كتاب أرشميدس (ألة ساعات الماء التى ترمى بالبنادق) وكتابى : هيرون **Heron** (شيل الأثقال والحيل الروحانية). وكان التراث اليونانى فى الأساس تراثاً نظرياً، وقد كان الجانب التطبيقى يتنافى مع العقلية اليونانية(١٠٨).

وكان من عادة العرب أن يقسموا هذا العلم إلى قسمين :(١٠٩)

الأول : يبحث عن مراكز الأثقال وجرّ الأجسام بالقوة اليسيرة وآلات ذلك، **والثانى** : فى آلات الحركات وصنعة الأوانى وآلات هذه الصناعة. وقد اهتم العرب بعلم الحيل لحاجتهم الماسة إلى الآلات والأدوات يستخدمونها فى المراصد، وفى حياتهم اليومية. فابتكروا الموازين والروافع والساعات، وآلات الجرّ، وغيرها.

وقد ألف العرب فى علم مركز الأثقال، وهو علم يتعرف منه كيفية استخراج مركز ثقل الجسم المحمول، ومن الذين كتبوا فى هذا المجال (أبو السهل الكوهى). وقد قام ببرهنة نظريته رياضياً. كما بحث فى ذلك أيضاً (الخازن) فى كتابه (ميزان الحكمة). كما أن للعرب بحوثاً نفيسة فى الروافع، وقد أجادوا فى ذلك كثيرا، فقد

كان لديهم عدد غير قليل من آلات الرفع، وكلها مبنية على قواعـــد ميكانيكية تمكنهم بجر الأثقال بقوى يسيرة (١١٠).

ومن الجدير بالذكر أن الخازن قد رأى أن علـــم الميكـــانيك يدرس بشكل خاص تحديد مراكز الثقل النوعى، وشـــروط مختلــف التوازنات وقد ارتكز العرب فى دراساتهـــم هـــذه علـــى أرســـطو وبابوس وأرشميدس. كما عرف العرب ميزان الماء الـــذى حسّـــنه الرازى (أبو بكر محمد بن زكريا) الكيميائى والطبيب وأيضاً المظفر والخازن. كما قدم العرب تحســـينات متنوعـــة علـــى (الميكـــانيك) الهلينستى، وبخاصة الساعات المائية والفوّرات، كمـــا أن البحـــارة المسلمين أول من استخدم البوصلة فى الملاحة، وان كان هـــذا لـــم يبرز إلا فى القرن الثالث عشر الميلادى(١١١).

ويعد أحمد بن موسى بن شاكر من أهم المشتغلين فى صناعة الحيل وله كتاب يحتوى على مائـــة تركيب ميكانيكى، عشرون منها ذات قيمة علمية، منها ما يعالج أمور الأوعية ذات الميـــاه الحـــارة، والمياه الباردة. وأغلبها وصف لبعض الألعـــاب العلميـــة كأوعيـــة الشرب المجهزة بآلة موسيقية. وهذه الألعاب التى يقصد بها اللـــهو والتسلية مبنية على قواعد ميكانيكية (١١٢).

ومن كتاب ابن موسى المتعلقة بعلم الحيـــل خاصـــة كتـــاب القرسطون (الميزان الذى يوزن به الذهب) وكتـــاب الآلـــة تزمـــر بنفسها(١١٣).

أما أبو المعز الرزاز (ت ١٢٠٦ م) فقد وضـــع كتابـــاً فـــى الحيل اسماه (الحيل أو الجامع بين العلـــم والعمـــل): كمـــا وضـــع

رضوان الفارسى (١٢٠٣م) كتاباً فى الساعات وكيفية العمـــل بـــها (١١٤)

وقد كان عباس بن فرناس (ت ٢٤٧هـ / ٨٦١م) مخترعاً، فقد صنع (المنقاتة) وهى آلة لحســـاب الزمن ـــ كما حاول أن يطير جثمانه بأن صنع لنفسه جناحين (١١٥).

وتعد البوصلة اكتشافاً صينياً، ولكن الصينين استخدموها فـــى أمور خرافية، ولكن العرب هم أول من اســـتخدمها فـــى أســـفارهم البرية، ورحلاتهم البحرية، ويـــرجع الفضل فى تعريف الغرب بـــها إلى (أحمد بن ماجد) الملقب بأســـد البحـــر (ت ١٤٩٠م). والـــذى استعان به (فاسكو داجاما) فى طوافه حول القارة الإفريقية لإرشـــاده إلى طريق الهند(١١٦).

وقد برع العرب فى صناعـــة الســـاعات الشمســـية النقالـــة الاسطوانية الشكل، وقد اسموها (ساعة الرحلة). كما صنعوا الساعة الشمسية الثابتـــة. وغيرها من أصنـــاف الساعـــات. مثل الساعات ذات الأثقال مثل ساعة الجامع الأموى بدمشق والساعة المائية التـــى

تقذف كل ساعة كرة فى قدح معدنى، وتدور حول محور تظهر فيه النجوم ورســـومات من عالم الحيوان. والساعات التى تعمل بالزئبق والشموع. وتعد الساعة التى أهداها هارون الرشيد إلى شارلمان فى مدينةآخن (**Aachen**) من أعمال ألمانيا، وتناقلها الأوربيون أشـــهر ساعة فى التاريخ. وقد وصف الطبرى ساعة نحاسية هائلة أقيمـــت بمرصد (سرمن رأى)، بها دمى تظهر فى أوقات ومواعيـــد ثابتـــة

وتؤدى بعض الحركات، وكان بعض هذه الساعات يشبـــه الطيــور المغردة(١١٧).

وقد بلغت ذروة صناعة الآلات عند أبى الصلت (١١٨) أمين بن عبد العزيز (٤٦١ ـــ ٥٢٩هـــ) الــذى صنـــع آلات، واســـتعمل البكرات والحبال لينتشل بها سفينة غرقت قرب الاسكندرية، وهــــى محملة بالنحاس. فبنى أبو الصلت مركباً عظيماً وجعله فى مــــوازة المركب الغريق، وربط المركب الغارق بحبال، وجعــل الغواصيــن يوثقون ربط الحبال بالمركب الغارق، ثـــم أمـــر الرجـــال بـــإدارة البكرات، صار المركب الغارق يرتفع شيئاً فشيئاً حتى وصل إلــــى سطح الماء، ولكن الحبال انقطعت وغرق المركب ثانية.

وإن دل هذا على شئ إنما يدل على علــى عقليـــة الصلـــت العلمية والعملية، ولكن لم تساعده التقنية البسيطة فى عصره علــــى اتمام مهمته.

وقد اخترع ابن الخازن ميزاناً لوزن الأجسام فى الهواء وفى الماء، وكان لهذا الميزان خمس كفات، تتحرك احداهـــا علـــى ذراع مدرج. وقد كانت موازين العرب دقيقة، ومراقبة مــــن المحتســـب وتستخدم فى محلات البيع والشراء.

وقد عرف العرب قانون الروافع

أ×س = أ¯×س¯

وفى مجال الميكانيكا عرف العرب نظرياتها مـــن أرســـطو، والكتابات الأرشميديسية وقد عرف العرب الانتقادات التـــى وجـــها (جان فيلوبون **Jean philopon**) فى القرن السادس ضـــد ميكـــانيك

أرسطو وبخاصة ضد نظرية (الحركة المفتعلة) فى القذائف. وقـــد عارض فيلوبون فكرة أرسطو حول العمل الدافع الآتى من الوســط، وفضل عليها القوّل بوجود طاقة تعطيـــها آلــة القــذف وتختزنـــها القذيفة(١١٩).

وقد طور بن باجه قانون حركة القذائف الذى قال به فيليبون (تناسب السرعة مع الفرق بين القوة الدافعة والمقاومة)، والذى ذكر أن حركة الكرات السماوية دليل على حركة ذات سرعة متناهية فى حال غياب أى مقاومة(١٢٠).

وهكذا نجد أن ما قدمه العرب فى الميكانيك وعلم الحيل، قــد حافظ على التراث السابق، كما أضاف اختراعات وابتكارات حديثة، وقد كان يميل بشكل رئيسى نحو الجوانب العملية.

سادساً : الكيمياء

قبل البدء بالكلام عن انجازات العرب فى الكيمياء يجـــب أن بحث عن أل الكلمة من الناحية الاشتقاقية.

الكيمياء كلمة مشتقة من اللفظة المصرية القديمـــة (كــاميت Camet) أو (سيما) ومعناها السودا، أو الأرض الســــوداء. وهــو الأسم الذى أطلقـــه المصريون على بلادهم إما اشارة إلى الخصـــب والبركة، أو رمزاً إلى السر والخفاء الذى يجب أن يكتنف هذا العلـــم ضناً به على غير أهله(١٢١) كما أن أول باحث فى الكيمياء، هـــو هرمس الحكيم (الذى ملك مصـــر، وصحت له الصنعة، ونظر فـــى خواص الأشياء وروحانيتها، وصح له ببحثه ونظره علـــم صناعـــة الكيمياء)(١٢٢).

وقد حرف اليونان لفظ (كاميت) المصرية إلى كيمياء، ونسبوا إليهم علم الكيمياء، وهو علم مصرى الأصل(١٢٣).

وقد أطلق العرب على علم الكيمياء أسماء كثـــيرة، بعضـــها راجع إلى طبيعة الموضوع، وبعضها يتصل بمنهج البحث، ومن ذلك علم الصنعة، وعلم التدبير، وعلم الحجر، وعلم الميزان...

ومن أشهر التعريفات، تعريف (ابن سينا) إذ يقول عن علـــم الكيمياء أنه "سلب الجواهر المعدنية خواصــــها، وافادتـــها خـــواص غيرها،، وافادة بعضها خواص بعض، ليتوصل إلى اتخـــاذ الذهـــب والفضة من غيرهمـــا من الأجسام" (١٢٤) وقد انتقلت الكيمياء مـــن مصر إلى اليونان، فـــألف اليونانيون فيها الكتب، وبحثوا فى أصولها

بحثاً قائماً على النظر الفلسفى المجرد البعيد عن المنهج التجريبى العلمى.

وقد عرف العرب علم الكيمياء عن طريق مدرسة الاسكندرية، وكذلك عن طريق الكتب المنقولة عن اليونانية فى بغداد.

ومن الجدير بالذكر أن أول من عمل فى الكيمياء من العرب – حسب المصادر العربية – هو خالد بن يزيد بن معاوية، الذى خاب فى نيل الخلافة، فانصرف إلى العلوم واستقدم جماعة من مصر ممن كانوا فى مدرسة الاسكندرية فتعلم من أحدهم وكان راهباً يدعى "مريانوس" – صناعة الكيمياء – وبعد ذلك أمر رجلاً يدعى اصطفن القديم بأن ينقل له كتب الصنعة. وكان خالد بن يزيد يلقب بحكيم بنى مروان(١٢٥).

وعندما انتقلت الكيمياء إلى العرب لقيت معارضة شديدة من الفلاسفة والمفكرين الاسلامين، فقد اعتبرها الكندى مجرد دجل وشعوذة، وكذلك ابن سينا – الذى ذكرنا تعريفه السابق لها – عارضها لأنه رفض كون المعادن من أصل واحد، واعتبر الكيمياء شعوذة وسحراً.أما ابن خلدون فقد اعتبرها من علوم السحر والطلاسم، ورأى أن جابر بن حيان ساحراً.

ولكن هذه المعارضة الشديدة لم تمنع وجود نفر من الفلاسفة يؤديون انتقال الكيمياء، بل ويعملون على ذلك. فقد رأى (محمد بن زكريا الرازى) – وقد كان فيلسوفاً وكيميائياً وطبيباً – أن الإنسان لا يسمى فيلسوفاً إلا إذا صح له علم صناعة الكيمياء، كما كان من أهم

المبرزين فى الكيمياء. كما وافق الفارابى على أن أصـــل المعـــادن واحد، وامكانية تحويل بعضها إلى بعض(١٢٦).

وقد حاول جابر بن حيان أن يستكشف تركيب الكون ويفهمه، وبذلك اكتشف أسس الكيمياء الحديثة ومناهجها التـــى تعتمـــد علـــى التجربة العلمية من ملاحظـــة وتجربة، واستنتاج ومقارنـــة. كمـــا استعان بالقوانين الرياضية ووسائل القياس المعروفة.

وقد ألف كتاباً أسماه "الموازين"، كما ألف كتابـــاً آخـــر فـــى خواص العناصر سماه (كتاب الخواص الكبير) (١٢٧).

وقد كان يطلق على الصنعة فى ظهورها الأول الخيمياء، ثم صارت كيمياء بعد أن تحولت عن الشعوذة إلى التجريب.

ولقد قدم العرب الابتكارات العديدة فى مجال الكيمياء. وهى ترجع إلى "جابر بن حيان" أو تلاميذه. فلقـــد عـــرف العـــرب أن النشادر NH_3 إذا أضيفت إليه الماء يصبح NH_4OH، كما عرفـــوا حامض النيتريك وحمض الكبرتيك (زيت الزاج) وكبريتات النحـــاس وكبريتات الرصاص. وكربونات الصوديوم، والصودا الكاوية وملح النطرون وغيرها من المواد والمركبات الكيميائية (١٢٨).

ولقد رأى جابر بن حيان"الصانع الدرب يحذق، وغير الدرب يعطل" وكان جابر يستخدم لفظ (الدربة) بمعنى التجربة، وإن كان قد استخدم أيضاً كلمة (التجربة) كما استخدم كلمة (امتحان). ويرى أن كمـــال الصنعة العمل والتجربة. فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشئ أبداً (١٢٩).

وقد عمد العلماء العرب إلى معرفة علة الشئ أو سـببه ثـم تلمسه فيما يشبهه من الأشياء المجهولة، حتى إذا تأكد البـاحث مـن اشتراك كل من المجهول والمعلوم فى علّة واحدة قاس الأول علـى الثانى فى حكمه القائم على تلك العلة. ففى مجال الكيمياء اتخذ بـن حيان قياس الغائب عن الشاهد فى منهجه التجريبى(١٣٠).

وقد وصل العرب بعلم الكيمياء درجة من التقدم مكنتهم مـن السعى إلى تطبيق ما توصلوا إليه فى الصناعات المتباينة، وهو مـا يعرف الآن بالكيمياء الصناعية فاستخدموا خبرتهم الكيماويـة فـى صبغ الأقمشة، ودبغ الجلود، وصناعة المعادن وتركيبها أو تنقيتـها وصقلها، وفى تركيب العطور. كما تفنن العرب فى صناعة الزجاج والأوانى الزجاجية والمصابيح الملونة والمرايا والبللـور، وانتقلـت روائعها العظيمة من الشام ومصر والعراق وفارس إلـى قصـور أوروبا وكنائسها(١٣١).

كما اكتشف العرب الآلات المخبريـة والأدوات المعمليـة. وعن طريق التقطير صفّى الخل وعتقت الخمر واستخرج العرق من البلح وطهر الماء الموبوء بحيث أنه أصبح فـى متنـاول الجميـع يستعمل كعلاج ضد الالتهابات(١٣٢).

ولعل أكبر دليل على ما حققه العرب فى علم الكيمياء ما نراه اليوم من كلمات وأسماء عربية ما تزال على لسان كل عالم كيميائى مثل :

بنزين Benzin	الإكسير Elixier
البورق Borax	قلى (قلويات) Kali

قلى (مفردة) Kalium	الكيمياء Chemie
نطرون Notron	الخيمياء (الكيمياء القديمة) Alchemic
الصودا Soda	الأنبق Alambik
الحنظل Alhandal	الكحول Alkohol
أنيلين Anilin	عرق Arrak
بودرة الطلق Talkum	حجر بادزهر Bezoar (١٣٣)

كما استفاد العرب من الكيمياء فى الطب. فقد جعل الرازى الكيمياء فى خدمة الطب، إذ اتّضح له أن بوسعه استحضار عقاقير جديدة فى عملياته الكيميائية، من تقطير وتصعيد لمواد الطبيعة أصلاً(١٣٤).

وكان عرب الأندلس هم أول من صنع المدافع وعنهم أخذها الانجليز الذين كانوا يحاربون فى الجيش الأسبانى فى أواسط القرن الرابع عشر ولا تزال مدافعهم التى دافعوا بها عن غرناطة محفوظة فى أحد متاحف أبانيا حتى اليوم(١٣٥).

وقد استعمل العرب المركبات الكيميائية بأسمائها، ولم يستخدموا الرموز.

جابر بن حيان

هو أبو موسى أو أبو عبد الله، جابر بن حيان الكوفى، والموصوف بالصوفىّ، كان مولده فى طوس، ومنشأه ومسكنه فى الكوفة. والمتوفّى حوالى ٨١٥م.

اختلف الناس فى أمر (جابر بن حيان) وليـــس بعجيـب أن يختلف الناس فى أمر العظماء من رجال الفكر - على حـد تعبـير قدرى طوقان - فالشيعـة تقول : أن جابرا من كبارهم وأحد أبوابهم وأنه كان صاحب جعفر الصادق، ومن الناس من يقول : انـه مـن جملـة البرامكة ومنقطعا اليهم، وقال قوم من الفلاسفة: انـه كـان منهم، كما زعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت اليـه فى عصره. وأن أمره كان مكتوما. وزعموا كذلك أنه كان ينتقل فى البلـدان خوفا من السلطان نفســه، اذ كــان مقربـا الـى البـلاط العباسى، فلما دار الزمان على البرامكة أصابه بعض ما أصابهم من اضطهاد وضغط حيث بقى وقتا طويلا مختفيا، مما حمله على الفرار الى الكوفة. (١٣٦)

وشخصية "جابر" شخصية ملتبسة، رغم أن ما تركه ينم عن اطلاع واسع واعتماد كبير على التجارب العلمية والمشاهدات الحسية وعدم الاكتفاء بالفرضيات والتحليلات الفكرية التى كــانت محـور المعرفة عند اليونانيين. ولكن النقد الداخلى - على حـد تعبـير د. محمد عبد الرحمن مرحبا - يؤكد أنها انما كتبت فى أواخر القــرن الثالث للهجرة وأوائل القرن الرابع - على غير ما جاء من أنه توفى فى النصف الثانى من القرن الثانى للـهجرة، ممـا حمـل بعـض المستشرقين على الشك فى وجوده، والاعتقاد بأنه ربما كان شخصية اسطورية. (١٣٧)

وقد قيل عن "جابر" أنه من "طوس" - كما ذكرنـا - وكمـا يظن "هولميار"،أو من طرسوس كما يظن "واستنفلد" أو أنه صـابىء

من حران كما يدعى "دربيلو". والأقوال فى ذلك كثير، حتى لقد قيل أنه ملك العجم، أو ملك الهند، أو من سوريا، أو مـــن قبيلـــة الأزد. وتطرف بعضهم ليقول أنه يونانى، وغير ذلك. (١٣٨)

كما أنكر بعض الوراقين - كما يقول صاحب الفهرســـت - وجود جابر، وأن لا أصل لرجل بهذا الاسم ولا حقيقة، وأن النــــاس نسبوا اليه مؤلفات ورسائل نحلوه إياها، وقد أنكــر ذلــك صــاحب الفهــرست. وقد اشتغل جابر بالعلوم، ولا سيما الكيمياء. وله فيها وفى المنطق والفلسفة تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة ضاع معظمها ولم يبق منها غير ثمانين كتابا ورسالة فى المكتبات العامة والخاصة فى الشرق والغرب. (١٣٩)

وقد عرف "جابر بن حيان" الكيمياء من مدرسة الاســـكندرية التى كانـــت تقول بامكانية انقلاب العناصر وتحولها بعضـــها الـــى بعض. وأخذ مع هذه الكيمياء فيضا من الفلسفة، والآداب الســـحرية والتصوف الشـــرقى، كما أخذ الروحانية الايرانيـــة عـــن فـــارس. وتقسم كيمياء "جابر" بالاعتماد على التجربة والمشـــاهدة واســـتبعاد الخوارق. وقد عنـــى "جـــابر" بالكيميـــاء العضويـــة علـــى وجـــه الخصوص.(١٤٠)

ومن مفاخر "جابر" أن الكندى والرازى وابـــن ســـينا كـــانوا يعتبـــرونه أستاذهم، وقد رأى "روجر بيكون" أيضا (القرن الثـــالث عشر) أنه أستاذ الأساتذة، وقال فيه بيرتبليو **Berthelot** فى كتابـــه (تاريخ الكيمياء فى العصور الوسطى) : ان اسمه ينزل فى تـــاريخ الكيمياء منزلة اسم أرسطو طاليس فى تاريخ المنطق. (١٤١)

وقد برع "جابر" فى عمليات التكليـــس والتقطـــير والإذابـــة والتبخير والتصعيد والتبلور وغيرها من العمليات الكيميائيـــة التـــى ووصفها وصفا دقيقا وبين الغرض من إجرائها. (١٤٢)

ولقد شغلت "جابر" فكرة تحويل المعادن، فقد رأى أن الطبائع تتغير. وأن "لكل عنصر روح كما نجد ذلك فى الحيوان والانســـان، وللعناصـــر طبـــائع تختلف بعضها عن بعض. فالطبائع فـــى كـــل موجود ــ كما يقول جابر فى كتاب السبعين – ظاهرة تامة وباطنـــة تامة. ولا يخلو كل موجود ــ أن يكون فيه طبعان فـــاعل ومنفعـــل ظاهران، وطبعان فاعل ومنفعل باطنان. ومعنى تامة وغير تامـــة أن الفضة ظاهرها ناقص وباطنها تام وأن الذهـــب بخـــلاف ذلـــك. ولذلك سهل عليهم وقرب رد الأجسام الـــى أصولـــها فـــى أقـــرب مدة".(١٤٤)

واذا كان "جابر بن حيان" قد بث فى الكيمياء روحـــا جديـــدة ودما جديدا الا أنه لم يستطع أن يقطع كل الجســـور التـــى تربطـــه بماضٍ سحيق. فمع اهتمامه بـــأحداث الطبيعـــة وتمســـكه بالمنـــهج التجريبى والكمى فى دراستها، الا أنه لم يتمكن من عزل وقائع العالم الطبيعى عن سياقها الرمـــزى ومضمونـــها الروحـــى وامتداداتـــها الصوفية والسحرية. فقد استخدم منهج التأويل جنبا الى جنـــب مـــع المنهج التجريبى. وبهذا فقد وقـــف فى منتصف الطريق بين العلـــم واللاعلم، بين الحقيقة والاسطورة، وبين الواقع والخيال. (١٤٤)

وقد اشتغل جابر بالعلوم الغريبة، كالسحر والصنعة والتنجيم، وقد نسبت اليه فيها مؤلفات كثيرة.

فقد اهتم "كراوس **Kraus**" بالمظهر الفلسفى والغنوصى فـــى فكر جـــابر. وبشأن نظرية الميزان كتب يقـــول : "انـــه القـــانون الرياضى الذى يمسك بالكون. وهو أى هذا القانون فى أساس كـــل علم" ويرأى كراوس يكون لهذا المفهوم معنى اسماعيلى خـــالص – وقد جاء ذلك فى دراسة عن جابـــر بن حيان فـــى مجلـــة ايزيـــس المجلد ١٤ لسنة ١٩٣٠. ان "هوليمار" فقد عكف على ابراز القيمة العلمية لعمل جابر. (١٤٥)

وقد ترجمت أعمال جابر بن حيان إلـــى اللاتينيـــة، وكـــانت أساس الكيمياء عند الأوربيين، كما أخذوا عنه المنهج العلمى.

أبو بكر محمد بن زكريا الرازى:

طبيب وفيلسوف وكيميائى، ولـــد فـــى الـــرى نحـــو عـــام (٢٥٠هـــ-٨٦٤هـــ) وفيهـــا مـــات ســـنة (٣١٥هـــ/٩٢٥م) أو (٣٢٠هـــ/٩٣٢م) لقب بجالينوس العرب. (١٤٦)

وقد قيل أن الرازى كان فى بداية حياته مولعا بالموســـيقى، ويتقن العزف على العود، كما أنه درس الفلسفة أيضا باشراف أبـــى زيد البلخى الفارسى وذلك قبل أن يتحول إلى دراسة فـــن الشفـــاء. وبعد أن أكمل الرازى دراسته فى بغداد عاد إلى مسقط رأســـه فـــى (الرّى) حيث عهد اليه بادارة مشفاها. (١٤٧)

قال عنه صاحب الفهرست : "كان الرازى أوحد دهره وفريد عصـــره، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء سيما الطب .. " وسماه ابن أبى أصيبعة بجالينوس العرب. (١٤٨)

وكان " الرازى" لا يبدى أى اهتمـــام بالظـــاهرة الرمزيـــة، وبالتقسيمات ذات المدلول الرمزى فى موضوع الكيميـــاء القديمـــة. وعليه فتقسيـــم العالم والانسان إلى ظاهر وباطن، والمـــوازاة بيـــن العالم الطبيعى والعالم الروحانى، العالم الأصغر والعالم الأكبر، عالم الظواهر وعالم الماهيات، كل أولئك وأمثاله مما تقوم عليه الكيميـــاء القديمة لا أثر له فى منهج الرازى. علما بأن الرازى لا يقل عـــن جابر بن حيان أفلاطونية وروحانية. فقد فصل الرازى بين الكيمياء والعالم وفك الارتباط بينهما. فجعل للعلم ميدانه، وللفلسفة ميدانـــها. (١٤٩)

وقد درس الرازى خصائص الزئبق ومركباته واســـتحضرها واستعملها كعقار ضد بعض الأمراض. "واهتم بالأفيون والحشيـــش وجعله صالحا للاستعمال فى عملية التخديـــر. وثمـــة دواء أوجـــده الرازى بالذات لا يزال يحمل الاسم التالى فى فرنسا **Blang Rasis** حرفته العامة الى **Blane Raisin** أى العنب الأبيض" (١٥٠)

وقد تحلى الرازى بالمنهج العلمى، وهذا مما جعل لبحوثه فى الكيمياء أهمية كبيرة مما جعل بعض الباحثين الغربيين يشيدون بـــه ويلقبونه بمؤسس الكيمياء الحديثة.

ويعد كتاب (سر الأسرار) من أشـــهر كتـــب الـــرازى فـــى الكيمياء، اذ لا أثر فيه للطلاسم والألغاز او التصـــوف والرمزيـــة،

وانما كل ما جاء فيه يقوم على التجربة البحتة. وقد اشتهر هذا الكتاب فى العالم الاسلامى لا فى نصه العربى فحسب، بل فى ترجمته الفارسية أيضا، كما أحرز شهرة فى العالم اللاتينى حيث ترجم بعنوان **Siber Secretarum Bubacaris** أى كتاب الأسرار لأبى بكر الرازى، كما عنى روسكا بنقله الى الألمانية وبدراسته دراسة مسهبة فى كتابه :

Al-Razi's Buch Geheiminis der Cehmnine, Berlin, 1937

ويبدو أن كتاب (سر الأسرار) موجز لكتاب آخر هو (كتاب الأسرار). (١٥١)

وقد مجد "الرازى" العقل ومدحه، وأورد فصلا خاصا بذلك فى كتابه "الطب الروحاني. كما استحضر بعض الحوامض، ولا تزال الطرق التى سلكها مستعملة حتى الآن. وهو أول من ذكر حمض الكبريتيك وسماه (زيت الزاج) أو (الزاج الأخضر)، ونقله عنه (البير الكبير) وسماه (كبريت الفلاسفة)، كما استقطر الكحول من مواد نشوية وسكرية متخمرة. (١٥٢)

وقد شمل كتاب الرازى (كتاب الأسرار) على معرفة معان ثلاثة هى : معرفة العقاقير، ومعرفة الآلات، ومعرفة التدابير (أى التجارب) وتنقسم العقاقير الى ثلاثة أقسام :

برانية (غير عضوية) ونباتية وحيوانية. والبرانية ستة أنواع : أرواح، وأجسام، وحجارة، وزاجات، وبوارق، وأملاح. (١٥٣)

وكتاب (الحاوى) للرازى قد أكمله تلاميذه، وترجم الى اللاتينية عام ١٤٨٦ وفيه آراء جديدة عن الفتق والحجامة والحميات،

وأعصاب منطقة الحنجرة وعضلاتها، كما ترجم (المنصورى) عـــام ١٤٨١م. (١٥٤)

هذا وقد اشتغل بالكيمياء كثيرون، كما جاءت أفكار كيميائيـــة وآراء تجريبية فى بعض كتابات الفلاســـفة العــرب. وان كـــانت مساهمات هؤلاء ليست فى مستوى مساهمات "جابر بـــن حيـــان" أو "الرازى".

وقد انتقلت الكيمياء الى أوروبا عن طريق الترجمة والنقـــل من العربية إلى اللاتينية. فقد استفاد الأوربيون كثيرا مـــن المنـــهج التجريبى، ومن المبتكرات الكيماوية حتى أنهم – كما ذكرنا – نقلوا العديد من المركبات والعناصر بأسمائهم العربية.

كما اهتم العلماء الأوربيون بالشخصيات العربية والاســـلامية فى مجال الكيمياء. فقد كتب (جولياس روســـكا **Julius Ruska**) (١٥٥) مقـــالات عديدة عن "جابر بن حيان" ومشكلته التاريخية. أما (هـــولميارد) فقد أكدّ نسبة كتب جابر بن حيـــان اليـــه، ورأى فـــى شخصيـــة "جابر" عالما لا يقل عن أساطين العلـــم الحديـــث مثـــل (لافوازيه) و(بريستلى)، و(بويل). (١٥٦)

أما "بول كراوس" فقد وصل فى نتائجه الأخيرة – كما يـــرى سيزكين – الى أن جميع كتب "جابر بن حيان" منسجمة ومطردة فى إبراز هذه الشخصية التى لا يعرف مثلها فى تاريخ العلوم الا نادرا. وقد وصل (كرواس) إلى نتائج هائلة بالنسبة لتـــاريخ العلـــوم. وان كان جعله (جابر بن حيان) شخصية خرافية أخل بواقع جـــابر أمـــام

الدارسين، فقد قبلوا أو اضطروا الى أن يقبلــوا فرضيتــه المتعلقــة بالمشكلة التاريخية لجابر بن حيان. (١٥٧)

وهكذا كانت مؤلفات جابر وشخصيته موضع جدل ونقـــاش طويلين امتدت الى منتصف هذا القرن لدى الأوربيين.

وقد استفاد الأوربيون كثيرا من كتب الرازى، فـــالعديد مـــن الكتب المنسوبة اليه متداولة باللغة اللاتينية، وكم من الكتب الكيميائية التى نسبها (ريموندس لولوس **Raymundus Lullus**) إلى نفســـه، فتبين فى قرننـــا الحالى أنها منحولة من كتب عربية. ولنذكـــر أن قسم المعادن من كتاب (الشفاء) "لابن سينا" ظل يتداول بين الكيميائين على مدى قرون على أنه كتاب لأرسطو طاليس. (١٥٨)

وهكذا نجد أن العرب عندما نهلوا من علوم الاغريق تمثلوها وأضافوا اليها وأبدعوا فيها، وبذلك فتحوا أفقا جديدا لعلـــم الكيميـــاء ووضعوا أسس المنهج التجريبى.

سابعا : الطـــب

الساحر هو الجد الأعلى للطبيب. وكلمة (طبيـب) العربيـة تعود بنا الى ذلك الأصل البعيد للطب. فمن معانى الطب فى اللغـة العربية السحـر، والمطبوب هو المسحور، والطابّ هـو السـاحر يستخدم طبه فى البرء والشفاء. فالساحر هو طبيب يعـالج أشيـاء عديدة منها المرض، ثم اختص الطبيب بشفاء الأمـراض بـالطرق الطبيعية، وبقى للساحر مجاله الواسع فى التأثير فى الأشياء بطـرق غير طبيعية وأعمال الخوارق. (١٥٩)

ولقد كانت حياة العربى فى الجاهلية على درجة كبيرة مـن الخشونة، فهى حياة بدو تتطاحنـها الحـروب المختلفـة المسـتمرة مدفوعة بالثأر المتواصل، يعيش فيها الغنى، ويموت الفقير، يـزداد القوى قوة، ويموت الضعيف، وفى نفس الوقت كانوا يتحلون بالذكاء والشجاعة والكرم، وكانت لغتهم غنية بمعانيـها وجزالـة ألفاظـها، وكانت مصدر فخر لهم. وكانت الحضارة والمعرفة موجودة علـى حدود الإمبراطوريات الفارسية والرومانيـة فـى مملكـة الحـيرة، وغسان..

ولقد كان الطب فى ذلك العصر طبا بدائيا يختلط به السـحر والخرافة، ويقوم على الكهانة والتعاويذ والتمائم أكـثر منـه علـى الاستقصاء ومعرفة أسباب الداء قبل وصف الدواء.

وقد قام عدد من الأطباء الطبيعيين الـى جـانب العرافيـن والكهان، وقدمـوا لمرضاهم بعض النصـائح السـليمة، ووصفـوا

لعلاجهم طائفة من الأعشاب والنباتات ذات الأهمية المعروفة في العلاج. (١٦٠)

والطبيب العربى الأول الذى جاء ذكره فى تراجم الفلاسفة والأطباء. للقفطى وابن أبى أصيبعة، هو (الحارث بن كلدة) من المعمرين الذين عاصروا النبى، وكان قد تلقى العلم فى مدرسة الطب الفارسية المشهورة فى جنديسابور. أما ابن الحارث وهو (النضر)، وكان كوالده ماهرا فى الطب، وتعلم فى فارس، وهذه النشأة أدت به الى الاستهزاء بالقصص التى جاءت فى القرآن، ولم يتردد فى القول أنها أقل تسلية وموعظة من الأساطير الفارسية القديمة حول رستم واسفنديار.وبهذا يمكنه أن يسترعى انتباه الناس ويفضهم من حول النبى. ولم يعف الرسول محمد عن هذه الإساءة، ولما جاء النضر بن الحارث أسيرا فى معركة بدر، أمر النبى بقتله. (١٦١)

وكان أكثر الطب فى الجاهلية قائما على الوقاية، والنصائح الطبية نحو : المعدة بيت الداء لا يصلح شيئا الا أفسد مثله.

ومن أطباء الجاهلية أيضا زهير بن جناب، وابن حذيم، وزينب طبيبة بنى أود، وقد برعت فى مداواة أمراض العيون.(١٦٢)

ولم يختلف الطب فى صدر الاسلام كثيرا عنه فى الجاهلية، فقد ذكر (ابن خلدون) فى مقدمته عن الطب النبوى - المنقول عن الرسول والوارد فى كتب الحديث - فيقول :

"ان هذا الطب من جنس الطب الذى عرفه العرب فى الجاهلية، وفى البادية على الأخص، وليس من الوحى. وهذا الطب يصيب حينا ولا يصيب حينا آخر لأنه قائم فى الأصل على تجارب محدودة وقليلة لا على قواعد علم الطب. ومع أن المعارف الطبية الواردة فى كتب الحديث صحيحة فى ذاتها، فان ورودها فى كتب الحديث لا يوجب العمل بها. غير أن هذه المعارف اذا استعملت على جهة التبرك وصدق العقد الايمانى، كان لها أثر عظيم فى التطبب بها لأنها حينئذ تكون جانبا من الطب النفسانى" (١٦٣)

ومن أقوال النبى : ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، وقد حدد الرسول طرق العلاج بثلاثة : تعاطى العسل، والحجامة، والكّى. وحذر من استعمال الطريق الأخير الا ما ندر. ووصف حليب الابل والحبة السوداء واللوز، وحجر الكحل (للرمد)، ولقطع النزف رماد الحصير المحروق. كما ذكر من الأمراض : الصداع والشقيقة، والرمد، والجذام، ذات الجنب، والطاعون والحمى الموصوفة (وكأنها زفير جهنم). (١٦٤)

ومع بداية العصر الأموى بدأ الطب يتخذ مسارا جديدا، فقد بدأت المؤثرات اليونانية تتسرب اليه شئيا فشيئا. وكان ذلك يرتبط بالانتقال من البداوة الى التحضر.

وكان لمعاوية (ت ٦٠هـ/٦٨٠م) طبيبان نصرانيان من أهل دمشق ابن آثال : وكان خبيرا بالأدوية المفردة وبالسموم ولكن بعيدا عن الخلق الكريم فكان معاوية يستخدمه للتخلص من خصومه

السياسيين. ثم أبو الحكم الدمشقي، وكان بارعا فى التطبيب أمينا فكان معاوية يستطبه ويعتمده فى معالجة نفسه ومعالجة أهل بيته.

وكان الطبيب ينظر الى وجه المريض، والى عينيه وأظافره ولسانه ويجس النبض وينظر إلى قارورة ماء البول، ويقوم بناء على ملاحظاته بالتشخيص ومع العصر العباسى، واتساع الدولة، وازدياد التحضر، وانتشار الترف أصبحت الحاجة ماسة للأطباء. وكثر الأطباء فى بغداد من النصارى واليهود والمجوس، مثل : جبرائيل بن بختيشوع (ت ٢١٨هـ/٨٢٨م) وابنه بختيشوع (ت ٢٥٦هـ) وابن ربان الطبرى (ت ٢٤٠هـ) ويوحنا بن ماسويه وسابور بن سهل واسحق بن حنين، ومنكه، وشاناق الهنديان ولكن الطب من الناحية العلمية لم يكن تطور كثيرا، ولم يختلف عن العصر الأموى.

ولكن مع تقدم العصر العباسى، ومنذ أواسط القرن الثالث الهجرى، أخذ الجانب العلمى يبرز، وأخذ الأطباء يهتمون بالملاحظات الاكلينيكية (السريرية أو العيادية) - أى دراسة سير المرض وتطوره، واختبار الطبيب للأدوية. (١٦٥)

وقد جاءت حادثة فى العصر العباسى كانت سببا فى تنظيم مهنة الطب، فقد اتفق أن عددا من المتطببين لا يحملون اجازات، وكان ان أخطأ أحدهم فى سنة ٣١٩هـ/٩٢١م فى معالجة رجل من العامة فمات، فأمر الخليفة المقتدر ألا يقوم أحد من الأطباء بالمعالجة الا من نجح فى الامتحان. وقد أجرى سنان ثابت بن قرة (ت ٣٣١هـ) امتحانا لثمانمائة وستين رجلا، ولم يعف من الامتحان

الا من اشتهر بـــالتقدم فـــى صناعتـــه، ومـــن كـــان فـــى خدمـــة السلطان.(١١٦)

وقد اشتهر فى الطب عند المسلمين عدد كبير من الأطبـــاء، وسوف نتناول بعضهم بايجاز ..

الأطـــبــــاء:

(1) ***أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (١٦٧)***

يعتبر الرازى واحداً من أعظم الأطباء، ويقــف علــى قــدم المساواة مع أبقراط باعتباره أحد واصفــى الأمــراض المبتدعيــن. وكـــان الرازى غــزيــر الانتاج فقد كتب فى كــل الأمــور التــى تتعلق بصناعة الطب سواء فى صورة المجلدات أو الرسائل.

وكانت تجربته فى الطب من الناحية العلمية كبـــيرة، ودرب عددا كبيرا من الطلاب. وأصبح متفوقا فى العلوم الأخـــرى مثــل الفلسفة والكيميـــاء، ونال اعجاب الكثير مـــن الدارســين بمؤلفـــات الفلسفة، وقد خلد اسمه فى التاريخ الاســـلامى كعـــالم فـــى الطـــب والكيمياء.

صار الرازى رئيس أطباء مستشفى بغـــداد، وعندمـــا كـــان بايران خطى بصداقة الأمير منصور بن اسحق حاكم خراسان وقـــد ألف له كتابا فى الطب اشتهر باسم الكتاب المنصورى.

وقد كان الرازى يؤمن ايمانا راســـخا بـــالطب التجريبـــى، والإفادة من النباتات الطبية والعقاقير المجّربة مـــن قبـــل، ويـــرى ضرورة توفر المقاييس المهنية الرفيعة للمارسين. وكما كان كثـــير

الحث للأطباء على تثقيف أنفسهم بدراسة البحوث الطبية والمواظبة علـى حضـور المحـاضرات والتدريـب فـى البيمارسـتانات (المستشفيات). كما شن حملة ضد الدجل والشعوذة، ونادى بالثقـة بين الأطباء، وضرورة التشاور بينهم. كما حذر المـرضى مـن الانتقال من طبيب الى آخر لئلا يهدروا أموالهم وأوقاتهم، وصحـة أبـدانهم. كما ارتقى بالمعالجة النفسية مشيرا الى أن كلمات التشجيع من الأطباء تشد من عزيمة المريض وتقوده الى مشـاعر أفضـل وتعمل على شفائه. كما أكد أهمية الغذاء المتوازن لحفـظ الصحـة الجيدة أو لاستفادتها. (١٦٨)

وقد تم اختيار الرازى من بين مائة من كبار أطباء عصـره ليكون رئيسا للبيمارستان العضدى الجديد (١٦٩)

واذا رجعنا الى مؤلفات الرازى نجد ان له من الكتب الكثير، واننا نجد ما يتفق عليه فى صحة المذكور منها فى ثلاثة من المراجع التـى اختصت بالتراجم واعتمدت على اقوال وملاحظات المؤلـف نفسه، وأقدم هذه المصادر هى الفهرست (لابن النديم) الـذى ذكـر ١١٣ مؤلفا كبيرا، و٨ مؤلفات صغيرة وقصيدتيـن. أكـثر هـذه المؤلفات فقدت، وما تبقـى منها فيه الكفاية ليجعلنا نقدر سعة علـم الرازى. وأكثر أعمال الرازى ما زال مخطوطا، والذى نشر منـها قليل جدا. (١٧٠)

ومن أهم مؤلفاته، رسالة فى الجدرى والحصبة نشرها لأول مرة (جانينك) عام ١٧٦٦ فى لنـدن بـالنص العربـى والترجمـة اللاتينية، وكانت قد ظهرت طبعة للترجمة اللاتينية فى البندقية عـام

١٥٦٥م ونشرت الترجمة الانجليزية (كرين هيل) من قبل جمعية (سيد ينهام) عام ١٤٤٨م. ويقول (نيو بركر) "ان الكتاب ذو أهمية بالغة فى تارخ الأوبئة، وانه أول ما كتب فى الجدرى. ومنه يظهر أن الرازى من الممارسين ذوى الضمائر النقية وقد سار على خطى أبقراط". (١٧١)

وقيل أنها (أى رسالة الجدرى والحصبة) وقد نقلت الى اللاتينية وطبعت حوالى ٤٠ مرة ما بين ١٤٩٨ - ١٨٦٦ (١٧٢)

ومن أهم كتبه وأشهرها، كتاب الحاوى، الذى جمع فيه ما وجده متفرقا فى ذكر الأمراض، وعلاجها فى سائر الكتب الطبية لمن سبقوه ومن عاصروه، ونسب كل شيء نقله. إلى قائله ويعتبر هذا الكتاب أكبر كتاب عربى فى الطب. وقد عرف فى أوروبا باسم (Continous) وهو يقع فى ثلاثين جزءا، فقد قرأ الرازى كل ما وصلت اليه يداه من كتب الطب، وكان يهدف الى وضع كتاب على اساس المعارف التى وصل اليها، وتجربته فى الممارسة، ولكن داءه العضال وموته حالا دون تحقيق ذلك، وجمع الكتاب بواسطة تلاميذه، وأظهره ابن العميد (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م) وزير ركن الدولة الديلمى، وقد ظهر فى اثنى عشر جزءا. وقد ترجم إلى اللاتينية عام ١٢٧٩ تحت رعاية ملك نابولى. كما طبع عدة مرات فى أوروبا باللاتينية وبقى القسم الخاص بالصيدلية، المرجع فى التداوى بعد مدة طويلة بعد عصر النهضة. (١٧٣)

كما أن هناك مؤلفات للرازى ما زالت مخطوطة فى مكتبات أوروبا والشرق، وحديثا اشترت جامعة اكسفورد مخطوطة عن

أمراض المفاصل والنقرس ووجع القولون، وقد جاء ذكرها فى كتاب القفطى. وفى الطب العام ألف الرازى من الكتب - الجامع (وهـو سبعون مقالة) والكافى، والمدخل الصغير والمدخل الكبـير الملكـى (وقد ألفه لحاكم طبرستان). والشكـوك علـى جـالينوس، واللـذة والأدوية. (١٧٤)

وقد قدم الرازى نقدا لجالينوس، ولكنه كان محاطا بـالاحترام والتقدير له، "يقول الرازى أما أغلاط جالينوس فربما كان بعضـها من الإهمال والسهو والحرص. ولكن هناك ما لا يقبل بسبب قانون تطور العلوم". كما قال بأن كتب أبقراط مختصـرة جـدا لدرجـة الغموض، وكتب جالينوس مصابة بالاسـهاب والاطنـاب ومليئـة بالتكرار. (١٧٥)

وقد تفوق الرازى فى تدوين الملاحظات السريرية على جميع من تقدموه. كما أنه أول طبيب يبتكر خيوط الجراحـة، وأول مـن صنع مراهم الزئبق، واستخدم الأفيون فى عـلاج حـالات السـعال الشديد والجافة، وفى حالات الإسهال الحاد. كما عالج مرض السل بالحليب والسكر، وعالج التهاب الصدر بالخمرة، وعالج الاستسـقاء بالاسهال وادرار البول. (١٧٦)

والرازى هو أول من وضع الطب التجريبى. ففـى مقدمـة كتابه (الخواص) يحذر من قبول أقوال الناس فى خـواص الأشيـاء دون الاعتماد على التجربة. كما يدعو الى تدوينها جميعا، لأنه قـد يكون فى إغفال إحداها إغفال لخاصة نافعة.

كما يحذر الرازى من التجربة التى يجريها صاحبــها كيفمــا اتفق أو كما يفهمها جهال الأطباء. اذ ينظرون فى الكتب فيستعملون منها العلاجات دون أن يعلموا أن الأشيـــاء الموجــودة لا تســتعمل بأعيانها، وانما هى نماذج وأمثلة لتعليم الصناعة. فالتجربة لم تكــن عنده تجربة مبتسرة ومرتجلة، بل هى تجربة موجهة ومدروسة.

كما يلح الرازى على أهمية الاستدلال بالبول والنبض علـــى العلّة، كما يوصى بالإحاطة بأحوال المريض فى معيشتــه ومزاجــه ونومه ويقظته. (١٧٧)

ومن اهم كتبه أيضا : كتاب الى من لا يحضره طبيب، كتاب برء ساعة، كتاب المرشد، كتاب الفاخر فى الطب وغيرها. (١٧٨)

ابن سينا (١٧٩)

هو الشيخ الرئيس أبو علىالحسين عبــد الله بــن ســينا (ت ٤٢٨هــ/١٠٣٧م)، ولد فى قرية (أفشنة) بالقرب من بخارى. انتقل مع أسرته إلى بخارى ودرس علوم الدين والأدب والفلسفة. ثم قــرأ فن الطب وانفتحت عليه أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة وهو لم يتجاوز السادسة عشرة. ولما بلغ الثامنة عشرة كان قــد أحــاط بعلوم زمانــه وعلا ذكره فى أرجاء العلم الاسلامى. وقــد أســماه علماء الغــرب وأطباؤه بشيخ أطباء المسلمين وأميرهم. وقد حفظت البشرية له مكانته فى الطب حتى الآن، ومع ذلك فقد واجــه تحديــا قويا لمكانته هذه من أطباء ذوى كفاءة عالية فى بلاد الشام ومصـــر والأندلس.

يذكر له ابن أبى أصيبعة العديد من الكتب فى العلوم المختلفة. ومن كتبه الطبية : القانون - الأدوية الطبية - والقولنج.(١٨٠)

وقد أورد الأب جورج قنواتى لائحة تحوى ٢٧٦ كتابا ورسالة لابن سينا، بين المنطق، والشعر، والطبيعيات، واللغة، والنفس، والطب والفلك والتصوف والرياضيات ... الخ. (١٨١)

عالج الأمير نوح بن منصور من مرضه، ورحل الى خوارزم (كركانج) ودخل على أميرها على بن مأمون، ثم رحل الى جرجان، ومنها إلى الرّى، وبعد ذلك إلى همذان ليعالج أميرها شمس الدولة، ثم إلى أصفهان ليخدم أميرها عضد الدولة. توفى على عمر يناهز السبعة والخمسين عاما.

أهم مؤلفات ابن سينا الطبية

(١) القانون فى الطب :

ويقع فى حوالى ١٥٤٠ صفحة دون عناوين أورسوم إيضاحية، وهو موسوعة طبية، يجمع معارف القدماء بعد تنقيتها من الشوائب، ويضيف اليها خبرته وخبرة أهل عصره وزمانه.

ترجم إلى اللاتينية بمعرفة جيرار الكرمونى Gerard de Cremone ثم ازداد الطلب عليه، فنقل فى القرن الخامس عشر ستة عشرة مرة. (١٨٢)

وتوجد طبعة جيدة له فى مصر الى جانب طبعة روما التى صدرت عام ١٥٩٣م وتوجد ترجمة أخرى صدرت فى البندقية عام ١٥٤٤م. (١٨٣)

ومن الجدير بالذكر أنه طبع لأول مـــرة عـــام ١٤٨٦ فـــى البندقية ثم فى نابولى ١٤٩٠، ١٤٩١، وفـــى رومـــا عـــام ١٩٥٣ بالمطبعة الحجرية. (١٨٤)

علق عليه وشرحه ابن النفيس، وابن زهر، ونقله موسى بـــن ميمون الى العبرية.

وينقسم الكتاب الى خمسة فنون : (١٨٥)

•**الأول** : ويتناول العناصر والأمزجة، والأرواح والتشريـــح، والعظام والعضلات، والأعصاب، والشرايين، والأوردة، والأمراض، والصحة، والوقاية والعلاج.

•**الثانى** : ويبحث فى الأدوية المفردة مرتبة حسب الحـــروف الهجائية.

•**الثالث** : وفيه أمراض الجسم، والتشريح والدماغ، والعيـــن، والأنف، والأذن، واللسان، والفـــم والأســـنان، والصـــدر، والكبـــد، والطحال، والرئة ..

•**الرابع** : ويدور حول الأورام والكسور والجروح والحروق، والسموم، وأمراض الجلد والدهان.

•**الخامس** : الأدوية المركبة والمفردة والعلاجات.

ولكتاب القانون شروح كثيرة منها (شرح القانون) لعلى بـــن حزم القرشى (ت ٦٨٧هـــ/١٢٨٨م). وقد بقيـــت جامعـــة لوفـــان البلجيكية تدرس (القانون) حتى منتصف القرن الثامن عشر.

وقد كتب القانون فى الأصل باللغة العربية، الا أنه ترجم الى اللغة الفارسية والتركية، ثم الى لغة الأوردو. وترجع أهمية كتـــاب

القانون الى ما ورد فيه من تقسيمات تنسجم مع ما جاء فـــى الكتـــب الحديثة فى الطب، والتى تأثرت بمنهج ابن سينا بلا شك. (١٨٦)

٢ ــ *الأرجوزة فى الطب*

وهى قصيدة تقع فى ألف وثلاثمائة وأربعة عشر بيتا اختصر بها كتابه الشهير (السابق ذكره) القانون فى الطب.

ومطلع القصيدة :

الطب حفظ صحة، برء مرض

من سبب فى بدن، منذ عرض

وقد طبعت الأرجوزة فـــى بـــاريس عـــام ١٩٥٢ بـــاللغتين العربية، والفرنسية. وقد حققها د. جابر جابى، والشيخ عبد القـــادر نور الدين. (١٨٧)

هذا ومن مؤلفاته الهامة بعد القانون رســـالته فـــى الأدويـــة القلبية، وتوجد منها بضع نسخ خطية جيدة فى المتحف البريطـــانى، وهى لا تزال مخطوطة حتى الآن (١٨٨). كمـــا ذكـــرت بعـــض المصادر أنها توجد فى مكتبة نور عثمانية برقم ٣٤٥٦، وفى ليـــدن رقم ١٣٣٠ (١٨٩).

هذا ولمعرفة أهمية ابن سينا فى تاريخ الطب، ومدى ابتكاره فيه ينبغى مقارنته بأحد أعمدة الطب القدماء بجالينوس مثلا.

يقول كامتون فى كتابه "تاريخ الطب" : (١٩٠)

ما على الانسان الا أن يقرأ جالينوس ثم ينتقل الى ابن سينا، لـــيرى الفارق بينهما. فالأول غامض، والثانى واضح كل الوضـــوح. وان التنسيق والمنهج المنظم سائدان فى كتابات ابن سينا.

وقد كان لابن سينا دستور سهل واضح فى فن العلاج لم يفقد شيئا من قيمته حتى اليوم، ولم يزده تقدم الطب الا رسوخا. وقد أجمل ابن سينا هذا الدستور فى العبارة التالية :

"اذا أمكن للعليل التدبير بأسهل الوجوه فلا يعدل الى أصعبها، ويتدرج من الأضعف الى الأقوى، ولا يُقم فى المعالجة على دواء واحد فتألفه الطبيعة ويقل انفعالها عنه، ولا يُدم على الغلط، ولا يهرب عن الصواب، وحيث أمكن التدبير بالأغذية، فلا يعدل إلى الأدوية" (١٩١)

وقد أوضح ابن سينا الطبيعة المعدية لبعض الأمراض، ومخاطر انتشار المرض بواسطة التراب والماء. وينصح ابن سينا اختبار العقاقير الجديدة بتجريبها على الحيوانات والبشر، كما نصح الجراحين بعلاج السرطان فى بدايته وذلك بالتأكد من استئصال كل الأنسجة المريضة. وأشار أيضا إلى العلاقة الوطيدة بين العواطف والحالة الجسدية. وبما أنه كان منظرا موسيقيا بارعا فقد كان يشعر بأن الموسيقى ذات تأثير جسدى ونفسى محدد على المرضى.

ومن بين الاضطرابات السيكولوجية العديدة التى ذكرها ابن سينا، كان واحدا منها ينطوى على أهمية فريدة. وقد وصفت أعراضها وهى : الحمى، وهزال الجسم، وشكاوى مزمنة مختلفة، فما هو هذا المرض؟ انه مرض العشق الذى كان له عند الطبيب المبدع علاج بسيط : هو الجميع بين المكابد وحبيبته. (١٩٢)

ولقد أبدع ابن سينا فى وصف أعضاء الجسم، وأمراضها وآفاتها، وقد وصف وظائفها بدقة. ووصف القرحة الدرنية والقولنج

الكبدى، والكلوى، وذات الجنب، وأنواع الحمى المختلفة وفرق بينها جميعا، كما درس شلل الوجه. وفرق فيها بين حالتين : الحالة الأولى الناشئة عن سبب موضعى، والثانية ناشئة عن سبب مركزى فى المخ.

وقد اهتم ابن سينا كثيرا بالعوامل النفسية التى تؤثر فى الانسان، وكيف يؤثر ذلك فى النبض. كما أن له دراسات مستفيضة فى أنواع البول والأحوال التى تؤثر فى لونه ومقداره وكثافته، والرواسب التى تتخلف عنه، والشروط التى لابد من توافرها للاستدلال به صحة المريض.

وهكذا نجد ابن سينا طبيبا مبدعا، فقد أضاف الكثير الى علم الطب، وشهد له الغرب بذلك، فقد كانت كتبه تدرس بجامعاتها حتى القرن الثامن عشر.

التشخيص والعلاج عند العرب

لقد اهتم العرب بتشخيص الأمراض وعلاجها اهتماما كبيرا، فنجد الرازى يذكر فى كتابه "الحاوى" أمثلة دقيقة عما يجب اتباعه فى تشخيص المرض، من قياس للنبض ومراقبة لدرجة الحرارة، والرعشة واحتقان الوجه، والعينين والتنفس والأظافر .. الخ. كما استدل الأطباء المسلمون بالبول، واشترطوا أن يؤخذ البول من المريض بعد استيقاظه مباشرة. كذلك اهتموا بحركة القلب، من سرعة أو بطء. كما ألفوا الكتب والرسائل فى الاستدلال بالدم على أنواع الحميات وغيرها من الأمراض. كما عرفوا كيفية الوقاية من

الأمراض المعدية. كما استخدموا التدخين لتطهير الهواء من الأوبئة المنشرة. (١٩٣)

وقد اهتم ابن سينا أيضا بالبول، ومـدى صفائـه ورائحتـه، ورغوته، كما أوضح واجب الطبيب تجاه المريض فى المستشفى من حيث مراقبة المريض، وتدوين الملاحظات الدائمة والطارئة علـى بيانات تعلق على سرير المريض. وقد استخدم كلمـة الأعـراض **Symptoms** لأول مرة. (١٩٤)

وقد شرح الأطباء العرب والمسـلمون (نظريـة الأخـلاط) المأخوذة عـن أبقراط وجالينوس شرحا دقيقا واضحا، واتفقوا مـع التعاليم اليونانية القائلة بأن حالة الصحة تتوقف على هذه الأخـلاط وتجانسها، وأن عدد الأخلاط أربعة كعدد العناصر وهى : الصفراء، والدم، والبلغم، والسوداء. (١٩٥)

وتتوقف حيوية جميع أجسام الحيوان والإنسـان علـى هـذه الأخلاط، فهى أساس نشاطها، وهى التى تكون مزاج الفرد. وأهـم العوامـل التى تعمل على الاخلال بتوازن جسم الانسان هى : امـا تناول طعام رديء أو نتيجة الإجهاد العاطفى.

وقد استطاع الأطباء المسلمون التعـرف علـى الأمـراض وأسبابها وأعراضها بموجب هذه النظرية، ورأوا أن الجسم امـا أن يكون بحالة الصحـة أو حـالـة المرض أو حالـة انتقاليـة بيـن الصحة والمرض. كما تم تقسيم الأمراض الى ثلاثة أنواع :

أمراض الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وأمراض الأعضـاء الآلية، وأمراض تفرق الاتصال وتحدث فى العظام والعضلات.

ورأوا أن أسباب الأمراض ثلاثة

(١) الأسباب الظاهرة.

(٢) الأسباب الباطنة.

(٣) الأسباب المرافقة.

كما أن الأعراض ثلاثة أيضا : أعراض الصحة، وأعراض المـــرض، وأعراض الحالة الانتقالية (أعراض النقاهـــة)، وهنـــاك أعراض عارضة كالاستفزاع عند ابتداء الحميات (١٩٦)

علاج الأمراض

العلاج اما أن يكون بـــالدواء، أو بـــالغذاء، أو بالجراحـــة. ومفعول الأدوية والأغذية موقوف على طبيعتها من حيث الســـخونة والبرودة والليـــونة واليبوسة. كما أن للأدوية المفردة أهمية كبرى، ويتوقف نوع الدواء وحالته، على نوع الداء وطبيعته.

وقد فرق الرازى - فى الحاوى - بيـــن ذات الجنـــب وذات الرئة، وعالج التهاب اللوزتين، واستعمل المخدرات لعلاج الأمراض العصبية.

وابن سينا هو أول من وصف وشخـــص الجمـــرة الخبيثـــة وسماها : الحمى الفارسية، وعالج داء اليرقان، وتحدث بـــالتفصيل عن الدودة المستـــديرة المسماة الانكلستوما، وأثبت أن عدوى الســـل تنتقل عن طريق اللمس، والماء والتراب، وأن أعراضه تظهر مـــن لون الجلد والأظافر. (١٩٧)

وقد أكد الرازى على أن الطبيب البارع هو الـــذى لا يمنـــع مريضه من طعام اذا اشتهاه، حتى وان كان ذلـــك الطعـــام يضـــر بالمريض. ولكنه – مع ذلك – اهتم بدور الطبيب فى التوفيق بين ما يرغبه المريض من طعام، وبين ما يحتاجه كمريض.

كما أن العرب اهتموا بالأدوية، وكانوا لا يعطونـــها الا فـــى الضرورة القصوى، نظرا لمالها مـــن آثـــار جانبيـــة، وقـــد أخـــذ المعاصرون هـــذه الفكرة عن العرب وهى من أهم ما يمكن اتباعـــه فى الطب حتى الآن.

ومن الجدير بالذكر أن العرب قد عالجوا تشويهات الفم والفك والمفاصل والعظام، كما أظهر الزهراوى عبقرية فى معالجة النزيف الدمـــوى، وقطع الشرايين، كما نصح ابن سينا باستعمال الأطعمـــة النباتية للتخلص من قبض المعدة. (١٩٨)

كما اهتم العرب بطب العيون، ووصفوا أجزاء العين، وعلاج أمراضها معتمدين على نظريات جالينوس، اذ يقسم جالينوس العيـــن الى سبع طبقات هى (١٩٩)

١ ــ الملتحمة	Conjonctive
٢ ــ القرنية	Cornee
٣ ــ الصلبة	Selerotique
٤ ــ المشيمية	Choroide
٥ ــ العنبية	Uvea
٦ ــ العنكبوت	Zonule de Zinn
٧ ــ الشبكية	Retine

بينما أكد ابن النفيس، وعلى بن عيسى، والطب الحديـث، أن طبقات العين هى :

الصلبة، والمشيمة، والشبكية. (٢٠٠)

أما الرطوبات فهى : الزجاجية، والجسم البلوري، والخلـــط المائى. وقد حدد العرب دور كل منها، والعضلات التـــى تمسـك وتحرك العين فى كافة الاتجاهات.

كما صحح ابن النفيس وابن الهيثم نظريــة جـالينوس فــى الرؤية.

وقد اهتم أبو بكر الرازى بـالعلاج النفســى، وكتــب عنــه باستفاضة فى الحاوى، وأكد على وجوب معرفــة بيئــة المريــض العائلية والاجتماعية، والمادية، فقد يعود المرض الى أساس نفســى، لا جسمى. وقد اهتم كل من ابن سينا وعلى بن عيســى بـالجوانب النفسية للمريض.

بالإضافة الى ما سبق فقد برع العرب فى التشريـــح وطــب الأسنان، والنساء والأطفال، وغيرها.

المستشفيات (البيمارستانات)

البيمارستان لفظة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) وتعنـــى المريض أو العليل أو المصاب، و(ستان) وتعنـــى مكـــان أو دار أو موضع. فيكون معناها اذن موضع المرض أو دار المرض. (٢٠١) وكانت البيمارستانات عبارة عن مستشفيات عامة تعالج فيـــها كافـــة الأمراض والعلل، باطنية وجراحية وعقلية وغيرها.

وأول بيمارستان فى عهد الدولة العربية، أنشأه الخليفة الوليد ابن عبد الملك فى الشام. وقد كانت البيمارستانات فى أول أمرها بسيطة، ثم توسعت وأدخلت عليها الإضافات الكثيرة على مر السنين. وقد وصف (المقريزى) خمس مستشفيات فى القاهرة، وأقدمها كان قد بناه أحمد بن طولون سنة ٨٧٣م، وأهم هذه المستشفيات هو الذى أسسه قلاوون سنة ١٢٨٤م وسمى (المارستان المنصورى الكبير). (٢٠٢)

وكلمة المارستان هى تخفيف لكلمة البيمارستان الفارسية – كما سبق وأوضحناها – وكان عدد الأطباء يتوقف على سعة المستشفى (البيمارستان). فكان المستشفى العضدى – وهو أكبر المستشفيات الاسلامية – يوجد به أربعة وعشرون طبيبا هذا الى جانب الخدم، والمضمدين، والفراشين، والطباخين، وغيرهم .. وكان رئيس المستشفى فى بعض الأحيان بدرجة وزير، يعين من قبل الخليفة مباشرة أو الأمير الحاكم، وله مطلق التصرف فيما يتعلق بالمستشفى.

وكانت توجد أنواع مختلفة من المستشفيات : منها المستشفيات الثابتة، والمجاذم، ودور المجانين، والمستشفيات المنقولة، مستشفيات الجيش، مستشفيات السبيل (بيمارستان السبيل) التى ترافق القوافل، وأخرى للإسعاف .. وغيرها. (٢٠٣)

وهكذا نجد أن العرب كانوا ورثة معارف طبية انتقلت اليهم من حضارات سابقة، فدرسوا هذه المعارف، وشرحوها وأضافوا

اليها، واهتموا بجانبها النظرى والعملى، ثم نقلوا ذلك إلى غيرهم من الشعوب، أو نقلت عنهم، وكان ما قدموه للإنسانية أساساً جديدا لتطورات متلاحقة فى الطب.

وقد كان فضل العرب، بإيجاز، يتلخص فى :

(١) ــ فهمهم لما حصلوا عليه من معلومات، وهضمها، وحفظها من الضياع والتبعثر، وكانت قد وصلتهم مخطوطات مبعثرة ومنظموها، وشرحوها، وقدموها فى صورة علمية رزينة.

(٢) ــ لم يتوقف دور العرب على النقل، والحفظ، بل امتد الى الإبداع والإضافة والتطوير، وذلك فى المجالين العلمى والنظرى، ويكفى لمعرفة ما قدمه العرب فى الطب المقارنة بين ما ترجمه حنين بن اسحق، وثابت ابن قرة، وبين ما قدمه الرازى وابن سينا، فالكتابات الأولى تمثل النقل والترجمة، أى التراث اليونانى، أما ابن سينا والرازى فيمثلان قمة الإبداع العربى فى الطب.

ثامناً : الصيدلة

الصيدلة هى علم الأدوية. وهذه الكلمة من أصل هندى. فاللفظ (صيدلانى) و(صيدنانى) معرب من لفظ جند نانى)، و(جندن) أو (جندل) بالهندية وهو (الصندل)، والصندل من العطور المعروفة عند العرب. ويستعمله أهل الهند فى العلاج كثيرا. وبذلك فان كلمة (جندلانى) وتحريفها (صيدلانى) تطلق على مزاول العطر. ثم أطلقت بعد ذلك مزاول الأدوية وعلى كل شخص يجمع الأعشاب النافعة للتطبيب. (٢٠٤)

ويطلق على هذا العلم أيضا (أقراباذين) أو (أقرابازين) التى يقول عنها حاجى خليفة فى كتابه (كشف الظنون) : "قرابازين هو لفظ يونانى معناه التركيب، أى تركيب الأدوية المفردة وقوانينها" (٢٠٥). "أى أن الكلمة أصلها يونانى ككلمة (فارماكون) اليونانية التى تقابل كلمة عقار. ولذلك نجد الفارماكوبيا Pharmacopoeia هى علم الأقرابازين أو دستور الأدوية، ومنها كلمة فارماكولوجى Pharmacologie بالفرنسية، وهى فى المصطلح الفنى الحديث علم طبائع الأدوية وخواصها، أى فعل الأدوية وتأثيرها فى أعضاء الجسم. ولكن الكلمة أخذت عند العرب مدلولا دقيقا فأصبحت تعنى الأدوية المركبة". (٢٠٦)

ويرجع تاريخ علم الأدوية والعقاقير الى عصـــور ســحيقة، بدأت بالمعرفة البدائية، فقد عالج الانســان نفســه مســتخدما أوراق الشجر، وأغصان النبات وثمارها وجذورها، وغيرها.

ومع الحضارة والتقدم أصبحت الصيدلة علما، واســتخدمت المعادن والأعشاب والسموم والعطور وغيرها فيــها. وقــد ورث العرب الصيدلة عن اليونان، وعن مدرســة الاســكندرية، والــهند وفارس.

وقد نقل المترجمون إلى العربية المصنفات الطبيــة القديمــة التى أقــام عليها العرب صرح الصيدلــة، فنقلــوا كتــب أبقــراط، وجالينوس، التى يتناول فيها الأدوية وأجناسها وتركيبها وأنواعـــها، والأدهان، والحبوب وفوائدها، والنبــات، وعنــاصره، وعصاراتــه وفوائده، ومضاره، والحشائش الباردة والحارة، ثم الأدوية المعدنيــة والنباتية والحيوانية. (٢٠٧)

ومن الكتب التى ترجمت عن الهندية كتاب "بدان" وفيه ذكــر لأربعمــائة وأربعين دواء. وكتاب (نوفشل) وفيه ذكر مائــة دواء، ومائة داء. (٢٠٨)

ويعد (ديوسقوريدس) – الذى تُرجم كتابه "المادة الطبية" الى العربية فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى – أهم مصـــدر للصيدلة الاسلامية.وقد ترجمه اصطفين ابن باســيل، وحنيــن ابــن اسحق بعنوان : (كتاب الحشائش هيولى الطب). وقد ظهر أثره عند الطبرى فى فردوس الحكمة. (٢٠٩)

لم يتوقف العرب عند حدود النقل والترجمة، بل أضافوا الى مصنفات القدماء، مشاهداتهم واختباراتهم الشخصيـــة. وقـد اتبـع العرب المنهج العلمى مؤكدين على التجربة والملاحظة. وقد رفض الرازى الآراء القائمة على مشاهدة واحدة.

وقد كانت الصيدلة مرتبطة بالطب بادىء الأمر، ولكن لمـــا كثرت العقاقير، وازدادت الأمراض، اقتضى الأمر فصل الطب عن الصيدلة.

وقد تم ذلك فى أواخر القرن الثامن الميـــلادى. وأول مــن أطلق عليه لقب صيدلانى هو : أبو قريش عيسى الصيدلانى (٢١٠)

وقد افتتح العرب فى أواخر ذلــك القــرن (القــرن الثــامن الميلادى) الصيدليات، وذلك فى زمن المنصور، كما ألحقـــو بكـل مستشفى (بيمارستان) صيدلية خاصة به، كما أنشأوا صيدليات خاصة بميادين القتـــال كانت تصحب البيمارستانات المتنقلة، وجعلوا علـــى الصيـــادلة نقيبا يسمى رئيس العشّابين، وأخضعوا هــــذه الصناعــة لنظام الحسبة ليحولوا دون غش الدواء. ومنذ عصر المأمون فـــى القرن التاسع انتظم أمر الصيدليات واتسع نطاقها وعم نفعها. (٢١١)

وقد كان ابن ماسويه (ت ٢٤٣هــــ) أول مــن ألــف فــى الصيدلة، ثم وضع سابور ابن سهل (ت ٢٥٥هــ) كتاب (الأقراباذين الكبير) فى ١٧ فصلا فاعتمده العرب دليلا فى هذا العلم.

•الأدوية والعقاقير

تصنع الأدوية العربية، فى معظم الأحوال، من أصل نبـــاتى وقد حصل عليها الصيادلة من الحشائش الطبية المزروعـــة حــول

المستشفيات. وفى الحدائق العامة، كما جلبوا الكثير منها من أنحاء العالم المختلفة.

كما استخدم العرب المعادن، والمواد العضوية أيضا فى صناعة الأدوية ويوجد نوعان من الأدوية من حيث المنشأ :

- أدوية مفردة، وهى ذات منشأ واحد.
- أدوية مركبة، وهى تتألف من مجموعة أدوية ممزوجة بنسب مختلفة.

والأدوية المفردة، نباتية أو حيوانية أو معدنية كان الصيدلانيون يبيعونها مباشرة للناس، أو بناء على وصف الطبيب. وقد قال دواد الانطاكى عن الأدوية المركبة هى ما كان اثنين أو أكثر، وهى تستعمل عندما يعجز الدواء المفرد عن التأثير فيها، ويدعو الى التقليل منها. فقد قال : "فلا يعدل الى مفردين اذا أمكن العلاج بواحد، ولا الى ثلاثة اذا أمكن باثنين وهكذا"(٢١٢).

وقد حدد الانطاكى طرق تحضير الأدوية على النحو الآتى :

(١) التشخيص والتحميص وذلك وفقا لنوع المواد فمنها ما يحتاج الى تسخين بسيط، ومنها ما يجفف بالشمس، ومنها ما يحمص فى أوان خزفية.

(٢) عملية السحق، ومن المواد ما يسحق بالهاون، ومنها ما يسحقه الصيدلانى بطريقة خاصة.

(٣) التنظيف والتصفية وفيها يتم تخليص المادة من الأتربة والمواد العالقة به.

(٤) التجفيف وتستخدم لإزالة الرطوبة العالقة بها بتعريضها للنار أو للشمس لفترة محدودة.

(٥) التذويب، ويتم إذابة مادة بأخرى سواء بالتسخين أو بطريقة أخرى.

(٦) التحليل والتقطير، ويستخدم لتحضير الدواء أو الاستدلال عليه.

(٧) التحضير الكيماوى، وتستخدم بقصد الحصول على مركبات دوائية كيماوية مثل خلات الرصاص، وخلات النحاس.

(٨) الحرق : تستخدم للحصول على المادة الطبية مثل حرق (الأنتيمون) فينتج عنه أكسيد الأنتيمون.

(٩) الطبخ لتحضير الأدوية الكثيفة القوام، وذلك بالتحكم فى درجة الحرارة، ويجب مراعاة ألا يصيب الدواء تغيير أو فساد.

(١٠) التحلية وهى إضافة مواد تجعل مذاق الدواء مقبولا، كأن يضاف العسل أو السكر أو محليات أخرى. (٢١٣)

وقد استطاع العرب التخفيف من وطأة بعض العقاقير التى كان يصفها اليونانيون بأن مزجوها بعصير الليمون والبرتقال وأضافوا اليها القرنفل وغيره. وقد قدم ابن سينا أدوية (جالينوس) المعقدة فى إطار سهل غير مضر، وذكر فى كتابه القانون ماينيف على سبعمائة وستين عقارا، دخلت كلها فى علم النبات وعلم الصيدلة الأوروبيين. وظل الكثير منها بأسمائها العربية فى اللغات الأجنبية كالعنبر (Ambra) والزعفران (Safran) والكافور (Kampfer) والتمر هندى TamarInde والحشيش(Haschisch) والمسك (Muskat) والصندل (Samdelhoir) وغيرها. (٢١٤)

كما استعمل العرب السموم التى تؤخذ مـــن أصـــول نباتيـــة وحيوانية ومعدنية فى العلاج والمداواة. وكان أشهر من اســـتخدمها هرمس الثالث ثم انتقلت إلى العربية عن طريق جالينوس. وان كان أبقراط قد حرم تحضيرها فى قسمه اذ يقول :

"وأقسم ألا أعطى اذا طلب منى – أحدهم، دواء قـــاتلا، ولا أشير أيضا بمثل هذه المشورة" (٢١٥). وقد حافظ حنين بن اسحق على القسم ولم يقدم للمتوكل كل ما أراده من ســـم ليتخلـص مـــن أعدائه. (٢١٦)

ومن أشهر السموم النباتية الفطور السامة والأفيون (خلاصة الخشخاش)، ومن أشهر السموم المعدنية كبريت الزرنيخ، وكـــبريت الزئبق والجبس Gypse . كما استطاع العرب تحضـــير الترياـــق المقاوم للسموم من عقاقير كثيرة.

وهكذا استطاع العرب إضافة الكثير الـــى علـم الصيدلـــة، باكتشاف الأدوية والعقاقير المختلفة، وإضافة وظائف جديدة لها.

•أشهر الصيادلة العرب

ذكرت المراجع عددا كبيرا من أشهر الصيادلة العرب، وممن كان لهم الفضل فى تقدم علم الصيدلة، بما قدموا من إضافات، ومـــا ابتدعوا من طرق لتحضير الأدوية. ومن الصيادلة من كان أيضـــا مبرزاً فى جوانب أخرى من جوانب العلم والفكر، مثـــل الـــرازى، وابن سينا، والبيرونى وغيرهم.

ونحن هنا سوف نشير فى ايجاز الى بعض مشاهير الصيدلة مع إبراز أهم ما قدموه لعلم الصيدلة من انجازات.

أول هؤلاء الصيادلة هو **"سابور بن سهل"** (ت ٢٥٥هـ) له كتاب يقع فى سبعة عشر بابا. هو **"الأقراباذين الكبير"** وكان هو المصدر الرئيسى عند الصيادلة والمستشفيات. كما أن له كتابا آخر هو كتاب : الأطعمة. (٢١٧)

وضياء الدين البيطار (١١٩٧-١٢٤٨م). من مالقة من الأندلس تخصص فى الأعشاب والنباتات، سافر الى اليونان والمغرب وشمال أفريقيا ومصر وسوريا وآسيا الصغرى، والتقى خلال تنقله بكثير من المختصين بالنبات والأعشاب، وعين رئيسا للعشّابين فى الديار المصرية فى عهد الأيوبيين. ويوجد له مخطوط بعنوان : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، وموجود بمكتبة جامعة الاسكندرية. وقد أشار فيه الى أنه درس مائة وخمسين كتابا من مؤلفات السابقين له فى هذا المجال مما أكسبه خبرة واسعة فى مجال الأدوية النباتية. (٢١٨)

أما **ابن جلجل الأندلسى** فقد اعتنى بالأدوية المفردة، فسر كتاب "ديسقوريدس" وأوضح مكنونه وفسر من عقاقيره ما كان مجهولا. ومن أشهر كتبه : تفسير الأدوية المفردة من كتاب "ديسقوريدس". والأدوية التى لم يذكرها ديسقوريدس. (٢١٩)

وقد **ألف داود الانطاكى** كتابا يعتبر من اهم كتب الأدوية، وهو (تذكرة الألباب والجامع لعجب العجاب)، تناول فيه أنواعا عديدة من الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية مرتبة حسب حروف المعجم ويتفق داود النطاكى مع ابن البيطار المتخصص فى الأدوية النباتية المفردة فى حصر الأجزاء التسعة من النبات التى تفيد فى

صناعة الدواء، وهى : الثمر، والورق، والليف، والصمـــغ والبـــذر، والقشرة، والأصـــول، والعصارات، والحب، كما اتفق مع غيره من الصيادلة على ذكر أوقـــات الحصـــول علـــى الأجـــزاء المذكـــورة ومواسمها، وادخارها وخصائصـــها ان كـــانت قويـــة أو ضعيفـــة، والشروط الصحيحة للحصول على الأدوية الناجحة.

ويذكر الانطاكى قواعد عامة فى عمل بعض الأدوية مفصلة، وذلك بالنظر إلى مركبات الأدويـــة، إمـــا معجونـــة أو أقراصـــا أو مطبوخة، أو غير ذلك. (٢٢٠)

كما اشتهر أيضا **ابن التلميذ** (ت ٥٦٠هـ) وكتابه الشـــهير : الأقراباذين وهو ثلاثة عشر بابا، **والبخارى الطبرى** معلم الرازى فى صناعة الطب ومن أعماله : فردوس الحكمـــة، وتدبـــير الأغذيـــة، وكذلك **ابن الجزار** فى كتبه : الأدوية المفردة، الأدويـــــة المركبـــة، الزكام أسبابه وعلاجه، وابن وافد الأندلسى، الغـــافقى، والـــهراوى، وغيرهم. (٢٢١)

وهكذا لقد اشتغل العرب بالصيدلة وأضافوا الى آثار القدماء مادة غزيرة أفاد منها الغرب والعرب على السواء. وقد أدخلوا فـــى اللغات الأوربية جملة من المفـــردات الطبيـــة أحصاهـــا "لكلـــيرك Leclerc" "فـــاذا هى تزيد على الثمـــانين، كـــالصندل، والروائـــد، والمسك والمر، والتمـــر هنـــدى واليانســـون والعنـــبر ... وكذلـــك اخترعوا الأشربة والكحول والمستحلبـــات والخلاصات العطريـــــة، وتوصلوا الى عمل الترياق المقاوم للسموم، وحسنوا فـــى تركيـــب بعض الأدوية التى تلقوها عن اليونان (٢٢٢) وقدموا الكثـــير مـــن

الاضافات، واستخدموا المنهج العلمى، والطرق التجريبية، وكـــــانوا أكثر تدقيقا وحيطة فى استخدام الأدوية. وقد انتقلت آثــــارهم الـــى أوروبا، وكانت أساسا قامت عليه نهضتها فى الصيدلة.

هوامش الفصل الثالث

العلوم عند العرب

١ ــ سزكين، فؤاد : محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والاسلامية، سلسلة نصوص ودراسات - مجـ (١) - منشورات تاريخ العلوم العربية والاسلامية - فرانكفورت - ١٩٨٤ - ص ٧١.

٢ ــ تاتون، رنيه : تاريخ العلوم العام - العلم القديم والوسيط - مصدر سابق - ص ٤٦٧.

٣ ــ المصدر السابق - ص ٤٦٧.

٤ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق ١٣٢.

أيضا السكاف& مطرجى : مصدر سابق ص ١١٩.

٥ ــ راجع القفطى : ص ١٧٥ - ١٧٧ وأيضا

The legacy of Islam , p.p. 379 &384-386

السكاف& مطرجى : مصدر سابق - ص ٣٦٠.

مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ٣٦٠.

٦ ــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ٣٦٤

٧ ــ هونكه، زيغريد : شمس العرب تشرق على الغرب مصدر سابق ــ ص ص ٧٣،٧٢ ٧٢، ٧٣

٨ ــ نفس المصدر ص ٧٣

٩ ــ نفس المصدر ص ٧٨

١٠ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق ص ١٣٣ - ٣٦

١١ ــ راجع : فروخ، عمر : مصدر سابق ص ص ١٣٣ - ١٣٦

١٢ ــ نفس المصدر نفس الصفحات.

وأيضا : تاتون، رنيه : مصدر سابق ص ٤٧٠

١٣ ــ راجع : تاتون، رنيه : مصدر سابق ص ص ٤٦٩، ٤٧٠

١٤ ــ المصدر السابق – ص ص ٤٧٠، ٤٧١ وأيضا : سيزكين : مصدر سابق ٧٥، وأيضا طحطاح، عبد الفتاح : اسهام علماء الاسلام فى الرياضيات – مجلة عالم الفكر – مجـ ١١ – ع – ١٩٨٠ – الكويت وزارة الاعلام – ص ٢٩٠

١٥ ــ فيرنيه، جوان : الرياضيات والفلك والبصريات – ضمن تراث الاسلام – القسم الثالث تصنيف شافت وبوزورث – ترجمة حسين، مؤنس، احسان العمد – مراجعة فؤاد زكريا – ص ص ١٧٥، ١٧٦

١٦ ــ المصدر السابق ص ص ١٧٤ – ١٧٦

١٧ ــ راجع : هونكه زيغزيد : شمس العرب تشرق على الغرب مصدر سابق – ص ٧٥

وأيضا السكاف& مطرجى : مصدر سابق ص ص ١٢٢، ١٢٣ الهامش

١٨ ــ فيرنيه، جوان : الرياضيات والفلك والبصريات – ضمن : تراث الاسلام – تصنيف شافن وبوزورث – جـ٢ – ترجمة حسين مؤنس، احسان العمد – مراجعة فؤاد زكريا – سلسلة عالم المعرفة – ط١ – الكويت ١٩٨٨ – ص ص ١٧٠، ١٧١

١٩ ــ المصدر السابق ص ص ١٧١، ١٧٢

وأيضا الفهرست ص ٢١٨، والاعلام جـ٣ ص ٢٣٠، فروخ، عمر : مصدر سابق ص ١٤٢

٢٠ ــ المصدر السابق – ص ١٧٢

٢١ ـ راجع عالم الفكر، مجـ ١١، العدد الأول - ١٩٨٠ - ص ص ٢٩٧ - ٣٠٣، والمورد : مقال عن مساهمة العرب والمسلمين فى تطوير علم الجـبر - مجلد ٦ - عام ١٩٩٧ ص ص ١٧٤ - ١٨٣

أيضا : السكاف& مطرجى : مصدر سابق - ص ص ١٢٤، ١٢٥

٢٢ ـ السكاف، مطرجى : مصدر سابق - ص ١٢٦

٢٣ ـ نفس المصدر ص ص ١٢٨، ١٢٩

٢٤ ـ فيرنيه، جوان : مصدر سابق - ص ص ١٧٣، ١٧٤

٢٥ ـ سزكين، فؤاد : مصدر سابق - ص ٧٥

٢٦ ـ القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص ص ٤٨، ١٧٠

٢٧ ـ فروخ، عمر : مصدر سابق ص ص ١٤٦، ١٤٧

٢٨ ـ فيرنيه، جوان : مصدر سـابق ص ص ١٧٨، ١٧٩. وقـاعدة اهـرن تحكمها المعادلة

م = $\sqrt{(ح - أ)(ح - ب)(ح - جـ)}$ على اعتبار أن م = المسـاحة ح = $\frac{1}{2}$ المحيط، أ، ب، جـ هى أضلاع المثلث - راجع الـهامش فـى المصدر السابق ص ١٧٩.

٢٩ ـ نفس المصدر - ص ١٧٩

٣٠ ـ مجلة عالم الفكر - مجـ١١ ع ١ سنة ١٩٨٠ - ص ٢٩٣

راجع أيضا / السكاف& مطرجى : مصدر سابق - ص ص ١٣٠، ١٣١

أيضا : فروخ، عمر : مصدر سابق ص ص ١٤٨ - ١٥٣

٣١ ـ فروخ، عمر : مصدر سابق ص ١٥٤

٣٢ - فيرنيه، جوان : مصدر سابق - ١٨١

٣٣ - مرحبا - مصدر سابق ٣٨٣

(34) Hell, Joseph : The Arab Civiliszation, lahore, 1943, p.p. 95& 96

عن : الجميلى، رشيد حميد خسن : حركة الترجمة فى المشرق الاسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة - الكتاب والتوزيع والاعـــلان والمطـــابع - طرابلس ١٩٨٢ - ص ٣٨٦

وأيضا المصدر السابق - ص ٣٨٤

٣٥ ــ السكاف& مطرجى : مصدر سابق - ص ١٣١

٣٦ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق ص ص ١٥٧، ١٥٨

٣٧ ــ طوقان، قدرى : تراث العرب العلمى فـــى الرياضيـــات والفلـــك - دار الشرق - ط٣ - بيروت - ١٩٦٣ - ص ١٠٦

٣٨ ــ شركين، فؤاد : مصدر سابق - ص ٧٥

٣٩ ــ نفس المصدر ص ٧٦

٤٠ ــ الجميلى، رشيد حميد حسن : مصدر سابق - ص ٣٨٧

٤١ ــ السكاف & مطرجى : مصدر سابق ص ١٣٤

٤٢ ــ نفس المصـــــدر ص ١٣٤، ١٣٥، فـــروخ : ص ص ١٥٩، ١٦٠ ابـــن خلدون : ص ص ٤٧٩ - ٤٨٧، ص ١١١ ، ص ١١٢

٤٣ ــ ابن النديم : الفهرست : ص ٣٢٧

٤٤ ــ السكاف& مطرجى : مصدر سابق - ص ص ١٣٧، ١٣٨

٤٥ ــ ابرخس Hipparch. وذكره ابن النديم فى الفهرست فقال عنه : "له مـــن الكتب : كتاب صناعة الجبر ويعرف بالحدود. نقل هذا الكتاب، وأصلـــح أبـــو الوفا محمد بن محمد الحاسب هذا الكتاب. وله أيضا شرحه وعللــــه بـــالبراهين الهندسية، كتاب خمسة الأعداد"

٤٦ ـــ هونكه زيغريد : شمس العرب تسطع على لغرب - مصـــدر ســـابق - ١١٨وقد استخدم الغربيون أسماء النجوم العربية. ويؤكد هذا الرأى ما يقرب من ١٦٠ كلمة عربية فلكية يستعملها الغربيون فى علم الهيئة - اليـــوم - راجـــع : هونكة، زيغريد : مصدر سابق - ص ١٨٠ الحاشية رقم (٨)

٤٧ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ص ٣٩٦، ٣٩٧

٤٨ ـــ تاتون، رنيه : مصدر سابق - ص ص ٤٨٤، ٤٨٥

٤٩ ـــ راجع : طوقان، قدرى : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلـــك - مصدر سابق - ص ص ١٣٢، ١٣٤

وأيضا ابن شاكر الكبتى : فوات الوفيات - القاهرة - ١٢٩٩هـــ - حـــ٢ - ص ١٥١

٥٠ ـــ تاتون، رنيه : مصدر سابق - ص ٤٨٦

٥١ ـــ حسب البتانى طول السنة الشمسية وقد أخطأ بمقدار دقيقتين و٢٢ ثانيـــة، والسنة الشمسية هى المدة التى تقطعها الشمس حتى عودتها الـــى مكانـــها بيـــن النجوم، وطولها : ٣٦٥ يوما وست ساعات، و٩ دقائق، ٨,٩٧ ثانية - راجـــع : طوقان، قدرى : تراث العرب العلمى فى الرياضيت والفلك - مصدر ســـابق - ص ص ١١٦ - ١٣٠

٥٢ ـــ مظهر، جلال : حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العـــــالمى - مكتبـــة الخانجى - القاهرة - د. ت. ص ٣٦٥

٥٣ ـــ طوقان، قدرى : مصدر سابق - ص ص ١١٦، ١٣٠

٥٤ ـــ المصدر السابق - ص ١١٦، ١٣٠

٥٥ ـــ نفس المصدر نفس الصفحات.

٥٦ ـــ فيرنيه-جوان : مصدر سابق - ص ص ١٨٠، ١٨٩

٥٧ ــ راجع : الغزالى : تهافت الفلاسفة. وذلــك فــى رده علــى الفلاســفة، والفلاسفة الطبيعية ص ص ١٣٣، ١٤٣

٥٨ ــ السكاف& مطرجى : ص ١٥٠

٥٩ ــ عن : فروخ : مصدر سابق - ص ص ٢١٥، ٢١٦

٦٠ ــ طوقان، قدرى : تراث العرب العلمى فى الرياضيات ص ١٣٢

فروخ، عمر : مصدر سابق - ص ص ١١٠، ١١٢

وأيضا : طوقان، قدرى : العلوم عند العرب - دار اقرأ - بــيروت - د.ت. ص ٣٨

٦١ ــ راجع : فروخ، عمر : مصدر ســابق - ص ٢٢٣، طوقــان، قــدرى : تراث العرب العلمى فى الرياضيات ص١٣٢ - وأيضا : مرحبا، محمــد عبــد الرحمن : مصدر سابق - ص ٣٤٣

وأيضا : السكاف & مطرجى : مصدر سابق - ص ١٥٣

٦٢ ــ طوقان : ص ٣١٣، فتح الله، جريس : تراث الاســلام، دار الطليعــة ، بيروت - ١٩٧٢ - ص٤٩٠ السكاف& مطرجى : ص ١٥٢

٦٣ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق - ص ٢٣٠ ، طوقــان، قــدرى : تــراث العرب العلمى - مصدر سابق - ص ١٥١

٦٤ ــ طوقان، قدرى : مصدر سابق - ص ٣٥٤، وأيضا : السكاف& مطرجى : مصدر سابق - ص ١٥١

٦٥ ــ طبقات الأطباء ٢٠، ٩٤ عن فروخ، عمر : مصدر سابق - ص ٢٣١

٦٦ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق - ص ٢٣٢

٦٧ ــ فيرنيه، جوان : مصدر سابق - ص ٢٠٤

٦٨ ــ فروخ، عمر ، مصدر سابق - ص ٣٣٤

٦٩ ـ نفس المصدر ص ٣٣٣

٧٠ ـ راجع المصدر السابق ص ص ٢٣٤، ٢٣٥

٧١ ـ فيرنيه، جوان : مصدر سابق ص ص ٢٠٤، ٢٠٥

٧٢ ـ القزويني : عجائب المخلوقـــات - بـيروت ١٩٧٣ - ص ١٤٧ عــن المصدر السابق ص ٣٣٨ الهامش

٧٣ ـ فيرنيه، جوان : مصدر سابق - ص ص ٢٠٥، ٢٠٦ وهامش ص٢٠٥

٧٤ ـ السكاف، مطرجي : مصدر سابق - ص ١٥٤

٧٥ ـ خروخ، عمر : ص ٣٨١ - ٣٨٤، فرنيه، جوان : ص ص ٢٠٧، ٢٠٨ هامش المعربين.

٧٦ ـ راجع : فرنيه، جوان : مصدر سابق - ص ٢١٢

٧٧ ـ السكاف& مطرجي : مصدر سابق - ص ١٥٤

٧٨ ـ فروخ، عمر : مصدر سابق - ص ١٨٣

٧٩ ـ رايت، أ.و : الموسيقى - ضمـــن تـــراث الاســـلام تصنيــف شـــاخت وبوزورث - حـــ٢ - المجلس الوطنى للثقافة والفنون - ط٢ - الكويت ١٩٨٨ - ص ٢٢٣

٨٠ ـ نفس المصدر : ص ٢٢٤

٨١ ـ نفس المصدر : ص ٢٢٥، والهامش رقم (١) بنفس الصفحة

٨٢ ـ راجع : الفهرست ص ص ٣١٥، ٣٢٠ وأيضا الســـكاف& مطرجـــى : مصدر سابق ـ ص ١٦٧

٨٣ ـ فروخ، عمر : مصدر سابق ص ص ١٨٥، ١٨٦

٨٤ ـ نفس المصدر - ص ص ١٨٦، ١٨٧

٨٥ ـ الأصفهانى، أبو الفرج : الأغانى – طبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – التصدير (١ ـ ٣٩)

٨٦ ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ص ٤٣٨، ٤٣٩

٨٧ ـ المصدر السابق – ص ص ٤٣٩، ٤٤٠

٨٨ ـ نفس المصدر – ص ص ٤٤٠، ٤٤١

٨٩ ـ راجع : يوسف، زكريا : موسيقى ابن سينا – ضمن الكتاب الذهبى للمهرجان الألفى لذكرى ابن سينا ص ص ١٣٣ – ١٣٥، وأيضا المصدر السابق ٤٤١

٩٠ ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٤٤٢

٩١ ـ رايت، أ.و : مصدر سابق – ص ٢٢٧، ٢٢٨

٩٢ ـ يوسف، زكريا : نموذج التدوين الموسيقى : الموسيقى العربية – بغداد ١٩٥١ – ص ٩. عن مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٤٤٢

٩٣ ـ هونكه، زيغريد : مصدر سابق – ص ٤٩٣

٩٤ ـ نفس المصدر – ص ٤٩٢

٩٥ ـ نفس المصدر – ص ٤٩٣

٩٦ ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٤٥٦

٩٧ ـ هونكة، زيغريد : مصدر سابق – ص ٤٩٤

٩٨ ـ بلسنر، مارتن : العلوم والطبيعة والطب – ضمن تراث الاسلام تصنيف شاخت بوروزوت – ص ١٣٠

٩٩ ـ نفس المصدر – ص ١٣٣

١٠٠ ـ جحا، فريد : تراث العرب القديم فى ميدان النبات – الدار العربية للكتاب – طرابلس – ١٩٨٩ – ص ١٩. راجع أيضا : الحموى، ياقوت :

ارشاد الأريب الى معرفة الأديب (المشهور بمعجم الأدبــاء) - دار المــأمون - القاهرة - ١٩٣٨ - جـ٤ -ص ١٨٣

١٠١ ــ فروخ : ص ص ٢٦٥، ٢٦٦

١٠٢ ــ المصدر السابق ص ص ٢٦٧، ٢٦٨، جحا، فريد : مصدر ســابق - ص ٢٥، وأيضا : بلسنر مارتن : مصدر سابق - ص ١٣٢

١٠٣ ــ بلسنر، مارتن : مصدر سابق - ص ص ١٣٥، ١٣٧

١٠٤ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق - ص ص ٢٦٩، ٢٧٠

١٠٥ ــ طوقان، قدرى : العلوم عند العرب - مصدر سابق - ص ٣٣

١٠٦ ــ نفس المصدر - ص ٣٤

١٠٧ ــ راجع، جحا، فريد : مصدر سابق - ص ص ١١٥ - ١١٨

١٠٨ ــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ٣٤٩، أيضا : ابــن النديم : الفهرست - ص ص ٣٢٦، ٣٢٨، القفطى : اخبــار العلمــاء بأخبــار الحكماء :ص ص ٤٩، ٥٢، وأيضا : السكاف& مطرجى : مصدر سابق - ص ص ١٥٦، وأيضا : فروخ، عمر : مصدر سابق - ص ٢٢٥

١٠٩ ــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ٣٤٩

١١٠ ــ المصدر السابق - ص ص ٣٤٩، ٣٥٠

١١١ ــ تاتون، رنيه : مصدر سابق ص ص ٤٩١، ٤٩٢

١١٢ ــ ابن خلكان : وفيات الأعيان جــ٢ ص ٧٩، فتح الله، جريس : تــراث الاسلام - ص ٤٦

١١٣ ــ عن : فروخ، عمر : مصدر سابق - ص ٤٩١

١١٤ ــ فتح الله، جريس : تراث الاسلام مصدر سابق - ص ٤٩١

١١٥ ــ فروخ، عمر: مصدر سابق - ص ٢٢٨

١١٦ ــ فتح الله، جريس : مصدر سابق – ص ١٥٠

١١٧ ــ راجع : لويون، جوستاف : حضـــارة العــرب ص ص ٥٧١، ٥٧٢، هونكه، زيغريد : شمس العرب تشرق على الغرب ــ مصـــدر ســابق ــ ص ١٤٢، فتح الله، جريس : مصدر سابق ص ٤٩١. وأيضا : مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٣٥٢

١١٨ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق – ص ص ٢٢٨، ٢٢٩، ابن أبى اصيبعة : طبقات الأطباء حــ٢ ص ٥٢ والاعلام للزركلى حــ١ ص ٧٦٤

١١٩ ــ تاتون، رنيه : مصدر سابق – ص ٤٩٢

١٢٠ ــ تاتون، رنيه : مصدر سابق – ص ٤٩٣

١٢١ ــ الهاشمى، محمد يحيى : الامام الصادق ملــهم الكيميــاء – القــاهرة – ١٩٥٩ ص ٣٠. عن : مرحبا : ص ٢٩٧ وأيضا :

Holmyard, E.J. Markers of Chemistry, p.p. 1-40

عن السكاف& مطرجى : ص ٤١٧

١٢٢ ــ ابن النديم : الفهرست ص ٤١٧

١٢٣ ــ Holmyard, E.J.Markers of Chemistry,P.P. 1- 40

عن السكاف، مطرجى : ص ٤١٧

١٢٤ ــ ابن سينا : تسع رســائل فى الحكمة والطبيعيات – الرسالة الخامسة فى أقسام العلوم العقلية – ص ١١١ عن مرحبا : مصدر سابق ص ٢٩٨

١٢٥ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق – ص ٢٤٢

١٢٦ ــ ابن النديم : ص ٤١٧، ٤٢٧ ابن خلدون المقدمـــة : ص ص ٥٢٧ – ٥٣١، فتح الله، جريس : ٤٥٩ وأيضا مرحبا، محمد عبد الرحمـــن : مصـــدر سابق – ص ٢٩٨

١٢٧ ـ راجع : بلسنر، مارتن : مصدر سابق - ص ١١٥ - هامش ٣

١٢٨ ـ راجع : رسائل جابر بن حيان نشر بول كرواس - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٥٤هـ - ص ص ١ ـ ٣٠ أيضا هونكه، زيغريد : مصدر سابق - ص ص ٣٢٤، ٣٢٧

١٢٩ ـ ابن حيان، جابر : مختارات من رسائله - تحقيق بول كرواس - القاهرة ١٣٥٤هـ - ص ١٣٧

١٣٠ ـ موسى، جلال : منهج البحث العلمي عند العرب - بيروت - ١٩٧٢ - ص ٢٧٤

١٣١ ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ٣١٥

١٣٢ ـ هونكه، زيغريد : مصدر سابق - ص ٣٢٦

١٣٣ ـ المصدر السابق - ص ص ٣٢٦، ٣٢٧. وقد نقلت هذه الكلمات من هونكة، وفقا لما هو معروف بالألمانية.

١٣٤ ـ المصدر السابق - ص ٣٢٧

١٣٥ ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ٣١٧

١٣٦ ـ طوقان، قدرى : العلوم عند العرب - مصدر سابق ص ص ٩٧، ٩٨

١٣٧ ـ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ٣٠٢

١٣٨ ـ مظهر، جلال : مصدر سابق - ص ٢٧٣

راجع أيضا مظهر، اسماعيل : تاريخ الفكر العربى - القاهرة ١٩٢٨ - ص ٨٧

١٣٩ ـ طوقان، قدرى : مصدر سابق - ص ص ٩٨، ٩٩

راجع أيضا : القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء - ص ١١١، وفروخ، عمر : مصدر سابق - ص ٢٤٣

وقد قيل أنه سمى "جابرا" لأنه هو الذى جبر العلم، أى أعاد تنظيمه – زكـــى نجيب محمود – جابر بن حيان – ص ١٢

١٤٠ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٣٠٣

١٤١ ـــ مظهر، جلال : مصدر سابق – ص ص ٢٧٦، ٢٧٧

وأيضا مظهر، اسماعيل : مصدر سابق – ص ٨٣

١٤٢ ـــ طوقان، قدرى : العلوم عند العرب – مصدر سابق – ١٠٣

١٤٣ ـــ الهاشمى، محمد يحيى : الامام الصادق ملهم الكيمياء – ص ١٢ عن : مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ص ٣٠٣، ٣٠٤

١٤٤ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ص ٣٠٩، ٣١٠

١٤٥ ـــ تاتون، رنيه : مصدر سابق – ص ٥٠٢

١٤٦ ـــ طرابيشى، جورج : معجم الفلاسفة – دار الطليعـــة – بـــيروت – د.ت – ص ٢٨٨. وقد جاء فى قدرى طوقان : أنه ولد فى ٨٥٤م وتوفى فـــى بغداد فى ٩٣٢م– وفى مرحبا : أنه توفى فى ٣٢١هـــ / ٩٢٤م. راجع أيضا : الفهرست لابن النديم ص ٤٢٧.

١٤٧ ـــ عبقرية الحضارة العربية منبع النهضة الأوروبية ترجمة عبـــد الكريـــم محفوظ – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ط١ – طرابلس – ١٩٩٠ – ص ٢٨٥

١٤٨ ـــ طوقان، قدرى : العلوم عند العرب – مصدر سابق – ص ١٣٤

١٤٩ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ص ٣١٠، ٣١١

١٥٠ ـــ هونكة، زيغريد : مصدر سابق – ص ص ٣٢٧، ٣٢٨

١٥١ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٣١١

١٥٢ ـــ طـــوقان، قدرى : العلوم عند العرب – مصــــــدر ســـابق – ص ص ١٣٦، ١٣٧

١٥٣ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ص ٣١١، ٣١٢

١٥٤ ـــ الطويل، توفيق : مصدر سابق – ص ٢٢٥

١٥٥ ـــ روسكا : عالم ألمانى اشتغل بتاريخ العلـــــوم العربيـــة مـــن (١٨٩٠-١٩٤٠م). راجع سيزكين، فؤاد : مصدر سابق – ص ٥٧

١٥٦ ـــ المصدر السابق – ص ٥٧

١٥٧ ـــ المصدر السابق ص ص ٥٨، ٦٣

١٥٨ ـــ نفس المصدر ص ٦٨

١٥٩ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٢٤٣

١٦٠ ـــ نفس المصدر نفس الصفحة

١٦١ ـــ براون، ادوار دجى : الطب العربى – ترجمة داود ســـلمان علـــى – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ١٩٨٦ – ص ص ١٦، ١٧

١٦٢ ـــ فروخ، عمر : مصدر سابق – ص ٢٧٣

١٦٣ ـــ عن المصدر السابق – ص ٢٧٤

١٦٤ ـــ براون، ادوار دجى : مصدر سابق – ص ص ١٧، ١٨

١٦٥ ـــ فروخ : ص ص ٢٧٤، ٢٧٥

١٦٦ ـــ القفطى : إخبار العلماء بأخباء الحكماء – مصـــــدر ســـابق – ص ص ١٣٠، ١٣٤، ابن أبى اصيبعة عيون الأنباء فى : طبقات الأطباء حـــــ١ – ص ٢٢٠.

وأيضا السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ٨٤

١٦٧ ـــ راجع ترجمته أيضا فى القسم الخاص بالكيمياء

١٦٨ ــ الحمارنة، سامى ب : أبو بكر محمد بن زكريا الرازى – ضمن كتاب عبقرية الحضارة العربية – ترجمة عبد الكريم محفوظ – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان – طرابلس – ١٩٩٠ – ص ٢٨٦

١٦٩ ــ ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطبـــاء، حـــ٢ ص ص ٣١٤، ٣١٥

١٧٠ ــ براون، ادوار دجى : الطب العربى – مصدر ســـابق – ص ص ٥٠، ٥١

١٧١ ــ راجع المصدر السابق – ص ٥١

(172) The legacy of Islam p. 320

عن السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ٩٨

١٧٣ ــ الهونى، فرج محمد : تاريخ الطب فى الحضارة العربية الاســـلامية – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعـــلان – بنغـــازى – ١٩٨٦ – ص ص ١٣٨، ١٣٩

١٧٤ ــ براون : مصدر سابق – ص ٥١، السكاف& مطرجى : مصدر ســـابق – ص ٩٨

١٧٥ ــ سيزكين : مصدر سابق – ص ٤١

١٧٦ ــ الهونى : مصدر سابق – ص ١٣٧

١٧٧ ــ مرحبا : مصدر سابق – ص ص ٢٥٠، ٢٥٢، أيضا موسى، جلال : منهج البحث العلمى عند العرب ص ١٨٣

١٧٨ ــ راجع ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطبـــاء ــ حـــ٢ ص ص ٣٥٦، ٣٦٠

١٧٩ ــ ترجمة ابن سينا فى : القفطى اخبار العلماء بأخبار الحكمـــاء ص ص.
٢٦٨ – ٢٧٧، ابن خلطان : وفيات الأعيان، حــ١ – ص ص ١٥٠، ١٥٥

١٨٠ ــ البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام – ص ص ٢٥، ٧٢ – راجع السكاف : ص ٩٥

١٨١ ــ قنواتى، الأب جورج شحاتة : فهرست مؤلفات ابن ســـينا – القــاهرة ١٩٥٠.

(182) The leagcy Islam, p.p. 327, 329

عن السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ٩٦

١٨٣ ــ براون، ادوار دجى : مصدر سابق – ص ٦٢

١٨٤ ــ السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ٩٦

١٨٥ ــ المصدر السابق – ص ٩٧.

١٨٦ ــ الهونى : مصدر سابق – ص ١٦٧

١٨٧ ــ السكاف، مطرجى : مصدر سابق – ص ٩٦

١٨٨ ــ براون : مصدر سابق – ص ٦٢

١٨٩ ــ الهونى : مصدر سابق ص ١٦٧

١٩٠ ــ العانى، مصطفى الشريف : الكتاب الذهبى للمهرجان الألفى لابن ســينا – ص ١٦٤ عن : مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٢٦٠

١٩١ ــ ابن سينا فى القانون، حــ١ – طبعة بولاق ١٨٧٧ – عـــن المصــدر السابق ص ٢٦١

١٩٢ ــ مارتن، م . أ : أبو على الحسين بن عبد الله ابن سينا – ضمن عبقرية الحضارة العربية – مصدر سابق – ص ٢٩٢

١٩٣ ـ راجـع: الشطى، أحمد شوكت : تـاريخ الطب وآدابـه وأعــلامه، دمشق - ١٩٦٧ وأيضا السكاف & مطرجى : مصدر سابق : ص ٨٦

١٩٤ ـ السكاف& مطرجى : مصدر سابق - ص ٨٦، ٨٧

١٩٥ ـ خير الله، أمين أسعد : الطب العربى، بيروت، ١٩٤٦ - ص ٩٢

١٩٦ ـ المصدر السابق - ص ص ١٠١، ١٠٣

١٩٧ ـ هونكه، زيغريد : شمس العرب تشرق على الغرب مصـدر سـابق،، ص ص ٢٧٢، ٢٧٣

١٩٨ ـ نفس المصدر ص ٢٨٠ وأيضا عالم الفكر، مجلـد ٩، ع١ - ص ص ٨٣، ٩٢

١٩٩ ـ راجع : السكاف& مطرجى : ص ص ٩٣، ٩٤

٢٠٠ ـ على بن عيسى : تذكرة الكحالين، طبعة حيـدر آبـاد - ١٩٦٣ - ص ص ١١ - ٣٥ عن المصدر السابق - ص ٩٤

٢٠١ ـ البستانى، بطرس : قطر المحيد، جـ١ ص ١٦٢، ابن ابى اصيبعـة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء حـ١ ص ٤٥ عن : الهونى : مصـدر سـابق ص ١٩٣

٢٠٢ ـ براون : مصدر سابق - ص ٩٨، الهونى : مصدر سابق - ص ١٩٥

٢٠٣ ـ الهونى : مصدر سابق ـ ص ص ٢٠٢، ٢٠٣، ص ص ٢١٤، ٢٢٥

٢٠٤ ـ مرحبا : مصدر سابق - ص ٢٨٢

٢٠٥ ـ خليفة، حاجى : كشف الظنون، حـ١ ص ١٣٦ عن المصدر السـابق نفس الصفحة

٢٠٦ ـ مرحبا : مصدر سابق - ص ٢٨٢

٢٠٧ ـــ قنواتى : تارخ الصيدلة فى العهد القديم والعصر الوسيط – القـــاهرة – ١٩٥٩ – ص ص ٥٠، ٥٥

٢٠٨ ـــ الفهرست : ص ٣٧٨، ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـــات الأطباء حـــ٣ ص ص ٤٩، ٥٠

٢٠٩ ـــ الهونى : مصدر سابق – ص ٢٣٨

٢١٠ ـــ القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء – مصدر سابق ـــ ص ٢٨٠

٢١١ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق – ص ٢٨٤ وأيضا القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء – ص ١٨٨

٢١٢ ـــ الانطاكى : تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب ص ٣١ عـــن الهونى : ص ٢٥٠ وأيضا : السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ١٠٣

٢١٣ ـــ الانطاكى : ص ٢٥ عن الهونى : ص ص ٢٥٠، ٢٥١

٢١٤ ـــ هونكه، زيغريد : شمس العرب تشرق على الغرب – مصدر ســـابق – ص ٤٠٥

٢١٥ ـــ ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء – مصدر ســـابق – جـــ١ – ص ٦٣

٢١٦ ـــ نفس المصدر – حـــ٢ – ص ص ٢٤ – ٢٨ عن السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ١٠٥

٢١٧ ـــ ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء – مصدر ســـابق – حـــ٢ – ص ١٠٠

٢١٨ ـــ المصدر السابق حـــ٣ ص ٧٩، الهونى : ص ص ٢٥٣، ٢٥٤ وأيضا : السكاف& مطرجى : مصدر سابق –ص ١٠٨

٢١٩ ــ ابن ابى اصيبعة : مصدر ســـــابق حــــ٣ ص ص ٧٥، ٧٩ وأيضـــا السكاف& مطرجى : ص ١٠٧

٢٢٠ ــ الهونى، فرج محمد : مصدر سابق – ص ص ٢٥٤، ٢٥٥

٢٢١ ــ ابن أبى اصيبعة : مصدر سابق – ص ص ٢٣٨، ٢٦٨& حــــ٣ ص ٨٥

وأيضا السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ١٠٧، ١٠٨

٢٢٢ ــ مرحبا : مصدر سابق – ص ٢٩٦

الفصل الرابع
من أعلام العلم عند العرب

- الحسن بن الهيثم
- الخوارزمي



الحسن بن الهيثم

يعد ابن الهيثم من عباقرة العرب الذين ظهروا في القرن العاشر للميلاد في البصرة، ومن الذين نزلوا مصر واستوطنوا فيها. ولد في حوالي ٩٦٥م وتوفي في مصر ١٠٣٩م. (١)

وقد عرفته أوروبا باسم (**Alhazan**) وهو تحريف لكلمة الحسن. وقد دخل الحسن بن الهيثم في خدمة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. وعرف بالزهد والبعد عن شرف الدنيا وجاهها. ولاه الخليفة بعض الدواوين ولكنه آثر حياة الزهد وكفاف العيش والتجرد. وقد قال عنه ابن صاعد الأندلسي أنه من المشهورين باحكام أجزاء الفلسفة وممن اشتهر بعلم حركات النجوم وهيئة العالم. (٢)

وقد بلغ الخليفة الحاكم بأمر الله أن ابن الهيثم يمكنه أن يقوم بعمل بالنسبة للنيل يعود بالنفع على أهل البلد، وذلك بالسيطرة على تصريف الفيضان. ولكنه بعد أن درس مجرى النيل ووصل الى أسوان فوجد أن المصريين قد قاموا منذ الزمن الأبعد بكل ما كان يفكر فيه، وعلى نمط أتم، فاعتذر للحاكم على خطئه في التقدير فعذره الحاكم بأمر الله وأكرمه. (٣)

ونظرا لعدم اطمئنان ابن الهيثم للخليفة – الحاكم بأمر الله – الغريب الأطوار، والذي لا يمكن التنبؤ بتصرفاته، ولكي يتحرر من واجباته دون أن يبدو عليه عدم الولاء تظاهر بالجنون الى حين موت

الحاكم بأمر الله، فغادر البيت الذى كان محجوزا فيه وانتقل الى الجامع الأزهر حيث تابع نشاطاته ككاتب ومعلم للرياضيات. (٤)

ولقد ترك ابن الهيثم العديد من الرسائل والمقالات القصار، والشروح على كتب السابقين له أو التلخيصات. ومن اهم كتبه (كتاب المناظر) الذى قال عنه (مايرهوف) أنه من "أكثر الكتب استيفاء لبحوث الضوء وأرفعها قدراً. وهو لا يقل مادة وتبويبا عن الكتب الحديثة ان لم يفق عليها فى موضوع انكسار الضوء وتشريح العين وكيفية تكّون الصور على شبكة العين". (٥)

وقد قام ابن الهيثم فى كتابه بتعديل آراء "اقليدس" وتصحيحها، فقال بأن "الأشعة الضوئية تنتشر فى خط مستقيم من الشيء نحو العين. ووصفه للعين أدق من وصف من سبقه، وكذلك تفسيره لعملية الابصار، ويمتد تحليله فيشمل المناظر، والرؤية المزدوجة الابصار وأوهام النظر ورؤية الألوان". (٦)

كما قدم ابن الهيثم ضمن شروحه ومخلصاته لكتب المتقدمين ورسائله وكتبه، وشروحه : كتاب تهذيب المجسطى، وكتاب شرح أصول اقليدس فى الهندسة وتلخيصه، كتاب تحليل المسائل الهندسية، وكتاب الجامع فى أصول الحساب، وكتاب فى تحليل المسائل العددية بجهة الجبر والمقابلة، وكتاب فى تربيع الدائرة، وكتاب هيئة العالم، وغيرها. (٧)

كما قدم كتاب الهالة، وقوس قزح، والمجرة، وأصول الكواكب، وضوء القمر، السمت، وارتفاعات الكواكب، وفى مراكز الأثقال .. وغيرها.

• *وله أيضا : (٨)*

(١) رسالة فى صناعة الشعر ممتزجة من اليونانى والعربى.

(٢) رسالة فى تشويق الانسان إلى الموت بحسب كلام الأوائل، ورسالة أخرى فى هذا المعنى بحسب كلام المحدثين.

(٣) رسالة يبين فيها أن جميع الأمور الدنيوية والدينية هى نتاج العلوم الفلسفية.

(٤) رسالة المرايا المحرقة بالقطوع (أى المخروطات).

(٥) رسالة المرايا المحرقة بالدائرة.

(٦) مقالة فى حساب الخطأين.

كتاب المناظر - عرض موجز لمحتوياته. (٩)

يتضمن الكتاب سبع مقالات، جعلها ابن الهيثم فصولا على النحو الآتى :

• *المقالة الأولى :* فى كيفية الإبصار (خواص البصر، خواص الضوء، ما يعرض بين البصر والضوء، هيئة البصر، كيفية الإبصار، منافع آلات البصر، المعانى التى لا يتم الإبصار الا بها، وباجتماعها). وذلك بعد أن عرض منهجه العلمى فى المقدمة.

• *المقالة الثانية :* المعانى التى يدركها البصر، وعللها وكيفية ادراكها. وفيها تفصيل لتمييز خطوط الشعاع، كيفية ادراك كل واحد من المعانى الجزئية التى تدرك بحاسة البصر، تمييز ادراك البصر للمبصرات.

• *المقالة الثالثة :* تعالج أخطاء البصر وعللها. وتحتوى علـــى : مقدمات فى أخطاء البصر، العلل التى من أجلها تعرض الخطـأ للبصر، كيفيات أخطاء البصر التى تكون بمجرد الحسّ، والتــى تكون فى المعرفة، والتى تكون فى المقياس.

• *المقالة الرابعة :* تعالج كيفية ادراك البصـــر بالانعكــاس عــن الأجسام الصقيلة، وتشرح كيفية الانعكاس، وكيفية إدراك البصــر للمبصرات بالانعكاس.

• *المقالة الخامسة :* تعالج مواضع الخيالات، وهى الصــور التــى ترى فى الأجسام الصقيلة.

• *المقالة السادسة :* تعالج أخطاء البصـــر فيمـــا يدركـــه البصـــر بالانعكاس، وعللها، وفيه يدرس أخطاء البصر التى تـــأتى مـــن الانعكاس، أخطاء البصر التى تعرض فـــى المرايـــا المســـطحة، والمرايا الكرية المحدبة، والمرايا الاسطوانية المحدبة، والمرايـــا المخروطية المحدبـــة، والمرايـــا الكريـــة المقعـــرة، والمرايـــا الاسطوانسة المقعرة، والمرايا المخروطية المقعرة.

• *المقالة السابعة :* تبحث فى كيفية ادراك البصر بالانعطاف مـــن وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيف لشفيف الـــهواء. وفيـــها يدرس ما يأتى :

الضوء ينفذ فى الأجسام المشفـــة فـــى خطـــوط مســـتقيمة، وينعطف (ينكسر) اذا صادف جسما مخالف الشفيف لشفيف الجســـم الذى هو فيه. كيفية انعطاف الأضواء فى الأجسام المشفة : ان مـــا يدركه البصر من وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيـــف لشفيـــف

الجسم الذى فيه البصر اذا كان مائلا عن الأعمدة القائمة على سطوحها هو ادراك بالانعطاف، فى الخيال، كيفية ادراك البصر للمبصرات بالانعطاف، أخطاء البصر التى تعرض من أجل الانعطاف.

المنهج العلمى عند ابن الهيثم :

لقد اتبع الحسن بن الهيثم فى بحوثه منهجا علميا يقوم على الاستقراء – أى استخراج القاعدة العامة من خلال الواقع والتجربة– فى أكثر الأحوال، وفى بعض الأحيان على الاستنباط. وكان يلجأ إلى الموازنة بين الوقائع ومقارنة النتائج بعضها ببعض. وقد اعتمد على المشاهدة، والملاحظة، وكان يجرى تجاربه مرات عديدة. بل أنه أقام التجارب على عدد من الأمور التى كان اليونانيون قد جربوها واستخرجوا قواعدها.

واذا الغربيون قد نسبوا المنهج العلمى لفرنسيس بيكون (١٥٦١–١٦٢٦م)، ويتجاهلون ابن الهيثم خاصة أن ابن الهيثم التزم بالمنهج العلمى فى أبحاثه عن الضوء، وقد وضع أسس ومبادىء تعبر عن عقلية علمية فذة بدت فى النواحى التالية : (١٠)

(أ) الفضول العلمى : وهو ما دفعه الى البحث عن أسرار الطبيعة لمعرفة قوانينها. والغاية منه – حسب رأى ابن الهيثم – "اما نفع رجل أفيده اياه، اما أن أتعجل أنا فى ذلك رياضة أروض بها نفسى". فالعلم الذى يريده ابن الهيثم يجب أن يكون غاية فى ذاته، أو لمنفعة الآخرين لا وسيلة للشهرة أو الكسب المادى.

(٢) الشك المنهجى : واذا كان الغرب قد نسب الشك المنهجى الـــى ديكارت فقد رأى ابن الهيثم رأيا سبق ديكارت فى هذا المجـــال، اذ قال : "انى لم أزل منذ عهد الصبا مرتابـــا فـــى اعتقـــادات النـــاس المختلفة، وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأى فكنت متشككـــا فـــى جميعه". (١١) والشك هو تعليـــق الحكـــم، أو التوقـــف عـــن التصديق ما لم تثبت التجربة صحة الرأى. وقد اهتـــم ابـــن الـــهيثم بالتيقن من خلال التجربة كان يقينا، وان لم يثبت تركه إلى غيره.

(٣) التجربة والبعد عن الهوى : يقول ابن الـــهيثم : "ان الحـــق لا أصل اليه الا من آراء يكون عناصرها : الأمور الحسية، وصورتها الأمور العقلية" (١٢) فصاحب الرأى يجب أن يكـــون بمنـــأى عـــن الهوى، والتعصب وأن يعتمد المناهج العلمية التجريبية وهى :

- *الملاحظة :* وتتطلب الملاحظـــة العلميـــة الصحيحـــة أن نـــهىء الظروف الخاصة التى نستطيع الاستفادة منها، وأن تكون تامـــة، ولا تكون هناك من الأمور ما يجعل شيئا يغيب عن الحواس.
- *التجربة :* وقد أطلق عليها اسم الاعتبار. فيرى ضرورة اعـــادة التجربة عدة مرات حتى يصل الى نتيجة حاسمة.

(٤) الاستقراء : يقول ابن الهيثم : ان الأحكام العامـــة لا يمكـــن الوصول اليها الا عن طريق الاستقراء، أى من استخراج القوانين من جزئيات الواقع.

__(٥) القياس :__ (١٣) "ان القوانين التى نتوصل اليها عن طريـــق الاستقراء يمكن تطبيقها على جزئيات أخـــرى، وعلـــى حـــوادث متشابهة". ذلك ان الطبيعة تجرى على نظام واحد وثابت ومنهاج

لا يتغير. "فاذا شاهدنا الأضواء تنعكس أو تنعطف على هيئة خاصة، فيجب أن نترقب الأضواء أن تكون كذلك، هنا، وهناك وفى كل مكان"

(٦) الاستنتاج والاستنباط : وهو تفريع الأحوال المفردة من القاعدة العامة.

٧ ـ ايمانه بوحدة الحقيقة العلمية، أما الاختلاف فيقع فى الطرق المتبعة للوصول اليها.

وقد ساعد كون ابن الهيثم عالما رياضيا، وفيلسوفا، على انتهاج المنهج العلمى، هذا فقد مكنته الرياضيات من تنظيم بحوثه، وساعدته الفلسفة على حسن تخيل الأمور. ثم ان اعجابه بمنطق أرسطو وتفهمه الدقيق لأقسام ذلك المنطق، زاده مهارة فى التنظيم عند تتبع البحث واجراء التجارب. (١٤)

وقد كانت خطة ابن الهيثم فى علم الضوء، والتى سار عليها فى جميع بحوثه به، هى ما أسماه الباحثون والعلماء فيما بعد بالاسلوب أو المنهج العلمى.

هذا الأسلوب العلمى هو صاحب الفضل فى الاكتشافات التى قدمها العلماء للانسان الحديث المعاصر، وان هذا الاسلوب الذى كثيرا ما ينسب الى روجر بيكون (ت ١٢٩٢م/٦٩٣هـ) – وهو فيلسوف وعالم انجليزى، حاضر فى جامعة اكسفورد، وفى باريس، وأساس شهرته أنه كان من الدعاة الى المنهج التجريبى – هذا الاسلوب أخذه روجر بيكون عن ابن الهيثم كما اعترف بذلك علماء الغرب أنفسهم. (١٥)

أثر ابن الهيثم فى البصريات (١٦)

(أ)- آراء ابن الهيثم وبحوثه فى الضوء والبصريات :

١ - امتداد الضوء

لقد أقام ابن الهيثم بحوثه على ما عرف به القدماء الضوء على أنه حرارة نارية تنبعث من الأجسام المضيئة بذاتها كالشمس، والنار. ومع أن الشعاع يحمل نورا وحرارة الا أن اهتمام ابن الهيثم كان منصبا على الضوء المنبعث مع الشعاع فحسب. وقد رأى أن الضوء نوعان :

- **نوع ذاتى :** يصدر عن الأجسام المضيئة بذاتها كالشمس، والنار وما شابههما.
- **نوع عرضى :** يصدر عن الأجسام التى تعكس الضوء الصادر عن غيرها، مثل المرآة والقمر، والأجسام المصقولة.

والضوء الصادر عن الأجاسم المضيئة أقوى من الضوء الصادر عن الأجسام العرضية. والضوء حين يصدر عن هذه الأجسام أو تلك، فانما ينبعث من جميع النقاط على سطوح تلك الأجسام، ثم يمتد فى خطوط مستقيمة، وبسرعة ثابتة.

٢ - ماهية الضوء :

الضوء جسم مادى لطيف، وهو يتألف من أشعة، ولكل شعاع طول وعرض وسرعة.

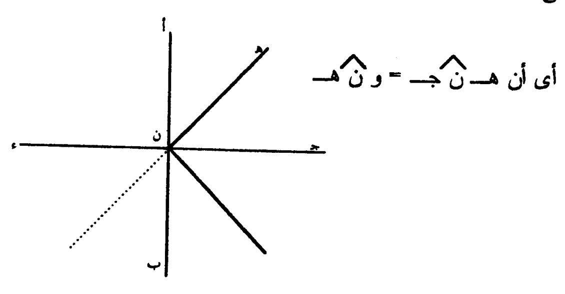
٣- نفوذ الضوء

ينفذ الضوء من جميع الأجسام اللطيفة أو الشفافة لأنها تقبل الضوء، أما الأجسام الكثيفة فلا تسمح بمرور الضوء فيها. كما يقبل الجسم الشفيف الصور التى ترد مع الضوء عليه.

٤- انعكاس الضوء

يرى ابن الهيثم أن الضوء شيء مادى، ولذا فهو ينعكس اذا اصطدم بالأجسام الصقيلة كما ترتد الكرة اذا اصطدمت بجسم صلب. وفى هذه الحالة تكون زاوية السقوط مساوية لزاوية الانعكاس. (١٧)

أى أن هـ ن^ جـ = و ن^ هـ



ومع أن انعكاس الضوء عن السطح الصقيل كارتداد الكرة عن الجسم الصلب، فان بينهما فارقا، فيما يرى ابن الهيثم. اذ يقول : "فان الضوء ليس فيه قوة تحركه إلى جهة معينة كالقوة التى فى الكرة، والتى تساعد على هبوط الكرة نحو الأرض بعامل الجاذبية. بل ان خاصته أن يتحرك على الاستقامة فى جميع الجهات التى يجد السبيل اليها. اذا كانت تلك الجهات ممتدة فى جسم مشف، فاذا انعكس الضوء بما فيه من القوة المكتسبة وصار على

سمت الاستقامة التى أوجبها الانعكاس، امتد علـــى ذلــك الســمت. وليس فيه قوة تحركه إلى غير ذلك السمت (الاتجاه) اذ ليـــس مـــن خاصته أن يطلب جهة مخصوصة. (١٨)

وقد ميز ابن الهيثم فى الانعكاس بيــــن الأجســام الصقيلـــة كالمرايا التى تعكس الضوء، وبين الأجسام الخشنة التى تعكس بعض الضوء وتسمح لبعضه بالنفاذ. كما ميز بين الأضـــواء العرضيـــة والأضواء المنعكسة عن السطوح الصقيلة. فـــالأضواء العرضيـــة تشرق من كل نقطة من السطح الكثيف المســتضىء علــى امتــداد مستقيم. بينما الأضواء المنعكسة لا تمتد من نقاط انعكاسها الا فـــى خطوط مستقيمة ذات أوضاع خاصة تتطلبها قوانيــــن : الانعكـــاس المنتظم، والانعكاس غير المنتظم. (١٩)

٥- انكسار الضوء

يسير الضوء بسرعة كبيرة جدا، ويحتاج الى وقـــت لقطـــع المسافات مهما كان الوقت ضئيلا اذا قيس بسرعة جميـــع الأشيـــاء الأخرى، ولذا فان الضوء اذا تغير الوسط الذى يسير فيه فان سرعته تتغير. وينتج عنه تغير الوسط المشف الذى يسير فيه الضوء بوسط آخر مشف أيضا أن يحدث الانعطاف أو (الانكســـار) **Refraction** وسرعة الضوء فى الوسط المشف الألطف أكبر منها فـــى الوســـط المشف الأغلظ (الأكثف).

وأول من بحث الانكسار هو "بطليموس" الذى قاس زوايـــا الانكسار فى الماء المقابلة لزوايا السقوط فى الهواء. ووصل الـــى

نتائج ثابتة، ووضع جداول، وقد سار ابن الهيثم على منواله، وتوسع فيه، وابتكر أجهزة دقيقة لم يسبقه اليها أحد من قبله. (٢٠)

• ***الانكسار الفلكى : (٢١)***

رأى ابن الهيثم أن الضوء الذى يصلنا من النجوم والكواكب يصيبه بعض الانكسار عندما يخترق جو الأرض، فينتج عن ذلك انعطاف فى الأشعة. وبسبب ذلك نرى قرص الشمس أو القمر عند الشروق أو الغروب على خط الأفق قبل أن يصل أى منهما الى مستواه.

• ***الهالة الشمسية : (٢٢)***

اذا اخترق الضوء مجال الأرض انحرف بزاوية معينة، وحينئذ يصل الينا الضوء وكانه صادر من نقطة حول الشمس، فتظهر الأشعة فى دائرة محيطة بجرم الشمس. والزيادة فى قطر الشمس والقمر تابعة لزاوية الرؤية وهى زيادة وهمية.

وقد فسر أيضا ظاهرة قوس قزح، وكثيرا من الظواهر الفلكية تفسيرا علميا، يكاد يصل الى تفسيرات العلم الحديث.

٦- ***العين والابصار :***

كان "بطليموس" يرى أن الرؤية تحدث بواسطة أشعة ضوئية تنبعث من العين الى الجسم المرئى، ثم تعود بصورة الجسم الى العين. وأن هذه الأشعة تخرج من العين على شكل مخروطى، الرأس فى حدقة العين والقاعدة على السطح الظاهر من الجسم المرئى. ولكن جاء ابن الهيثم ليبرهن على وجود الضوء ذاتيا سواء وجدت العين أم توجد، وأن الأجسام مضيئة بذاتها أو معتمة بذاتها.

والرؤية تتم بورود الضوء من الجسم المرئى الى العين. وهو ما يعرف بنظرية الورود. وبهذا الكشف صحح ابن الهيثم مسار علم الضوء والبصريات ووضعه على الطريق الصحيح.

فالعين هى أداة الابصار. وقد وصف ابن الهيثم أجزاءها الهامة بما يكفى من الناحية الطبيعية لتوضيح عملها فى نقل صور المرئيات إلى الدماغ، ولم يتوسع فى الجانب التشريحى البحت، وقد أدرك ذلك كمال الدين الفارسى فنظر فى كتب أئمة الطب، وجمع ما يتعلق بالعين وأضافه الى كتاب الحسن بن الهيثم (المناظر) والحقه بالفصل الخاص به. (٢٤)

شروط صحة الابصار : (٢٥)

وقد وضع ابن الهيثم شروطا للإبصار، بعضها يتعلق بالجسم (الشىء) المبصر، والبعض الآخر يتعلق بالشخص المبصر.

- ***ما يتعلق بالشىء المبصر***

أن يكون المبصر مضيئا بذاته، أو بضوء من غيره وأن يكون بين العين، وهذا الشىء المبصر بعد معين ملائم. وأن يكون بين كل نقطة بين المبصر والعين خط مستقيم غير منقطع بجسم أوسط كثيف. وأن يكون ذا حجم معين، وكثافة محددة، وأن يكون واقعا على السهم المشترك للباصرتين، فان لميل الشىء المبصر عن اتجاه سهم البصر أو عن السهم المشترك، تأثيرا فى وضوح صورته وثبيتها للبصر، وأوضح الأشياء هى المواجهة للبصر، أى الذى يكون سهم البصر عموديا عليها.

• ***ما يتعلق بالشخص المبصر :***

أن تكون عينة سليمة من العلل، وأن تتاح له مدة من الزمــن تكفــى لتأمل الشىء المبصر. وقدر من المعرفة، ومــن الاختبــار لادراك مظاهر الأشياء المبصرة على حقيقتها أو قريبا من ذلك.

طبقات العين عند ابن الهيثم : (٢٦)

(١) بياض العين أو الملتحمة (شبه كرة بيضاء اللون).

(٢) العنبيــة وهى حدقة العين، ولونها اســود أو بنــى أو عســلى. وهى كرة صغيرة جوفاء، ومكانها فى الجزء النــاقص مــن الكــرة الكبيرة (مــن الملتحمة) والقسم الأكبر من العنبة غارق فى الملتحمة والجزء الصغير (الخارجى) الباقى منها هو المكشوف.

(٣) البؤبؤ أو انسان العين وهو مجرى قائم فى وسط العنبية تنفذ منه الصور المرئية.

(٤) القرنية، طبقة صلبة بيضاء مشفة مقدمة العنبية. وسطح القرنية الخارجى محدب وسطحها الداخلى مقعر Concave كــرى مــواز للسطح الخارجى.

(٥) الجليدية أو الزجاجية. كرة بيضاء رطبة متماسكة، وهى مــع ذلك مرنة ملساء.

(٦) الشبكية Retine.

(٧) السائل المائى.

ونتم الرؤية عندما تنفعل العين بالأضواء والألوان فتخــترق الصور البؤبؤ لتصل إلى القرنية، ومنها الى السائل المائى، وتقــوم

بعدها الجليدية بتكثيف الصورة. التى تسقط على الشبكية، ثم ينقلـــها عصب بصرى الى الدماغ.

أخطاء الابصار (٢٧)

بعد أن حدد ابن الهيثم شـــروط الابصــــار، رأى أن أخطــاء البصر هى فى اختلال شرط من هذه الشروط.

وهذه الأخطاء – فى رأيه – ثلاثة :

(أ) أخطـــاء طبيعية أو آلية فى العين المبصـــــرة، أو فـــى الشــــىء المبصر أو فى الشروط التى يجب أن تتوفر لنقل الصورة من الشىء الى العين.

ويكون ذلك نتيجة لعلة فى العين، أو كلال أو تعب، أما حال الشىء المبصر مثل ضعف الضوء أو فى الوسط الذى يوجـــــد فيــه هــذا الشىء، أو لكون حجمه ضئيلا جدا، أو ابتعاده عن خط النظر .. وما شابه ذلك.

(ب) أخطاء فى المعرفة القائمة على التذكر، كأن تلمح شخصاً لمحة سريعة أو يمر بك فى الظلام فتختلط عليك الرؤية.

(جـ) أخطاء فى القياس الحاضر، وتأتى من خــــروج شـــرط مـــن شروطـــ صحة الابصار أو أكثر عن حد الاعتدال، كالبعد المفـــرط. وذلك لأن الانسان يدرك الأشياء بالقياس الى ما كان قد ألفه وتعوده. وقد يحدث نفس الشىء لو كان الشىء المبصر قريبا قربا مفرطـــــا. كما أن هناك أخطاء تتعلق بالمبصر نفسه.

وقد درس ابن الهيثم باستفاضة – كما أشرنا – قوس قـــزح، الهالة والفجر والشفق، والخزانة ذات الثقب والتـــى كـــانت أســـاس التجارب الضوئية. كما درس كبر حجم الكواكب عند الأفق.

بالإضافة الى ذلك توجد فى تاريخ البصريات مسألة تعـــرف باسم : "مسألة ابن الهيثم". (٢٨) وقد أوردها د. مصطفى نظيف فى كتابه عن ابن الهيثم، كما أوردها (جورج سارتون) أيضـــا، وأشـــار قدرى طوقان الى حالة واحدة من أوجه هذه المسألة.

تأثير ابن الهيثم العلمى (٢٩)

يعد ابن الهيثم من أكبر العلماء فى الشرق والغرب، وقد ترك أثـــرا كبيرا فى كل من جاء من بعده. ولم يكن يوجد فى معاصريه مـــن يدانيه فى ميدان البصريات أو فى منهجه العلمى. وقد وقـــف حياته على العلم وأخلص للبحث.

- ***أثر ابن الهيثم فى بلاد الاسلام***

كان أثر ابن الهيثم فى بلاد الاسلام (المشـــرق والمغـــرب) قليلا، ويرجع ذلك الى عدم تحقيق ما وعـــد بـــه الحـــاكم بـــأمر الله الفاطمى فى تدبيـــر مياه النيل، وعدم قدرته على تجاوز ما وصـــل اليه المصريون فى ذلك الأمر، مما جعله ينطوى على نفسه. كما أن العالـــم الاسلامى فى ذلك الوقت كان مشغولا بالفلسفة العقلية، لمـــا لها من أثر فى العقائد، والسياسة وأمور الدولة، كما أن شهرة العلماء لم تكـــن لتزاحم شهرة الفلاسفة والأدباء. ومن الجدير بـــالذكر أن

ابن سينا لم تقم شهرته على الطب بقدر ما قـــامت علـــى اشتغالـــه بالفلسفة، ومغامراته السياسية.

ولكن ذلك لم يعن أن ابن الهيثم كان مجهولا، بل ان كتابه فى البصريات (علم المناظر) كانت له قيمة ذاتية كبيرة، فقد أثنى عليـــه أصحاب التراجم كالقفطى، وابن أبى اصيبعة، ومؤرخو العلم كـــابن خلدون.

وقد أثر ابن الهيثم بنظريته الضوئية (نظرية الورود) مقـــابل (نظرية الشعاع) لبطليموس على ابن سينا معاصر ابن الهيثم، ولعل ابن طفيل (فى حى بن يقظان) حينما قال : "فأما الأجسام الشفافة التى لا شيء فيها من الكثافة فلا تقبل الضوء بوجه، وهذا ممـــا برهنـــه الشيخ أبو على وحده خاصة، ولم يذكره من تقدمه" كان يعنـــى أبـــا على بن الهيثم لا أبا على (بن سينا). وقد ألف أبـــو بكـــر محمـــد الخـــرقى (ت ٥٣٣هـ/١١٣٨م) رسالة فى الفلـــك اســـتمد معظـــم مادتها من ابن الهيثم.

• ***أثر ابن الهيثم فى الغرب الأوروبى (٣٠)***

نقلت كتب ابن الهيثم فى الفلك والفيزياء خاصة منـــذ القـــرن الثالث عشر للميلاد (السابع للهجرة) الى الثامن عشر للميلاد (الثانى عشر للهجرة) فى أوروبا، وسادت آراؤه الفلكيـــة والبصريـــة فـــى العصور الوسطى.

وقد نقلت كتبه الى العديد من اللغات الأجنبية منها :

(أ) الى العبرية

نقل كتاب (هيئة العالم) فى الفلك عدة مرات. اذ نقله ابراهام الحكيم الطليطلى (١٢٥٢-١٢٧٣م)، ونقله يعقوب بن ماهر بن طبون عام ١٢٧١ أو عام ١٢٧٥م كما نقله أيضا سليمان بن باطر البرغشى عام ١٣٢٢م.

كما نقل (شرح المصادرات على اقليدس) إلى العبرية أيضا كما نقل اليهودى المنتصر جوليلمو رايموندو موناكادا كتاب (هيئة العالم) عام (١٤٧٦م/٨٨١هـ) نقلا جديدا.

(ب) الى اللغة اللاتينية

نقل ابراهام البالمى (ت ١٥٢٣م) هيئة العالم من العبرية الى اللاتينية. وهناك نقل لهذا الكتاب بعنوان (العالم والسماء) لناقل مجهول. وهو مبنى على النسخة التى نقلها ابراهام الحكيم الى العبرية.

ولكتاب (المناظر) عدة نقول منها ما قام به جيراردو الكريمونى من العربية رأسا.

كما نقله فيتلو البوبونى عام ١٢٧٠

(جـ) الى اللغة الأسبانية والايطالية

نقله ابراهام الحكيم إلى الأسبانية بتصرف كما يرجح أنه نقل الى الايطالية فى القرن الرابع عشر للميلاد.

وقد أثر كتاب المناظر لابن الهيثم أيما تأثير فى علماء أوروبا. فمن أوائل من تأثروا به فى علم الضوء "روبرت جروستست" (ت ١٢٥٣/٦٥٠هـ) وقد كان مشرفا على الدراسات

الفلسفية فى اكسفورد، وكان ذا أثر كبير فى انجلترا منذ قرنيـــن أو ثلاثة.

وقد ألف "ميتلو" رسالة فى الضوء استقاها من كتب ابن الهيثم وقد أصبحت نظريته هذه مشهورة حتى جاء نيوتن بنظريتـــه وقـد تناول (فيتلو) من كتب ابن الهيثم أمورا كثيرة منها : الخزانـــة ذات الثقب، وتعليل قوس قزح.

كما تأثر بابن الهيثم (جون بكهام) (ت ١٢٩٢م/٦٩١هـ) وقد كان رياضيا وعالما طبيعيا وفيلسوفا، علم فى باريس واكسفورد. ثم أصبح رئيس أساقفة كنتر برى (١٢٧٩-١٢٩٢م). وله رسالة فـــى المناظر فيها وصف للعين. واعتمد فى كتاباته على ابن الهيثم.

أما أعظم علماء الغرب الذين تأثروا به وبمنهجه هو : روجر بيكون (ت ١٢٩٤م). وقد أخذ المنهج التجريبى عن ابن الهيثم. وقد طبق روجر بيكون المنهج على أشياء جديدة فاكتشف العديـــد مـن الاكتشافات التى كانت مجهولة فى عصره.

هذا وقد كان أثر ابن الهيثم عظيما، فى مسار العلـــم، وفـــى علماء أوروبا ويكفى أنه مؤسس المنهج التجريبى بلا منازع.

محمد بن موسى الخوارزمى

وهو أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى، أصله من خوارزم أو (خُوَىّ) جنوب بحيرة خوارزم (آرال) فى التركستان. أقام فى بغداد فى أيام الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) (٨١٣-٨٣٣) فأشرف على مكتبة المأمون.

وللخوارزمى كتب منها كتاب الزيج الأول - كتاب الزيج الثانى - كتاب الرخامة - كتاب العمل بالاسطرلاب - كتاب صنع الاسطراب - مختصر السند هند - كتاب الجمع والتفريق (الجمع والطرح) بالأرقام الهندية - كتاب الجبر والمقابلة - كتاب صورة الأرض - كتاب رسم الربع المعمور (من الأرض) - كتاب تقويم البلدان (فى الجغرافيا، شرح فيه آراء لبطليموس) - كتاب التاريخ (باللغة الفارسية). أما أشهر كتبه وأهمها فهو كتاب الجبر والمقابلة.(٣١)

وقد كان الخوارزمى هو أول من استعمل كلمة جبر Algebra للعلم المعروف الآن بهذا الاسم وفصله عن الحساب، وأظهره فى قالب علمى. وقد أخذ الغرب منه كلمة (الجبر) واستعملوها فى لغاتهم، وعليه اعتمد العرب، فشرحوه وألفوا على مثاله. (٣٢)

كان الخوارزمى عالما فى الجغرافيا، بحث فى بعض وجوهها بحثا مستقلا، وقام بتلخيص كتاب السند هند فى الفلك، وكان فى اللجنة التى كلفها المأمون بقياس الأرض. الا أن شهرة

الخوارزمى جاءت مما قدمه فى الرياضيات. وخاصـــة فـــى علــم الجبر.

وقد كان الخوارزمى هو أول من استخدم الأرقام الهندية فى المسائل والعمليات الحسابية، ودل الناس على طريقة استخدامها ثـــم دون المسألة الحسابية تدوينا أبرز فيه ترتيب الأعداد فى مراتـــب أو (خانات)، حتى تصبح عمليات الطرح والجمـــع والقســمة ممكنـــة وسهلة، ولا شك أن هذا العمل قام فى ذهن الخوارزمى على أســـاس النظام العشرى، وذلك أن مراتب الأعداد هى أساس النظام العشرى. ولولا الخوارزمى لبقيت الأرقام الهندية رموزا مفردة لا قيمة عملية لها. (٣٣)

والصفر، وهو من الأرقام، أخذه الأوربيون عن الخوارزمى، كذلك عندما استخدم الخوارزمى الرموز الى جانب الأرقام مرتبة فى خاناتها (مراتبها) فى المعادلة ثم جعل فى المعادلة حـــدودا ايجابيـــة وحدودا سلبية وجعل الجبر علمـــا مضبوطـــا. أمـــا المصطلحـــات الجبرية مثل : جبر، عدد مفرد، جذر، معلوم، أصم، مجهول وغيرها فانها مذكورة عند الخوارزمى ذكراً صريحـــا ومضـــروب عليـــها الأمثلة.

وقد عرف الخوارزمى الأعداد السلبية، وجعلها فى المعادلـــة كالأعداد الايجابية، مضروبة فى أعداد ايجابية وفى أعـــداد ســلبية (ومقسومة، ومقسوما عليها) ومجموعة، ومطروحة ومطروحا منـــها ووضع القواعد لذلك.

كما تنبه إلى الكميات التخيلية Imaginary. ورأى كاربنسكى Karpinski أن هذا يمكن أن نحصل عليه من المعادلة :

أس^{٢}+ب س + جـ = صفر

فى حالة : ب^{٢} - ٤أجـ <صفر

ففى هذه الحالة تكون الجذور وهمية أو تخيلية.(٣٤)

وللخوارزمى معادلات تصلح للتعليم فى المدارس مثل :

(١) س^{٢} +١٠س = ٣٩

(٢) س^{٢}+٢١ = ١٠س وهى معروفة باسم معادلة الخوارزمى

(٣) ٣س + ٤ = ٤س٢

(٤) س^{٢}+٩ = ٦س

وقد قام الخوارزمى بحل المسائل الحسابية بطريقة جبريـــة، وهو الذى أوجد حساب الجبر والمقابلة القائم فى الأصل على نقـــل الحدود الجبرية من أحد جانبى المعادلة إلى الجانب الآخر فيها مثل :

س^{٢}+٢س - ٥س+٦

فإنها تصبح بالجبر س٢ = ٥س+ ٢س +٦

ثم نبحث بالمقابلة : س^{٢}=٧س +٦

كما استخدم الخوارزمى الجبر فى حل المســـائل الهندســـية، فكان أول من أدرك امكانية حل نظرية هندسية بطريقة تحليلية (بحل جبرى) وقد قام بذلك حين طبق الحل الجبرى للمعادلة من الدرجـــة الثانية على مسائل الهندسة(٣٥)

(أ) المقدمة والباعث على التأليف

بعد الديباجة، يتحدث الخوارزمى عن تصنيف الكتب وأنه لنفع الناس، ولابتغاء أجر من الله.

وقد رأى المصنفين عنده ثلاثة :

الأول : رجل سبق إلى ما لم يكن مستخرجاً من قبله فهو مبتكر

الثانى : رجل شرح ما تركه الأولون مستغلقاً

الثالث : رجل صحح كتاباً كان فيه خلل ونظم مادته.

وقد قال الخوارزمى

"وقد شجعنى الامام المأمون، أمير المؤمنين على ايضاح ما كان مستبهما وتسهيل ما كان مستوعراً على أن ألفت من حساب الجبر والمقابلة كتاباً مختصراً حاصراً للطيف الحساب وجليلة لما يلزم الناس من الحاجة إليه فى مواريثهم ووصاياهم، وفى مقاسمتهم وأحكامهم وتجارتهم....."

وبذلك نجد أن الباعث على التأليف عند الخوارزمى كان حث المأمون له، رغبة فى ايضاح ما كان مستبهما أو مستغلقاً فى معاملات الناس الحسابية. سواء كان ذلك فيما يحتاجون إليه من مواريثهم أو وصاياهم أو تجارتهم. أو ما يتعاملون فيه من مساحة الأرض أو رى الأنهار.

(ب) التعريف بالجبر والمقابلة (٣٧)

اسم الكتاب من مصطلحين جبريين ابتكرهما الخوارزمى ويعنى :

- ***الجبر*** : نقل العدد السلبى إلى الجهة الأخرى من المعادلة ليصبح موجباً.
- ***المقابلة*** : حذف الكميـــات المتشابهـــة فـــى طرفـــى المعادلـــة (Reduction)

مثال على ذلك :

$س^٢ - س = ٣س+٥$

$س^٢ = ٣س+ س+٥$	**جبر**
$س^٢ = ٤س +٥$	**مقابلة**

أو :

$س^٢-٢س = ٥س + ٦$	**جبر**
$س^٢ = ٧س+٦$	**مقابلة**

(جـ) مصطلحات الخوارزمى (٣٨)

العدد فى حساب الجبر والمقابلة ثلاثة أنواع :

- **جذر** كل شئ (س) مضروب فى نفسه من الواحد، وما فوقه من الأعداد، وما دونه من الكسور. ويكـــون فـــى المعادلـــة حـــداً مجهولاً.
- ***مال*** كل ما اجتمع من الجذر المضـــروب فـــى نفســـه (س٢..) ويكون فى المعادلة حداً مجهولاً أيضاً.
- عدد مفرد كل ملفوظ به من العدد بلا نسبة إلى جذر، ولا إلـــى مال.

والعدد الملفوظ (٣،٥،٩،١٥،٤٧،..... الخ) وهو الحد المعلوم من المعادلة.

ومن أجل ذلك لا تكون معادلة الخوارزمى حالة خاصة، بـــل هى قاعدة عامة.

ويحتوى كتاب الخوارزمى على ستة أبواب

(١) باب المسائل والمعادلات الست : (٣٩)

يذكر الخوارزمى فى كتابه ستة أنواع من المعادلات الجبرية هى :

الأولى : أموال تعدل جذوراً : م س^{٢} = ب س

$ax^2 = ax$

الثانية : أموال تعدل عدداً معلوماً : م س^{٢} = جـ

$ax^2 =2$

الثالثة : جذور تعدل عدداً معلوماً : ب س = جـ

$bx = 2$

الرابعة : أموال وجذور تعدل عدداً : م س^{٢} + ب س = جـ

$ax^2 + bx=2$

الخامسة : جذور وأعداد تعدل جذوراً : ب س + جـ = م س^{٢}

$bx+ 2 = ax^2$

السادسة : أموال وأعداد تعدل جذوراً : م س٢ + جـ = ب س

$ax^2 +2= ax$

وقد حل الخوارزمى هذه المعادلات فى صورة أمثلة، وأوضحـــها بالتفصيل ولم يستعمل فى ذلك رموزاً جبرية. ومثال ذلك المعادلة التالية :

(مالان وعشرة جذور تعدلان ثمانية وأربعين درهما)

وبالطريقة الرمزية يمكن وضعها كالآتى :

٢س^{٢} + ١٠س = ٤٨

أى س^{٢} + ٥ س = ٢٤

ننصف الأجذار ٥ = $\frac{٥}{٢}$ = ٢,٥٠

نضر ب الناتج بنفسه : ٢,٥٠ × ٢,٥٠ = ٦,٢٥

نضيف الناتج إلى العدد المطلق : ٦,٢٥ + ٢٤ = ٣٠,٢٥

نجذر الناتج $\sqrt{٣٠,٢٥}$ = ٥,٥٠

نطرح من نصف الأجذار ٥,٥٠ – ٢,٥٠ = ٣ وهو جـــذر المـــال (س) و س٢ = ٣×٣ = ٩

واستخرج الخوارزمى جذرى المعادلة إذ كانا موجبين، أمـــا إذا كانت الجذور سالبة فالمسألة عنده مستحيلة، والســبب أن الجــبر العربى عملى، وليس نظرى.

وقد عرف الخوارزمى العلاقة بين الجبر والهندسة، فحل فى كتابه مسائل جبرية مع حلولها الهندسية.

مثال

س^{٢} + ١٠ س = ٣٩

الحل

نفرض جـــ ب = س

نرسم عليه المربع أ ب جـــ ء

ونمد ء أ، ءجـــ إلى هـــ &م

ننصف الأجذار $\frac{١٠}{٢}$ = ٥

بحيث يكون أ هـــ = جـــ م

مساحة المربع أ جـــ [أ ب جـــ د] =

س× س = س^{٢}

مساحة المستطيل ب هـ [ب أ هـ ل] = ٥×س = ٥ س

مساحة المستطيل ب م [ب جـ م ك] = ٥×س = ٥ س

نجمع المساحات الثلاث : س٢ + ٥ س + ٥ س = س٢ + ١٠ س

ولكن س٢ + ١٠ س = ٣٩

ونضيف إلى الطرف الثانى مساحة المربع ب ع [ب ل ع ل]

= ٥×٥ = ٢٥

فيكون ٣٩ + ٢٥ = ٦٤

نجذر العدد ٦٤ : $\sqrt{٦٤}$ = ٨

نطرحه من نصف الأجذار :

٨ ــ ٥ = ٣ وهو جذر المعادلة أى س

س^{٢} = ٩(٤٠)

وإذا تأملنا هذه المعادلة فإننا نجد أن لها جذراً سالباً، وآخــــر موجباً ولكن الخوارزمى أهمل الجذر السالب.

س = ٣أ، – ١٣ هذا ما أهمله الخوارزمى.

وقد وضع الخوارزمى نماذج لمعادلات تكون أجذارها موجبة من صفر : ١٠ (٤١)

مثل :

س^{٢} + ٠ = ١٠ س	س = صفر أ، ١٠
س^{٢} + ٩ = ١٠ س	س = ١ أ، ١٠
س^{٢} + ١٦ = ١٠ س	س = ٢ أ، ١٠
س^{٢} + ٢١ = ١٠ س	س = ٣ أ، ٧

س^{٢} + ٢٤ = ١٠ س   س = ٤ أ، ٦

س^{٢} + ٢٥ = ١٠ س   س = ٥ أ، ٥

س^{٢} + ٢٤ = ١٠ س   س = ٦ أ، ٤

ثم كرر نفس المعادلات السابقة تنازليا....

ومع أن الخوارزمى لم يضع فى مثاله السابق الأعداد السلبية فى الجذر إلا أنه رأى أنها يصح أن تكون جذوراً مثل :

س^{٢} -١١س = ١٠ س   س = -١ أ، ١١

س^{٢} - ٢٤س = ١٠ س   س = -٢أ، ١٢

٢ ـ باب الضرب

يبين الخوارزمى فى كتابه الجبر والمقابلة، كيفيـــة ضـــرب الأياء، وهى الجذور (س) بعضها ببعض، سواء كانت هذه الأشيـــاء مفردة أو كان معها عدد

(١٠ - س) (١٠+ س) = ١٠٠ - ١٠ س + ١٠ س - س^{٢}

= ١٠٠ - س^{٢}

(١٠ - س) (١٠ - س) = ١٠٠ - ١٠س - ١٠ س+ س^{٢}

= ١٠٠ - ٢٠س + س^{٢}

(١٠+ ١) (١٠+ ٢) = ١٠٠+ ١٠+ ٢٠+ ٢ = ١٣٢

(٣) باب الجمع، والنقصان (الطرح) :

وهذا الباب يلى باب الضرب، وفيه يجمع المقادير الجبريـــة، ويطرحها، ويبين كيفية اجراء العمليات الحسابية على الكميات الصم، ثم كيفية ادخال المقادير تحت علامة الجذر، أو اجزائها منه :

مثال

$(10 + س^2 - 20\, س) + (50 + 10\, س - 2\, س^2) =$

$15 - 10\, س - س^2$

ورأى أن

$جـ \sqrt{س} = \sqrt{جـ^2 . س}$

وأن $\dfrac{\sqrt{س}}{\sqrt{ص}} = \sqrt{\dfrac{س}{ص}}$

وأن $\sqrt{س} . \sqrt{ص} = \sqrt{س\, ص}$

وأن $\sqrt{جـ^2 . س} = جـ \sqrt{س}$

(٤) باب القسمة (٤٤)

تقسيم جذر ٩ على جذر ٤ كالآتى :

$\dfrac{\sqrt{9}}{\sqrt{4}} = 2\dfrac{1}{4} \quad \sqrt{2\dfrac{1}{4}} = 1\dfrac{1}{2}$

أو $\sqrt{\dfrac{9}{4}} = \dfrac{3}{2} = 1\dfrac{1}{2}$

(٥) باب المساحة

وهو قياس السطوح المحددة بخطوط مستقيمة، أو بقـــوس أو بدائرة، وقياس الأحجام : كالمجســـم المربـــع (المكعـــب)، الـــهرم، والاسطوانة. ويحوى الباب على القوانين التى تبين مساحة المثلث : الحاد، والقائم الزاوية، والمنفـــرج الزاويـــة. ومســـاحة المعيـــن، والسداسى الأضلاع، والمربع، والمستطيل.

كما توجد مسائل هندسية حلها الخوارزمى بطريقة جبرية.

مثال ذلك

أ ب جـ مثلث أضلاعه

١٥، ١٤، ١٣

والمطلوب حساب مساحته

الحل

ليكن جـ هـ = س

∴ ب هـ = ١٤ – س

و حسب نظرية فيثاغورس :

مربع الوتر = مجموع مربعى الضلعين الآخرين

أ ب^{٢} = ب هـ^{٢} + أ هـ^{٢}

١٥^{٢} = (١٤ – س)^{٢} + أ جـ^{٢} – هـ جـ^{٢}

١٥^{٢} = (١٤ – س)^{٢} + ١٣^{٢} – س^{٢}

١٥^{٢} = ١٤^{٢} – ٢٨ س + س^{٢} +١٣^{٢} – س^{٢}

١٥^{٢}= ١٤^{٢} – ٢٨ س +١٣^{٢}

أى ٢٨ س = ١٤^{٢} + (١٣ – ١٥)(١٣+١٥)

٢٨ س= ٢١٤ + (١٣–٥) (١٣+٥)

٢٨ س = ١٤^{٢} – (٢×٢٨)

٢ س = ١٤ – ٤ = ١٠

س = ٥

∴ أهـ^{٢} = ١٣^{٢} – ٥^{٢} = ١٤٤

أهـ = ١٢

مساحة المثلث هى : $\frac{١٢ \times ١٤}{٢}$ = ٨٤ (٤٥)

(٦) باب المسائل المختلفة

وهى مسائل من الدرجة الثانية، يرمى من ورائها اعطاعنـــا فكرة أو أنماطا معينة من المسائل تكون لنـــا قـــاعدة لحـــل مســـائل متشابهة. وهى تقترب من المعادلات المعروفة فى أيامنا.

أما بعد ذلك فيأتى باب المعاملات، والباب الأخير وهو بـــاب الوصايا، ويحوى مسائل جبرية مختلفة تفيد الورثة والقاضى علـــى حل مسائل الإرث، سواء كان مالاً أو عقاراً، أو غير ذلك.

وهكذا نجد أن الخوارزمى قد وضع أسس علم الجبر، وفصله عن الحساب، حتى لقب بأبى الجبر، كما حل مسائل الجبر بالهندسة، ومسائل الهندسة بالجبر، كما يعود إليه الفضل فى نحـــت وابتكـــار العـــديد مـــن المصطلحات الجبرية، كما ذكرنا ذلـــك فيمـــا ســـبق، ويعود اليه الفضل فى جعل الجبر علما مستقلا ، ومضبوطا.

هوامش الباب الرابع

١ ــ طوقان، قدرى : العلوم عند العرب – دار اقرأ – بــيروت – د. ت. – ص ١٦٧

٢ – مرحبا، محمد عبد الرحمن : المرجع فى تاريخ العلوم عنـــد العــرب – منشورات دار الفيحاء – ١٩٨٧ ص ص ٣٢٧، ٣٢٨

٣ ــ فروخ، عمر : تاريخ العلوم عند العرب – دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٧١ – ص ص ٢٦١، ٢٦٢

وأيضا : السكاف، أسعد نصر الله & مطرجى، محمود : تاريخ العلـــوم عنــد العرب – دار نظير عبود – ط٢ – بيروت – ١٩٨٨ ص ٢٠٧

٤ ــ صبره، عبد الحميد : أبو على الحسن بن الهيثم – ضمن عبقرية الحضارة العربية – ترجمة عبد الكريم محفوظ – الــدار الجماهيريــة للنشــر والتوزيــع والإعلان – طرابلس ١٩٩٠ – ص ص ٢٣٣، ٢٣٤

٥ – طوقان، قدرى : مصدر سابق – ص ص ١٦٧، ١٦٨

٦ ــ تاتون، رنيه : تاريخ العلوم العام (العلم القديم والوسيط) – ترجمة على مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط١ – بيروت ١٩٩٨ – ص ٤٩٣

٧ ــ السكاف & مطرجى : مصدر سابق – ص ص ٢٠٨، ٤٩٣

٨ ــ فروخ، عمر : مصدر سابق : ص ص ٣٦٣، ٣٦٤

٩ ــ المصدر السابق – ص ص ٣٦٤ – ٣٦٦

وأيضا : السكاف، مطرجى : مصدر سابق – ص ٢٠٩

١٠ – راجع : السكاف & مطرجى : مصدر سابق – ص ٢١٠، ٢١١

١١ – راجع : ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء – حـــــ٣ – ص ١٥٤، ١٥٥

١٢ – نفس المصدر – ص ١٥٥، السكاف& مطرجى : مصدر ســـــابق – ص ٢١٠

١٣ – نفس المصدر – ص ص ١٥٤، ١٥٥

١٤ – فروخ، عمر : مصدر سابق – ص ٣٦٩

١٥ – نفس المصدر – ص ٣٦٩

١٦ – نفس المصدر – ص ص ٣٧١، ٤٢٢

وأيضا : السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ص ٢١١، ٢١٢

١٧ – فروخ، عمر : مصدر سابق – ص ٣٧٦

١٨ – نظيف، مصطفى : الحسن بن الهيثم – بحوثه وكشوفه البصرية – القاهرة – ١٩٤٢ – ص ١٣٥

١٩ – الدمرداش، أحمد سعيد : الحسن بن الهيثم – دار الكاتب العربى – القاهرة – ١٩٦٦ – ص ١٠٥ – ١١٠ – عن : السكاف & مطرجى : مصدر سابق – ص ٢١٣

٢٠ – المصدر السابق نفس الصفحات عن : السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ٢١٥

٢١ – السكاف & مطرجى : مصدر سابق – ص ٢١٥

٢٢ – المصدر السابق نفس الصفحة.

٢٣ – تعرف نظرية بطليموس بنظرية الشعاع

٢٤ – فروخ، عمر : مصدر سابق – ص ص ٣٨٠، ٣٨١

٢٥ – المصدر السابق – ص ص ٣٨٨، ٣٨٩

وأيضا : السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ص ٢١٦، ٢١٨

٢٦ – المصدر السابق – ص ص ٣٨١، ٣٨٢

٢٧ – نفس المصدر ٣٩٠، ٣٩١، وأيضا : السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ص ٢١٧، ٢١٨

٢٨ – أورد مصطفى نظيف مسألة ابن الهيثم هذه على النحو الآتى :

"اذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس، فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منهما الى احدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط، والواصل منهما إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس"

انظر : فروخ، عمر : مصدر سابق ص ٤٠٠، وتراث الاسلام – القسم الثالث تصنيف شاخت وبوروث – ص ٢٠٨ – الهامش رقم ٢

٢٩ – راجع : فروخ، عمر : مصدر سابق ص ص ٤٠٠ وما بعدها

٣٠ – نفس المصدر وأيضا مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق ص ص ٣٤٠، ٣٤١

٣١ – المصدر السابق – ص ص ٣٣٠، ٣٣١

٣٢ – طوقان، قدرى : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك – دار الشروق – ط٣ – بيروت – ١٩٦٣ – ص ١٥٨

٣٣ – فروخ، عمر : مصدر سابق – ص ص ٣٣٣، ٣٣٥

٣٤ – المصدر السابق – ص ص ٣٣٥، ٣٣٧

٣٥ – نفس المصدر السابق – ص ص ٣٣٩، ٣٤٠

٣٦ – السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ص ١٩٤، ١٩٥& طوقان، قدرى : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك مصدر سابق – ص ١٥٨

٣٧ – نفس المصدر – ص ١٩٥

٣٨ – فروخ، عمر : مصدر سابق – ص ٣٤١

٣٩ – السكاف& مطرجى : مصدر سابق – ص ص ١٩٦، ١٩٨

٤٠ – حل المعادلة : س٢ + ١٠س = ٣٩ بالطرق الحديثة كالآتى :

$س^٢ + ١٠س - ٣٩ = ٠$

أى (س + ١٣) (س – ٣)' = ٠

∴ س = -١٣

أو س = ٣

وقد أهمل الخوارزمى الجذر السالب (المؤلف)

٤١ – فروخ، عمر : مصدر سابق – ص ٣٤٢

٤٢ – السكاف & مطرجى : مصدر سابق – ص ص ١٩٨، ١٩٩

٤٣ – نفس المصدر – ص ١٩٩

٤٤ – نفس المصدر نفس الصفحة

٤٥ – فضلنا الحل فى هذا المثال للتأكد من النتيجة لأن المصدر الذى أشرنا اليه فى الهامش والذى نقلنا عنه – به خطأ فى جزء من الحل وان كان قـــد وضـــع النتيجة الصحيحة من الخوارزمى.

راجع المصدر السابق – ص ٢٠٠

ملحق

على بن رضوان

رئيس أطباء مصر

عرض لكتاب : د. سليمان قطاية : المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط١ ــ ١٩٨٣ وقد نشر العرض فى مجلة الفيصل ع ١١٠ (شعبان ١٤٠٦هـ - ابريل / مايو ١٩٨٦م)

لقد تناول كثير من الباحثين شخصيات علميـــة تنتمـــى إلـــى الحضارة العربية والإسلامية ولكن حظ "على بن رضوان" كان سيئا، رغم أنه كان مثقفا عصاميا وطبيبا ماهراً، و"جالينوسيا" متمكنا، ترك مؤلفات تشهد على تفوقّه، ويعتبر من أوائل من أشاروا إلى الطـــب النفسى الاجتماعى.

هو "أبو الحسن على بن رضوان على بن جعفر" ولـــد فـــى الجيزة. وكـــان أبوه يعمل فّراناً، كان اسود اللون ولم يكن بجميـــل الصورة. كان عصاميا علم نفسه بنفسه واستطاع أن يصل الى مقام رفيع رغم أصله المتواضع. وقد اختلف المؤرخون والباحثون فـــى تحديد عام مولده وعام وفاته فيرى "ماكس مايرهوف" انه أنه ولد فى عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م، وتوفى ٤٥٣هـ/١٠٦١م، بينما يؤكد القفطـــى أنـــه توفى عام ٤٦٠هـ/١٠٦٧م، ويرى "لوسيان لوكاســـير" أنـــه عـــاش حاولى ثمانين سنة،وخدم الحاكم الذى توفـــى عـــام ١٠٢١م، ويرى ابن أبى اصيبعة أنه عاش حتى عام ١٠٦١م.

وقد عاصر "ابن رضوان" الدولة الفاطمية فى مصر فى فترة كانت مليئة بالتقلبات أدت الى نشاط وسيطرة اليهود، وخاصـــة فـــى مهنة الطب فكان فى عصره "اسحق بن ابراهيـــم بـــن نطـــاس"، و "موسى بن العازر الاسرائيلى"، و "أبو الفتح منصور بن سهلان بـــن مقشر"، و "الحقير النافع". وقد كانوا من الأطباء الممارســين، ولـــم يرق أحد منهم إلى مرتبة العالم التي وصل إليها "ابن رضوان" الذي زادت مؤلفاته على المئة تناولت معظم موضوعات الطب والصيدلة وغيرها.

وقد وضع "ابن أبى اصيبعة" فى "عيون الأنباء" قائمة بأعمال "ابن رضوان" أخذها "ماكس مايرهوف" عنه ودققها وأضاف اليها بعض المخطوطات التى لم يذكرها ابن أبى أصيبعة. وقد تباينت موضوعاتها بين الطب والصيدلة، وسيرة "ابن رضوان" والشروح على "جالينوس" و "أبقراط" والردود والمناقشات مع "ابن بطلان" ومع "ابى بكر الرازى" و"ابن الجزار" وغيرهم ..

وتوجد مخطوطاته متناثرة بين المكتبات، وفى بعضها لا توجد الأصول بل الترجمات العبرية أو اللاتينية، كما ان بعض المقالات توجد ناقصة.

آراؤه وأهم كتبه

إلى جانب اهتمام "ابن رضوان" بالكتابات النظرية فى الطب وممارسته لمهنة الطب، نجده يهتم اهتماما بالغا بالتعليم الطبى وذلك نتيجة لتدريبه فى مستشفيات مصر بعد أن أصبح رئيسا لأطبائها.

وقد كرّس كتابه "النافع فى كيفية تعليم صناعة الطب" للتأريخ للتعليم الطبى، وتقديم آرائه وخبرته ونظرياته الخاصة. وقد سببت آراؤه مناقشات حادة خاصة مع ابن بطلان لأنه – أى ابن رضوان – دافع عن الفكرة القائلة بإمكانية تعليم الطب بدون معلم. وحتى لا يعترى الخلط المعنى الذى يقصده لذا فإننا سوف نعرض طريقته هذه مع ذكر أسبابها.

يقول ابن رضوان : "لما أردنا أن نتعلم هذه الصناعة التمسنا فى مدينة مصر من رأينا أن المتعلمين يقصدونه فى التعليم، وغير

المتعلمين يحمدونه فى الصناعة فقصدناه، وسألناه التعليم فأجابنا الى ذلك ثم أمر أن نحفظ مدخل "حنين" وكنا نشاهد من يقـوم بتدريسـه للمتعلمـين قراءة ولا يفسر مستغلقا ولا يزيد على أن يسمع قـراءة من يقرأ حرفا واحدا. لكن يصغى لقراءة المتعلم فقط، فربما صحف المتعلم أو زيف فلا يشعر هذا المتعلم بذلك. ثم رأينا المنظور اليـه من أطباء هذه المدينة يجرى أمرهم فى تدريسهم هذا المجرى بعينه..

بل أنه يرى أن الأطباء فـى زمانـه لا يفـهمون "أبقـراط وجالينوس" وبذا فهو يؤكد على طريقة التعليم بدون معلم عندمـا لا يجد راغب العلم المعلم الجيد، ولكنه أكـد علـى أن هـذا أمـر لا يستطيعه إلا أصحاب القرائح الجيدة والطبائع الفائقة.

وقد شرط تعليم الطب من الأصول "كتب أبقراط وجالينوس" بشروط ثلاث :

(١) أن يدرس الطالب الهندسة والمنطق أولا.

(٢) إذا انعدم المعلم الكفء الجيد.

(٣) إذا كان الطالب موهوبا وذا قريحة جيدة.

ويضاف الى ذلك أن تعلم الطب من الكتـب يسـتلزم وقتـا طويلا، وان هذه الدراسة لا تكون الا للقسم "النظـرى" فقـط، أمـا "العملى" فلا بد من الممارسة والتدريب على يد معلم جيد.

أما أهمية علم المنطق للطالب، فذلك لأن من عرف المنطـق فى رأيه أمكنه فهم ما فى كتب "جالينوس" وان يصنع من تلقاء نفسه لكتب جالينوس جوامع وشروحا.

وكما اهتم "ابن رضوان" بتعليم الطب، اهتم أيضا بالناحية المسلكية لمهنة الطب، فقد سرد فى "التطرق بالسعادة الى الطب"، وفى "النافع فى تعليم الطب" بعض المظاهر السائدة فى عصره، فبعض الأطباء فى رأيه لا يعرف شيئا عن الأدوية، وبعضهم ما قرأ حرفا ولا ملك كتابا وكان له باسم الطب تكسباً.

بل ونراه فى "دفع مضار الأبدان عن أرض مصر "يقدم النصح للأطباء، فيقول فى الفصل التاسع منه – كما ذكر المؤلف – : "إياك أيها الطبيب إياك والاشتغال عن صناعتك بلذات البهائم من الأكل والشرب والنكاح وجمع المال والمفاخر وحب الصلف والركوب والملبوس وغير ذلك من الأشياء التى يتفاخر بها وتمويه على العوام بمخالطة ذوى اليسار وتطويل اللحية والشيب ..، ويضرب الأمثلة عن أناس يدعون العلم ويتظاهرون به حتى يظن العوام أنهم أهل حكمة وبراءة وهم لا يفقهون شيئا فى صناعة الطب.

وبعد أن ينتقد الجهل والادّعاء المتمثل لدى بعض ممارسى الطب فى عصره، يقدم لنا الطبيب الفاضل، فيصفه بصفات كثيرة ودقيقة تنهل من قسم "أبقراط"، وهذه الصفات تتمثل فى كونه تام الخلق صحيح الأعضاء، ذكيا، ذَكورا، عاقلا، حسن الملبس، نظيف البدن، كتوما لأسرار المرضى ورغبته فى ابراء المرضى أكثر من رغبته فى الأجر الذى يلتمسه، ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء، يحرص على التعليم والمبالغة فى منافع الناس، وأن يكون سليم القلب عفيف النظر لا يخطر بباله شىء من

أمور النساء، وأن يكون مأمونا ثقة على الأرواح والأموال، لا يصف دواء قتالا، ولا دواء يسقط الأجنة، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه.

ويكرس "ابن رضوان" الصفحات من "النافع فى تعلم الطب" لشرح وجهة نظره فى المداواة واختيار الأدوية، ويشدد على وجوب تعرف الطبيب على الأعشاب فيقول "وأوامر "أبقراط" و"جالينوس" "ودياسقوريدوس" الأطباء بمشاهدة الأدوية فى ميدانها وانتهائها ومعرفتها عينا لا خبرا واعتبار قواها قبل استعمالها. وذلك لأن التجار والصيادلة يرغبون فى الربح فقد يبيعون دواءً غير الدواء المطلوب. كما أنه يؤكد على أن الأدوية تتغير على مّر الأيام، ولذا يجب اختيارها والاصرار على الدواء المقصود علميا لا غيره.

ويقدم الكتاب نماذج من الكتب ،فنراه يقسمها فى فصول متتابعة بشكل منهجى دقيق، يدل على قدرة فائقة وذكاء حاد لا يمكن أن يتوفرا إلا لعالم يجمع بين النظر والتطبيق.

وعلى سبيل المثال فان كتاب "دفع مضار الأبدان بأرض مصر" تتتابع فصوله بشكل منهجى دقيق ودراسة صبورة متأنية، تبحث كل ما يتعلق بالمرض حتى يصل فى النهاية إلى الطريق الأمثل لتجنبه والمحافظة على الصحة، مرورا بدراسة البيئة وأثرها على الانسان، متضمنا فى ذلك أثر الماء والهواء بل والأحداث النفسانية وغيرها.

كان ابن رضوان شغوفا بالجدل والحوار، فقد اشتبك مع "أبى الحسن بن بطلان البغدادى" و "ابن الجزار"، كما انتقد من الأوائل "الرازى"، و "حنين بن اسحق"، و "أبا الفرج الطيب".

وفى الوقت الذى كان "ابن رضوان" يؤكد على العودة الى الأصول - "لجالينوس"، و "أبقراط" - كانت عادة الاعتماد على الاختصارات، والكنانيش، والجوامع قد انتشرت لسهولة قرائتها وفهمها.

نقده للرازى

قرأ "ابن رضوان" "للرازى" (الحاوى) فحسب فيما يبدو، أن الرازى ليس الا طبيبا من أصحاب الحيل، وقد انتقد الرازى فى (النافع من كيفية صناعة الطب) : "حتى ان أبا بكر الرازى يأمر كل طبيب أن يضع كناشا لنفسه، فكثرت لذلك الكتب وامّحت محاسن صنعة الطب واضطربت فضائلها لأن أمر الناس مبنى على حبّ اللذة والراحة، فاستراحوا بالكنانيش والجوامع، وتركوا التعلم، فنسى طريق أبقراط للتعلم وطريق جالينوس.

وكان رغم هجومه على الرازى من خلال كتابه "الحاوى" الا انه يعود ويضع كتاب الحاوى ضمن الكتب التى يجب أن توضع الى جانب كتب " أبقراط وجالينوس .. " الأمر الذى يدعونا إلى القول بأنه كان يحترم الرازى ويقدسه ولكنه يختلف معه فى بعض الأمور وخاصة عندما كان الرازى ينتقد آراء "جالينوس" ويختلف معه. لأن " ابن رضوان" كان شديد الاخلاص "لجالينوس" وقد كان متمسكا

بالأشياء السطحيـه في نقد "الرازى"، واستخدم فى نقده ألفاظا غـير مستحبة كقوله "قدل بجهله بمعانى القسمة، وعبارته فى حدهـا مـع طولها عبارة ثقيلة ليس لها بهجة ولا فصاحة، ودل أيضا على أنه لا يفهم طريق القدمـاء .." وغيرها مـن النعـوت والصفـات غـير المستحبة وكان متعصبا "لجالينوس" لا يقبل أى انتقاد يوجه إليه رغم انتقاداته الشديدة للآخرين.

نقده لابن الجزار

أما بالنسبة "لابن الجزار" الذى عاش نيفا وثمانين سنة ومات "بالقيروان" ووُجِدَ له أربعة وعشرون ألف دينار وخمسة وعشـرون قنطارا من الكتب الطبية وغيرها، وترك كتبا كثـيرة مـن تآليفـه أشهرها (كتاب فى علاج الأمراض) ويعرف "بزاد المسافر" ويقع فى مجلدين، ومنها (كتاب فى نعت الأسباب المولدة للوباء فـى مصـر وطريق الحيلة فى دفع ذلك ولعلاج ما يتخوف منه). وهـو الكتـاب الذى دفع "بعلى بن رضوان" الى تأليف كتاب "فى دفع مضار الأبدان بأرض مصر" وفيه يرد على الكثير من أفكار الجزار.

وقد انتقد الجزار لأنه لم يستق ما يستقصى مما يحتاج اليـه المصريون من تلخيص القول واستيفاء الوصف فى ذكـر الأسـباب البديلة وما يحدث عنها وما يدفع به ضررها، وكان سبب النقصـان أنه من أهل المغرب ولم يعاين مصر معاينة اختبار وامتحان ولكـن سمع بها سماعا.

ولقد كان ابن الجزار صاحب الفضل فى دفع "ابن رضـوان" الى طرق الموضوع وتأليف كتابه النفيس المليء بالمعلومات الدقيقة

عن العادات والأمراض والأوبئة فى مصر فى تلــك الحقبــة مــن الزمن.

ونرى "ابن رضوان" فى مناقشة "لابن الجزار" يناقش بدقــة وعلم علاقة الطقس مع الأخلاط وما ينجم عنها من أمراض وأوبئة. وينتقد قول "ابــن الجزار" فى أن النيل مضر بكل من سكن مصــر ضررا محســوسا، متعجبا، كيف يكون النيل وهو السبب الأعظم فى سكنى هذه الأرض سببا فى الضرر، فالنيل لا يحدث مرضا فى رأى "ابن رضوان"، ولكن اذا أفرطت زيادته عن الحاجة كان ذلك ســببا لحدوث المرض، وهذا أمر غاب عن "ابن الجزار" حتى أغفله وهــو عمدة ما يحتاج اليه هذا الفن "أى الطب".

لقد كان ابن رضوان عالما، قادرا على تفهم الطــب حســب نظريات ومفاهيم "أبقراط" و "جالينوس". ودقيقا فى مراقبته لأحوال بلاده وساكنيها، متمتعا بروح علمية ومنطقية عالية، فقد وصل الــى نتائج دقيقة وصحيحة. واذا كانت الدراسات قد أهملته، أو كان حظه معها سيئا، الا أنه قد جاء الوقت بفتح الأبواب أمــام التنقيــب عــن آثاره، ودراسته دراسة مستوعبة وتحقيق مخطوطاته وترجمــة مــا يوجد منها فى المكتبات بلغات غير العربية (لاتينية أو عبرية ..).

خاتمة

انتقال التراث العربي والإسلامي الى أوروبا

فى الوقت الذى كانت الحضارة العربيـــة والاســلامية فـــى أوجها. وكان العلم العربى فى كافة المجالات من طـــب وصيدلـــة، وعلوم بحتة، موسيقى وفلك، وجغرافيا .. وغيرها قد بلغ درجة فائقة من التقدم، وكان العرب قد أضافوا الكثير – كما أسلفنا – سواء فـــى مضمون العلم، أو منهجه، بل ووضعوا أسس العديد مـــــن العلـــوم، وحولوها من علوم تختلـــط بها الخرافة،والسحر إلى علوم مضبوطة .. فى ذلك الوقت كانت أوروبا تعيش فى غياهب العصور الوسطى، وقد نخرت فى عظامها الحروب، وسيطرة رجال الدين، ولذا كــــان اختلاط العرب بالأوربيين اختلاط قتال فى البدء ثـــم تحـــول إلـــى اختلاط حضارة وثقافة وأفكار بعد ذلك.

وقد تنبه الأوربيون فى معاركهم مع العرب إلى قوة العـــرب التى كانت تكمن فى تقدمهم الحضارى والعلمى، ولذا عملوا جاهدين على الاستفادة من العلم والحضارة عند العرب، ومـــــن هنـــا كـــان التفاعل الثقافى والحضارى، وانتقلت الحضارة والعلوم من الشـــــرق الى الغرب لتضع أسس العالم الجديد، عالم عصـــــر النهضـــة ومـــا بعدها.

ولقد تعددت الطرق التى سلكها التراث العربى الاسلامى إلى الغـــرب،فقد غزت النهضة العربية عقـــول الأوروبييـــن وأفهامـــهم فاختلفت ردود أفعالهم تجاهها بين مقاومة عنيفة، أو اندماج معـــــها، والمساهمة فيها. فكان لقاء بين فكر وصل درجة فائقة من الرقـــى، ومناهج وضعت على أسس تجريبية وعقلية وبين فكر يتلمس الطريق إلى الصواب، ويعمل جاهدا على الاستفادة من العلم العربى الوافد.

وقد تمت عملية الإخصاب هذه بين الفكرين العربي والأوروبى خلال مسالك ثلاثة :

- ***الأول :*** فى صقلية وجنوب ايطاليا.
- ***الثانى :*** فى الأندلس ومدينة طليطة.
- ***الثالث :*** الحوب الصليبية. (١)

لقد فتح العرب صقلية عام ٢١٢هـ وعلى أيدى الأغالبة الذين وفدوا إليها بعقلياتهم وثقافتهم ومذاهبهم، ومعهم طائفة من الكتب العربيةأو المنقولة إلى العربية والمتنوعة فى ثقافاتها. (٢)

وكانت صقلية ترزخ تحت الحروب والفتن، ولكن ما لبثت أن انطفأت جذوة الحروب، حتى ازدهرت علوم الفقه والحديث، واللغة، والفلسفة، والطبيعة والهندسة، والنجوم، والطب.

كما أنشأ العرب فى صقلية – وخاصة فى "بالرمو" التى اتخذوها عاصمة لهم – أنشأوا مدرسة للطب، وعلى غرارها أنشئت مدارس للطب فى إيطاليا.

واستمر العرب فى صقلية إلى سنة ٤٨٤هـ عندما سقطت فى أيدى "النورمان" الذين ساروا على نهج العرب فى التسامح وتنشيط الحركة العقلية، فأبقوا المسلمين على عاداتهم ودينهم ولسانهم. واستعملوا فريقا كبيراً منهم فى حروبهم وحاشيتهم. فكان منهم القواد والعلماء، وظلت اللغة العربية لغة رسمية فى الجزيرة طوال حكم النورمان. (٣)

ولم ينقطع سيل الكتب والعلماء عن غزو صقلية، بل لقد ظلت هذه الجزيرة تستورد الكتب والعلماء من الخارج، وساعد على

ذلك تسامح النورمان إزاء المسلمين، ومساعدتهم. فقد استحضروا الكتب الجغرافية المؤلفة بالعربية أو المترجمة اليها من اليونانية : وعلى سبيل المثال نجد "كتاب العجائب" للمسعودى. وكتاب الجغرافية لبطليموس ورسيوس. وفى أيام (غليوم الثانى) ازدهرت حركة الترجمة سواء من العربية أو اليونانية وكان من أشهر المترجمين (انريكو اريستيبو **E. Aristippo**) الذى ترجم الآثار العلوية لأرسطو، ومحاورتى (فيدون) و (مينون) لأفلاطون. وكان يوجين البالرمى أشهر المترجمين عن العربية الذى ترجم الى اللاتينية كتاب (المجسطى) و (المناظر) لبطليموس، وكتاب (كليلة ودمنة). (٤)

لم يكن دور العرب بالنسبة للحضارة هو مجرد إنقاذ الحضارة الإغريقية من الزوال ثم تنظيمها وترتيبها وأخيرا إهداءها إلى الغرب فحسب، "انهم مؤسسوا الطرق التجريبية فى الكيمياء والطبيعة، والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية فى مختلف فروع العلوم والتى سُرق أغلبها ونسب إلى آخرين. قدم أثمن هدية، وهى طريقة البحث العلمى الصحيح التى مهدت أمام الغرب طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم.

ولعل أبرز رجال الغرب الأوائل الذين بهرتهم حضارة العرب ولم يخجلوا من الارتباط بهم هو قيصر الصقلى (فردريك الثانى) أحد القياصرة الأعلام فى التاريخ". (٥)

وقد رأى (سيزكين) أن بداية انتقال العلوم المتطورة من بلاد العرب الى الغرب كانت مع بداية القرن الثـــالث الـــهجرى. "فقــد ترجمت بعض الكتب فى الكيمياء والطب وأحكام النجوم من اللغـــة العربية الى اليونانية فى القسطنطينية حـــاضرة الدولـــة البيزنطيـــة. ولكن المستوى العلمى فى الدولة البيزنطية كان غـــير مناســـب لأن تؤتى هذا الترجمات ثمرتها المنشودة". (٦)

أما فى الأندلس فقد كانت فترة حكم العرب. وما تلاها مـــن فترات الحروب، ثم السلم – كانت فترات ارتباط زمانا ومكانا بيـــن العرب والأسبان ـــ وعن طريق الاحتكاك سواء فى الســـلم أو فـــى الحرب.

عرف الأسبان ما كان للمسلمين من تقدم فى العلـــوم، ومـــن نظم إدارية وسياسية وتجارية وثقافية، وكانوا يميلون إلى الأخذ بها، ودراستها، والاستفادة منها.

وبعد خروج العرب من الأندلس أخذ ملوك (قشتالة) يعملون على رفع مستوى الثقافة بين سكان الأندلس، فاهتموا بنقـــل نفـــائس وكنوز الثقافة العربية الاسلامية إلى لغاتهم، ومن هنا ظهرت مدارس الترجمة التى نقلت كافة العلوم التطبيقية والبحتة، والعلوم الانسانية. وقد كانت طليطلة مهدا لهذه الحركة، فانتشرت فيها المكتبات التـــى نقلت إليها من المشرق آلاف المجلدات. وكانت الترجمة تتـــم مـــن العربية إلى اللاتينية عبر العبرية، اذ يقوم اليهـــود بنقل الكتاب الـــى العبرية من العربية، ثم يعاد نقله مرة أخرى إلى اللاتينيـــة. وكـــان

اللاتينيـــة. وكان المترجمون ينتمون الى طوائف ثلاث : المسلمين، والنصارى، واليهود وكان اليهود هم همزة الوصل بين الطائفتين.

وكان ريموندو **Raimodo** أسقف طليطلة وكبير مســـتشارى ملوك قشتالة آنذاك، وهو الذى شجع حركة الترجمة ونقــــل الكتــب العربية إلى اللاتينية. وكان فعله هذا يمثل حدثا حاسما ترك أكـــبر الأثر فى مصير أوروبا كما يقول (رينان). (٧)

ويرى (سيزكين) (٨) أيضا أن طريق الأندلس كان هو أحـــد الطرق الرئيسية فى انتقال المعرفة عن المسلمين، إذ أن الترجمة لم تكن الطريق الوحيد، بل كان الاحتكاك المباشر له أهمية كبرى أيضا كما حدث فىالأندلس.

ويرى أن أقدم ما ترجم كان كتابا فى علـــم الفلــك. ومـــن الطبيعـــى – من وجهة نظره – ألا ينتظر منهم فى هـــذه المرحلـــة المبكرة أن يستطيعوا ترجمة الكتب النظرية ذات المسائل المعقـــدة. فكانت أقدم ترجماتهم تتعلق بالاسطرلاب والهندسة العملية. والجدير بالذكر هنا أن المترجمين لم يجدوا فى كثير من الأحوال اصطلاحات لاتينية مقابلة للاصطلاحات العربية، مما اضطرهم الــــى افـــتراض الاصطلاحات العربية كما هى. (٩)

وفى الأندلس كان ازدهار الترجمة، وكانت رعاية المترجمين مما شكل أساسا لنهضة أوروبية فيما بعد.

وكان على رأس المترجمين الأسقف دومنيكوس غونديسالفى **Gundisalvi** المتوفى عام ١١٨٠م، وهو من كبار رجـــال كنيســـة طليطلة. كما شارك فى الترجمة يوحنا بن داود الاشبيلى. فنقلا معا

بعض مؤلفات "ابن سينا" كالنفس، والطبيعة، وما وراء الطبيعة، وبعض آثار الغزالى : مثل : مقاصد الفلاسفة. أما "يوحنا الأسبانى الفلكى" فقد ترجم من العربية الى اللاتينية بعض كتب أبى معشر الفلكى والفرجانى علم ١١٣٤م وبعض كتب الرياضة للخوارزمى التى انتقل بفضلها النظام العشرى فى الحساب إلى أوروبا. وبفضل هذه الكتب أيضا عرفت أوروبا "الصفر" فادخلته فى نظامها العددى. وبذلك استغنت عن الطريقة القديمة فى الحساب، وهى الطريقة التى كانت تعتمد على القيم العددية للحروف الأبجدية(١٠).

أما "جيراردو الكريمونى" المتوفى سنة ١١٨٧م والذى كان مهتما بعلم الفلك العربى، فقد أخذه "فردريك الأول" من بمونا" إلى أسبانيا، وذهب إلى طليطلة لجلب "المجسطى" من هناك - ولم يكن يعلم أنه قد سبقت ترجمته - فبقى هناك أكثر من العشرين سنة، ونقل خلالها فلسفة "الكندى" والعديد من الكتب الهامة فى الطب والفلك والفلسفة والرياضيات.

وقد دفع الأسبان الى النقل والترجمة عن العرب عدة أسباب منها : (١١)

- الدفاع عن الديانة المسيحية، وذلك عن طريق التعرف على آراء العدو، ودراستها لمعارضتها واظهار تفوق العقيدة المسيحية عليها، من باب : اعرف عدوك.
- ومنها أيضا الرغبة فى تحصيل العلم والمعرفة، خاصة أن أسبانيا، كانت تعانى من فقر ثقافى شديد، وتخلف كبير.

• رغبة المغلوب دائما فى تقليد الغالب، ورغبة الضعيف فى التشبه بالقــوى، فقد كان العرب أقوياء، ولهم الغلبة، ولذا حاولت أوروبا أن تتشبه بالعرب فى ذلك الوقت.

ومن مصادر نقل الثقافة العربة أيضا، بالاضافة الى الندلــس وصقليــة كانت الحروب الصليبية، وكانت عبر جسور دائمــة مــع أوروبا تتمثل فى مصر والشــام والمغــرب، وان كــانت الأندلــس وصقلية من أهم مراكز الاتصال بالغرب.

ومن خلال الحروب الصليبية استفاد الأوربيون كثــيرا فــى اتصالهــم بالشـــرق العربــى والاســلامى، فنجــد أن "بطــرس بيريجرنيوس" - ومعناها المحارب الصليبى - قد جلب معــه مــن الشرق - بعد عودته من الحرب — معارف فنية تتعلق بفــن البنــاء العربى، ومعدات حصار، كما جلب أيضا غير معدات الحرب علــم المغناطيس والبوصلة. وقد رسم بطرس فى رسالته هــذه البوصلــة العربية، وتدريجات حول المغناطيس بأرقام عربية. (١٢)

وترى "ريغريد هونكه" (١٣) أنه الى جانب "أرسطو طاليس" الذى لم يكن شعبيا ولا محبوبا فى أوروبا آنذاك. يأتى ابــن ســينا، والغزالى (الفيلسوف الأكبر)، وكذلك العالم الطبيعى ثابت بن قــرة، والبتانى، وبصفة خاصة الحسن بن الهيثم أستاذ البصريات الأكبر فى أوروبا. لقد قدم ابن الهيثم للأوروبين اكتشافات ثمينة. فقد ســقطت حوافــز البصريات العربية على أرض مواتية فى أوروبا، وعلـــى الرغبة فى فكر علمى تجريبى بعيداً عن الأيدلوجيات - علـــى حـــد

تعبيرها – وبذلك نهضت أوروبا التى كانت تستعد لتخلع ثوب العصور الوسطى الظلامية.

حين صنعت ترجمات كتب حسين الرماح الحربية، والكيميائيين العرب الآخرين منذ القرن الثانى عشر، المواد الكيميائية المتفجرة فى مصانع البارود كوسيط دافع للقذائف المستعملة فى معارك ضد الغزو الصليبى، كان "روجر بيكون" على علم بصيغة المسحوق الناسف من خلال الكتب العربية. وقد أكد "بيكون" نفسه ما نقل اليه بالسماع من دمياط بمصر عن طريق المحاربين الصليبيين الذين أصابهم الذعر، حيث أعدت القذائف العربية المتفجرة استقبالا ساخنا لجيش القديس لودفيج عام ١٢٤٩، وأوقعت الملك الفرنسى فى ذعر شديد – جعلته يصيح : يا عزيزى السيد المسيح. وقد رأى بيكون أن هذا الاكتشاف الجديد يقلب موازين الحروب ويجعلها تحسم دون سيف أو سواه مما يستدعى الاحتكاك الجسمانى. بل وقد استخدم العرب مدافع البارود فى أسبانيا أيضا فى الفترة ١٣٢٥، ١٣٣١، ١٣٤٢ أى بعدما يقرب من خمسة وسبعين عاما على الحادث الأول فى دمياط – وتمكنوا من تفريق جيوش الشمال الأسبانى المدعمة من قبل الفرنسيين والانجليز. (١٤)

وهكذا، وبشهادة المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكة" نعلم أن العرب قد فاجأوا أوروبا بالعديد من الاكتشافات، ومنها ما استطاعوا استعماله فى الحرب، وتفوقوا به على الأوروبيين، – وفى نفس الوقت – كانت أوروبا تستعد لكى تحتل مكانة بارزة فى العالم، فلم تقف مكتوفة الأيدى أمام التقدم العربى، بل عملت جاهدة على

استيعابه، والأخذ به، ثم تطويره فيما بعد، مما أنتج العلم الأوروبـــى فى العصر الحديث.

لقد استفاد الأوربيون من الحروب الصليبية فبالإضافة الـــى اكتشاف البارود والأســـلحة المتفجـــرة، كـــانت الآلات الموســـيقية العسكرية شيئا جديدا على الصليبيين. وقد تمثل دورها الرئيسى من الناحية العملية فى مجموعة آلات الطبول، وكذلك الأبواق العربيـــة. (١٥)

كما كانت توجد مجموعة من الموسيقيين المغاربة، والعـــرب المشارقة فى بلاطات النورمانديين فى صقلية. كما نجد فى مفردات اللغة الأسبانية اقتباسات لفظية عـــن الآلات، ومصطلحـــات تتعلـــق بالغناء والرقص مثل النشيد Anejir وليلة Leilla والزمـــر Zamra.

أما على مستوى الشهادة الفنية الأكثر تعقيدا فان الشهادة الواردة فى كتاب "فن العفق اللمبوتى" **Ars de plasatione lambuti** المجهول المؤلف (١٤٩٦-١٤٩٧) توحـــى بأن هناك أصلاً عربياً لشكل واحد من التدوين للآلات الموسيقية. (١٦)

أما فى ميدان الجراحة فنجد أن كتاب "التصريف لمن عجـــز عن التأليف" للزهاوى قد ذاع ذيوعا واسعا فى أوروبا عندما ترجـــم الى اللغة اللاتينية على يد "جيرارد الكريمونى" وترك هـــذا الكتـــاب أثراً كبيراً فى ايطاليا وفرنسا، واستمر الاهتمام بـــه إلـــى العصـــر الحديث. (١٧)

ويعدّ هذا الكتاب كشفا هاما بالنسبة للأوروبيين. وقد مثـــل القسم الثالث من هذا الكتاب كشفاً هاماً بالنسبة للأوروبين وقد مثـــل

القسم الثالث من هذا الكتاب دورا هاما فى أوروبا، إذ وضع أســـس الجراحة الأوروبية وخاصة بهذا الفرع من الطب الذى طالما نظـــر اليه أصحاب الأمر والشأن فى البلاد العربية نظرة احتقار، وتسفيه، فصارت الجراحة مستقلة بذاتها ومعتمدة فى أصولـــها علـــى علـــم التشريح. (١٨)

وكنموذج فريد لتأثير التراث العربى الاسلامى على الغرب، نجد أن مؤســس علــم التشريــح الحديــث "اندريــاس فيســاليوس **Andraeas Vessaluis**" نشر عـــام ١٥٣٨م جداولـــه التشريحيـــة كدراسة تمهيدية لمؤلفه الرئيسى المعروف باسم "الصنعة **Fabrica**" الذى كتبه عام ١٥٤٣م. وقد ورد فى النص اللاتينى لهذه الجـــداول عدد كبير من المصطلحات العربية والعبرية. فقد حملـــت جـــداول فيساليوس التشريحية التراث العربى فى الطب إلى مطالع العصـــور الوسطى. (١٩)

ويؤكد "مارتن بلسنر" أن مؤلفات المسلمين الطبية التاريخية، تشكـــل جزءا من التراث الذى خلفه الإسلام للغرب، وهو تـــراث لا زالت أهميته وتأثيره مستمرين الى اليوم". (٢٠)

ومن الجدير بالذكر أن تأثير العرب على الغرب كان شاملا، ولم يترك مجالا واحدا من مجالات العلم، فكان التأثير فى مجـــالات الرياضيات والفلك والموسيقى والطب، والعلوم التطبيقية كالكيميـــاء والفيزياء والنبات وغيرها إلى الفلسفة والعلوم الانسانية بشكل عـــام. فقد كانت أوروبا شديدة النهم الى النهل من العلم الجديـــد، والأخـــذ

بأسباب الحضارة، فكانت المدارس والجامعات، والترجمة، ثم كانت الإضافات التى وضعت أسس العلم الحديث.

واذا كان العرب قد أخذوا ما كان معروفا من علم ومعرفـــة فى البيئات الأجنبية منذ أوائل القرن الأول الـــهجرى، دون حوافــز نفسية ودون مانع دينى، فوصل إليهم فى القرن الأول الهجرى النظام البطليمـــوسى فى الفلك، وفى هذا النظام القول بـــأن شكـــل الأرض كروى، خلافا لتصور العرب قبل الاسلام بأن الأرض مســتوية وان السمـــاء قبة عليها. لقد أخذوا عرض بطليمـــوس دون أن يجـــدوا تعارضا بينه وبين الدين والعقيدة. (٢١).

ثم تطور العرب بعد ذلك الى أن كانت النتائج الباهرة التـــى حققوها فى العلم على أيدى العلماء الأفذاذ، أمثال ابن ســـينا، وابـــن النفيس، وابن الهيثم، وثابت بن قرة، وجابر بن حيـــان، والـــرازى، والخوارزمى، وغيرهم ..

وكان على الحضارة الأوروبية التى ترغب من النهوض من سباتها، ان تأخذ بأسباب التقدم، وأن تلتفت إلى الدولة العربية القويـــة التى أخذت بأسباب العلم والتحضر. وكان الاتصال، سواء بشكـــل مباشر، أو غير مباشر وسواء فى الأندلس، أو فى الحوب الصليبية. جاء هذا الاتصال فى البدء دون قصد، ثم صار هدفاً وغاية. وبـــهذا عمل الغرب على نقل العلوم المتطورة فى إطار الحضارة العربيـــة الاسلامية.

وبعد أن انطلقت الترجمة فى الأندلس أخـــذت تتحـــول الـــى مراكز أخرى فى انجلترا وايطاليا. وكان الطريق يمر عبر صقلية،

وعبر المغرب العربى. فمن المعروف أن مـــا نقلـــه "قســطنطين الافريقى" يجاوز السبعين كتاباً عربياً الى "سالرنو" وذلك عن طريق الترجمة أو نسبة بعض الكتب اليه منها على سبيل المثـــال : كتـــاب "كامل الصناعة الطبي" لعلى بن موسى المجوسى ظل متداولاً لا عند الأطباء على أنه من مؤلفات قسطنطين الافريقى إلى أن تمت ترجمة الكتاب الأصلى فلفتت الحقيقة أنظار الناس. (٢٢)

وقد استمر الأوروبيون ينهلون من الكتب العربيـــة ترجمـــة واقتباسا، وفى القرن الرابع عشـــر زاد عـــدد المشتغليـــن بـــالعلوم المترجمة عن العربية، واعتاد كثير منهم تأليف كتب مرجعية ضخمة فيها تلخيص للكتب العربية المترجمة ولكن هؤلاء الملخصين اعتادوا حذف أسماء العلماء العرب، وذكروا بدلا عنها أسماء علماء الاغريق المشار اليها فى المصادر العربية، فقد ذكروا بطليموس وكتابه فـــى الفلك مع أن مصدرهم كان كتاب البتانى. صحيح انه أخـــذ النظـــام البطليموسى ولكن كتابه كان يحتوى على اكتشافات مهمة بالمقارنـــة ببطليموس. (٢٣)

وقد اتخذ الأوربيون هذا الموقف من العلمـــاء العـــرب منـــذ القرن الربع عشر – كما يرى سيزكين – (٢٤) لعاملين هامين :

- ***أولا :*** ظهور التيار المناهض للعربية، وقد نشأ هذا التيـــار فـــى نهاية القرن الثالث عشر، فكانت بداية العقدة النفسية تجاه العلمـــاء العرب. ورائد هذا التيار هو : "رايموندس لولوس Raymundus Lullus" وقد وصل إلينا من كتبه أكثر من عشرين كتابا، اتضـــح من بحثها أنها كتب عربية.

• ***ثانيا :*** الطموح والولوع بالتفوق الحضارى، فكانت الاكتشافـــات المهمة للعلماء المسلمين تنسب إلى يومنا هذا الى علماء أوربيين ، ومن هذا القبيل اكتشاف الحجرة المظلمة فى البصريات، وكشف المثلثات الكروية، والآلة الفلكية المسماة عصا يعقوب، وتأســيس التجــربة وهى مكتشفــات نسبــت دون حــق الى "ليفـــى بــن جريسن Levi Ben Gerson " وذاعت شهرته بها. واليوم نعرف المكتشفين الحقيقيين لها من العلماء العرب والمسلمين.

وهكذا حاول الأوروبيون إخفاء حقيقة العلم العربى، أو نسبة أهم اكتشافاته إلى أوروبيين. بل ان عصر النهضة الأوربية الذى – قبل خطأ – أنه الميلاد الجديد للعلوم الاغريقية فى أوروبا كان قائما بكامله على العربية، واذا كان بعض مؤرخى العلوم الأوروبيين قــد عملوا على طمس الحقيقة، فانه قد حان الوقت لكى يسهم البـــاحثون المتخصصون فى كشف كل هذه الحقائق. وهذا ليس لمجرد البحث، ولكن لكى نأخذ من ماضينا العبرة، ونستعيد نهضتنا وقوتنا وتقدمنا، ونبنى حضارتنا الجديدة على أسباب العلم والمعرفة.

هوامـــش الخاتمـــة

١ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ٦٥

٢ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ٥٦٦

٣ ـــ نفس المصدر - ص ٥٦٦

٤ ـــ نفس المصدر - ص ٥٦٧

٥ ـــ هونكه، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب - مصدر سابق - ص ص ٤٠١، ٤٠٢

٦ ـــ سيزكين، فؤاد : مصدر سابق - ص ١٢١

٧ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ٥٦٨

٨ ـــ سيزكين، فؤاد : مصدر سابق - ص ١٢١

٩ ـــ نفس المصدر - ص ص ١٢١، ١٢٢

١٠ ـــ مرحبا، محمد عبد الرحمن : مصدر سابق - ص ٥٦٩

١١ ـــ المصدر السابق - ص ٥٧١

١٢ ـــ هونكه، زيغريد : العقيدة والمعرفة - ترجمة عمر لطفى العـــالم - دار قتيبة - ط١ - بيروت - ١٩٨٧ - ص ص ١٧١، ١٧٣

١٣ ـــ نفس المصدر - ص ص ١٧٣، ١٧٥

١٤ ـــ نفس المصدر - ص ص ١٧٦، ١٧٧

١٥ ـــ رايت، أ.و : الموسيقى - مصدر سابق - ص ٣٨٦

١٦ ـــ نفس المصدر - ص ص ٣٨٨، ٣٩٠

١٧ ـــ نصر، سيد حسين : العلوم فى الاسلام، الدار العربية للكتاب - طرابلس - ١٩٧٨ - ص ١٥١

١٨ ــ هونكه، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب - مصدر ســـابق - ص ٢٨٨

١٩ ــ بلسنر، مارتن : العلوم الطبيعية والطب - مصدر سابق - ص ١٢٨

٢٠ ــ نفس المصدر - ص ١٤٨

٢١ ــ سيزكين، فؤاد : مصدر سابق - ص ص ١٢٠، ١٢١

٢٢ ــ نفس المصدر - ص ١٢٥

٢٣ ــ المصدر السابق - ص ١٢٩

٢٤ ــ نفس المصدر - ص ص ١٢٩ - ١٣١

المـراجـع والمصـادر

١ ــ ابن أبى أصيبعة :
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء - بيروت - ١٩٦٥
٢ ــ ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسى المالقى :
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية - القاهرة - ١٢٩٠هـ
٣ ــ ابن النديم :
الفهرست - القاهرة - ١٩٤٨
٤ ــ ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان :
طبقات الأطباء والحكماء تحقيق فؤاد سعيد - القاهرة
٥ ــ ابن سينا :
القانون فى الطب - دار صادر - بيروت
٦ ــ أبو ريان، محمد على :
تاريخ الفكر الفلسفى - أرسطو والمدارس المتأخرة - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية - ١٩٧٦
أبو ريان محمد على :
٧ ــ الفلسفة الاسلامية - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية - ١٩٩٠
٨ ــ أبو ريان محمد على :
تاريخ الفكر الفلسفى - الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون - دار المعرفة الجامعية - الأسكندرية - ١٩٧٦
٩ ــ البدرى، عبد اللطيف :
من الطب الآشورى - الطبعة الأولى - د.ت.

١٠ ــ الجميلى، رشيد حميد حسن :
حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة - مؤسسة الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع - طرابلس - ١٩٨٢
١١ ــ الحمارنة، سامى :
أبو بكر محمد بن زكريا الرازى - ضمن كتاب عبقرية الحضارة العربية - ترجمة عبد الكريم محفوظ - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان - طرابلس - ١٩٨٦
الحمارنة، سامى :
١٢ ــ تاريخ الطب والصيدلة عند العرب - القاهرة - ١٩٦٧
١٣ ــ الخوارزمى، محمد بن موسى : كتاب الجبر والمقابلة - تقديم على مصطفى مشرفة، ومحمد مرسى أحمد - القاهرة - ١٩٣٩
١٤ ــ السكاف، أسعد نصر الله& مطرجى، محمود :
تاريخ العلوم عند العرب - دار نظير عبود طــ٢ - القاهرة - ١٩٨٨
١٥ ــ الشطى، أحمد شوكت :
موجز تاريخ الطب عند العرب - جامعة دمشق - ١٩٥٩
١٦ ــ الشطى، أحمد شوكت :
تاريخ الطب وآدابه وأعلامه - دمشق - ١٩٦٧
١٧ ــ الطويل، توفيق :
فى تراثنا العربى والاسلامى - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٩٨٥
١٨ ــ العبد، عبد اللطيف محمد :

أصول الفكر الفلسفي عند أبى بكر الرازى - الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٧
١٩ ـــ الغزالى، أبو حامد :
تهافت الفلاسفة - تحقيق سليمان دنيا - دار المعارف - ط٦ - القاهرة - د.ت
٢٠ ـــ القفطى، جمال الدين :
إخبار العلماء بأخبار الحكماء - دار الآثار للطباعة والنشر - بيروت - د.ت
٢١ ـــ الهاشمى، محمد يحيى :
الامام الصادق ملهم الكيمياء - القاهرة - ١٩٥٩
٢٢ ـــ الهونى، فرج محمد :
تاريخ الطب والحضارة العربية والاسلامية - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان - طرابلس - ١٩٩٠
٢٣ ـــ أمين، أحمد : ظهر الاسلام - حـــ٤ - مكتبة نهضة مصر - ط٣ - القاهرة - ١٩٦٤
٢٤ ـــ بارتون، ف :
تاريخ الحضارة العربية - ترجمة حمزة طاهر - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٤٢
٢٥ ـــ بدوى، عبد الرحمن : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية - وكالة المطبوعات - ط٤ - الكويت - ١٩٨٠
٢٦ ـــ بدوى، عبد الرحمن :
مناهج البحث العلمى - القاهرة - ١٩٦٣

٢٧ ــ براون، ادوارد جى :
الطب العربى - ترجمة - داود سليمان - بغداد - ١٩٧٦
٢٨ ــ بلدى، نجيب :
تمهيد لمدرسة الاسكندرية وفلسفتها - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٦٢
٢٩ ــ تاتون، رنية :
تاريخ العلوم العام - العلم القديم والوسيط - ترجمة على مقلد - المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع - ط٣ - بيروت - ١٩٨٨
٣٠ ــ جحا، فريد :
تراث العرب القديم فى ميدان النبات - الدار العربية للكتاب - طرابلس - ١٩٨٩
٣١ ــ خير الله، أمين أسعد :
الطب العربى - بيروت - ١٩٤٦
٣٢ ــ دى بور، ت.ج :
تاريخ الفلسفة فى الاسلام - ترجمة عبد الهادى أبو ريدة - القاهرة - ١٩٣٨
٣٣ ــ رايت، أ.و :
الموسيقى - ضمن تراث الاسلام - تصنيف شاخت وبوزوث - المجلس الوطنى للثقافة والفنون ــ طــ ــ - الكويت - ١٩٧٨
٣٤ - سارتون، جورج :

ـــ تاريخ العلم – ٦ أجزاء – ترجمة مجموعة من العلماء – دار المعارف بمصر – ط٢ – القاهرة – ١٩٧٩
٣٥ ـــ سوسة، أحمد :
حضارة وادى الرافدين الساميين و السومريين – دار الرشيد للنشر – بغداد – ١٩٨٠
٣٦ ـــ سيزكين، فؤاد :
محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والاسلامية – سلسلة نصوص ودراسات – مجـ١ – منشورات تاريخ العلوم العربية والاسلامية – فرانكفورت – ١٩٨٤
٣٧ ـــ صبرة، عبد الحميد :
أبو على حسن ابن الهيثم – ضمن عبقرية الحضارة العربية – ترجمة عبد الكريم محفوظ – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان – طرابلس – ١٩٩٠
٣٨ ـــ صليبا، جميل :
تاريخ الفلسفة العربية – دار الكتاب اللبنانى – بيروت – ١٩٧٠
٣٩ ـــ طوقان، قدرى حافظ :
العلوم عند العرب – دار اقرأ – بيروت – د.ت
٤٠ ـــ طوقان، قدرى حافظ : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك – دار الشروق – ط٣ – بيروت – ١٩٦٣
٤١ ـــ على، سيد أمير :
مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى – القاهرة – ١٩٣٨
٤٢ ـــ غليونجى، بول :

الطب عند قدماء المصريين - دار مطابع المستقبل - الأسكندرية - د.ت
٤٣ ـ غليونجى، بول :
ابن النفيس - سلسلة أعلام العرب - القاهرة
٤٤ ـ فروخ، عمر :
تاريخ العلوم عند العرب - بيروت - ١٩٧٠
٤٥ ـ الفندى، محمد جمال الدين : تراث المسلمين فى ميدان العلوم - ضمن دراسات فى الحضارة الاسلامية - المجلد الثانى - الهيئة المصررية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٥
٤٦ ـ فيرين، جوان :
الرياضيات والفلك والبصريات - ضمن تراث الاسلام حـ٣ - ترجمة حسين مؤنس، واحسان العمد، مراجعة فؤاد زكريا - سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - ط١ - الكويت - ١٩٧٨
٤٧ ـ قنواتى، الأب جورج :
تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العصر القديم والعصر الوسيط - القاهرة - ١٩٥٩
٤٨ ـ قنواتى، جورج : فهرست مؤلفات ابن سينا - القاهرة - ١٩٥٠
٤٩ ـ مارتن، م.أ :

أبو على الحسين بن عبد الله ابن سينا – ضمن كتاب عبقرية الحضارة العربية – ترجمة عبد الكريم محفوظ – الدار الجماهيرية للطبع والنشر والتوزيع والاعلان – طرابلس – ١٩٩٠

٥٠ ــ محمود، زكى نجيب : جابر بن حيان – سلسلة أعلام العرب – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٦١

٥١ ــ مرحبا، محمد عبد الرحمن :
المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب – منشورات دار الفيحاء – بيروت – القاهرة – ١٩٧٨

٥٢ ــ مظهر، جلال :
أثر العرب فى الحضارة الأوربية – بيروت – ١٩٦٧

٥٣ ــ مظهر، اسماعيل :
تاريخ الفكر العربى – القاهرة – ١٩٣٨

٥٤ ــ نصر، سيد حسين :
العلوم فى الاسلام – الدار العربية للكتاب – طرابلس – ١٩٧٨

٥٥ ــ نظيف، مصطفى :
الحسن بن الهيثم – بحوثه وكشوفه البصرية – القاهرة – ١٩٤٢

٥٦ ــ هونكه، زيغريد :
شمس العرب تسطع على الغرب – ترجمة فاروق بيضون & كمال دسوقى – مراجعة فاروق عيسى الخورى – دار الآفاق الجديدة – ط٩ – الدار البيضاء – ١٩٩١

٥٧ ــ هونكه، زيغريد :
العقيدة والمعرفة – ترجمة عمر لطفى العالم – دار قتيبة – بيروت – ١٩٨٧

٥٨ ــ وافى، على عبد الواحد :
عبد الرحمن بن خلدون – وزارة الثقافة – القاهرة – د.ت
٥٩ ــ يوسف، زكريا : موسيقى ابن سينا – ضمن الكتاب الذهبى
للمهرجان الألفى لذكرى ابن سينا – القاهرة – د.ت

المحتويات

الصفحة